سلسلة الرحلة إلى المتقلبين ١٤

الزيدية والإمامية
جنبًا إلى جنب

أطروحة وصروية في مقابل أطروحة الزيدية والإمامية وجهًا لوجه

تأليف
السيد محمد بن محمود العمري

مركز الأبحاث العقائدية

سلسلة الرحلة إلى العقلين

(١٤)

الزيديّة والإماميّة
جنباً إلى جنب

أُطروحة وحدويّة في مقابل أُطروحة
الزيديّة والإماميّة وجهاً لوجه

تأليف

السيّد محمّد العمدي

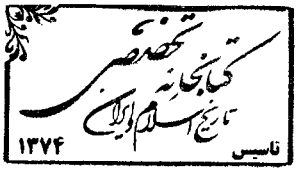

مركز الأبحاث العقائدية :
ايران ـ قم المقدّسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
هاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
فاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
البريد الالكتروني : info@aqaed.com
الموقع على الانترنت : www.aqaed.com

شابك (ردمك) : ٤ ـ ٩٩ ـ ٨٦٢٩ ـ ٩٦٤
الزيديّة والإماميّة جنباً إلى جنب
تأليف
السيّد محمّد العمدي
الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع : ١٤٢٧هـ
المطبعة : ستارة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

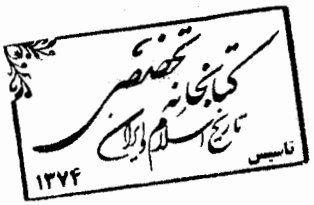

دليل الكتاب

مقدمة المركز ٥
الإهـداء ١١
مقدّمة المؤلّف ١٣
اليمن.. أرض الولاء لآل البيت عليهم السلام ١٧
ضريبة التشيّع والولاء ٢٩
الدفاع عن العقيدة ٤٣
على مفترق الطرق ٥٧
الزيديّة.. وزيدية اليمن ٦٣
زيد بن عليّ عند الشيعة الاثني عشرية ٨٥
أسباب الحركة وأهدافها ١٠٨
موقف تأمّل ١١٦
سادات الثورات العلويين عند الاثنى عشريّة ١١٩
أئمة أهل البيت عليهم السلام في كتب الزيديّة ١٥٩
ملامح توحيديّة ١٦٧

العصمة عند الزيديّة والإماميّة ١٧٥
النصّ عند الزيديّة والإماميّة..... ١٩٥
النصوص عند الاثني عشريّة ٢٢٠
المهدي عليه السلام القضيّة الكونيّة ٢٢٣
باب القول في ما ذكر عن المهدي عليه السلام..... ٢٢٤
الانتظار..... ٢٢٨
باب القول في انتظار إمام حقّ ٢٢٨
المصلحة من المهدي حال الغيبة..... ٢٣٨
الخاتمة! ٢٤٥
المراجع ٢٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز:

الحمدُ للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق اللّه أجمعين، أبي القاسم محمّد، وعلى عترته الطيّبين الطاهرين، الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

تعدُّ «الزيديّة» أقرب الفرق الشيعيّة إلى الإماميّة الاثنا عشريّة المعروفة بـ«الجعفرية»؛ لإتحاد منشأ ومنبع هاتين الفرقتين، فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام انقسم الشيعة إلى قسمين:

الأوّل: قال بإمامة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ومن بعده أولاده المعصومين عليهم السلام أي إنّ الإمامة منحصرة في وُلد الحسين عليه السلام دون إخوانه أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام.

الثاني: قال بأنّ الإمامة بعد الحسين عليه السلام هي في وُلد الحسن والحسين عليهما السلام، دون باقي إخوتهم من أبناء علي عليه السلام، فمن قام منهم

من وُلد الحسنين عليهما السلام ودعا إلى نفسه وجرّد سيفه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن طالب عليه السلام، وإمامته موجبة من اللّه على أهل بيته وسائر الناس.

وهذا القسم سُميّ بالسرحوبيّة ـ على قول ـ أو بالجارودية نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني الكوفي.

وسميّ قسم آخر منهم بالصباحيّة، نسبةً إلى صباح بن يحيىٰ المزني الكوفي.

وقسم آخر منهم سُميّ باليعقوبيّة، نسبةً إلى يعقوب بن عدي.

فاجتمعت هذه الأقسام الثلاثة ـ السرحوبيّة أو الجارودية، والصباحيّة، واليعقوبيّة ـ وخرجت مع زيد بن علي بن الحسين في ثورته ضدّ الأمويين أيام حكم هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ، وسمّوا جميعاً بالزيديّة؛ لاتباعهم زيد بن علي.

وهذا لا يعني بأنّ هذه الأقسام الثلاثة متّحدة في كافة آرائها وأفكارها، بل هي تختلف في السُنن والشرائع والفرائض والأحكام والسير، فالكلّ يتفقون على تقديم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على غيره من الصحابة، ويختلفون في مسألة التبرّي من مخالفيه.

وبعد استشهاد زيد بن علي انقسم الزيديّة إلى قسمين:

الأوّل: البتريّة، نسبة إلى كثير بن إسماعيل النواء، المعروف بكثير النوا.

الثاني: الجارودية نسبة إلى أبي الجارود الهمداني.

وكانت البتريّة فرقة كوفيّة قريبة في آرائها من جماعة أهل الحديث وفقهاء مذاهب السنّة في مابعد.

أمّا الجارودية فكانت أفكارها قريبة من الإماميّة، من حيث إنكار خلافة الخلفاء الثلاثة الأُول، والقول بإمامة علي والحسن والحسين عليهم السلام بالنصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تغلّبت آراء الجارودية في الزيديّة عموماً، وأصبح مبدأ الثورة على الحاكم الظالم هو الميّزة الأساسية لهم؛ لذلك ثار كثير من دعاة الزيديّة على الحكّام الظلمة في أيام الأمويين والعباسيين، مثل:

يحيىٰ بن زيد بن علي، الذي ثار في خراسان سنة ١٢٥هـ.

ومحمد بن عبد اللّه بن الحسن، الذي ثار في المدينة المنورة وأخوه إبراهيم بن عبد اللّه الذي ثار في البصرة سنة ١٤٥هـ.

والحسين بن علي، الذي ثار في فخّ بين مكّة والمدينة سنة ١٦٩هـ.

ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن زيد، ثارا في البصرة سنة ١٩٩هـ.

واستمرت معارضة الزيديّة للحكّام الظلمة وأخذت أشكالاً مختلفة، إلى أن تأسّست أوّل إمامة زيديّة في اليمن سنة ٢٨٤هـ على يد الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن بعده تعاقب الأئمة على دول تمتدّ فتسيطر على كلّ اليمن أحياناً، وتنكمش إلى دويلة صغيرة في الشمال أحياناً أُخرى، بل وقد تختفي نهائياً لبعض الوقت بحسب الظروف السياسية في البلاد، حتى أُعلن إلغاء الإمامة رسمياً عند قيام الثورة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ م وأُعلن عن تشكيل الجمهورية العربيّة اليمنيّة.

وعلى كلّ حال، فإنّ الزيديّة وإن كانت تتفق مع الإماميّة في بعض المعتقدات الأساسية، كالقول بإمامة علي والحسن والحسين عليهم السلام، إلّا أنّها تختلف معها في أُمور جوهريّة، أوّلها عدم القول بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذي يعتبره الشيعة الإمامية الركيزة الأساسية لمذهب أهل البيت عليهم السلام، إضافة إلى اختلافهم في بعض الأحكام والشرائع والسنن وغيرها.

ولكن هذا كلّه لا يكون سبباً وداعياً للتفرقة والتباعد بينهما، فيمكن أن يجتمعا ويتباحثا في الأُمور الخلافية بينهما من أجل الوصول إلى الحقّ.

وما هذا الكتاب الذي ألّفه صديقنا العزيز سماحة السيّد محمّد العمدي اليمني حفظه اللّه ورعاه، إلّا دعوة خالصة وصادقة نابعة من الأعماق، من أجل التخفيف «من الضباب وإفساح المجال للنور كي يأخذ مداه المفروض» بين الطائفتين.

لقد حاول المؤلّف أن يذكر الأُسس والملامح التي يتحدّ فيها

الإماميّة والزيديّة، فهو «أُطروحة وحدويّة في مقابل أُطروحة الزيديّة والإماميّة وجهاً لوجه».

ومركز الأبحاث العقائدية الذي يقوم بطبع هذا الكتاب ونشره ـ بعد مراجعته وتحقيقه ـ يتمنّىٰ للمؤلّف العزيز مزيداً من الموفقيّة في حياته العلميّة في رحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

محمّد الحسّون

مركز الأبحاث العقائديّة

الأوّل من صفر سنة ١٤٢٧ هـ

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

الإهـداء

إلىٰ ثنائي الولاء الممتدّ في التاريخ الإسلامي الشيعي اليمني!

١ ـ مالك الأشتر النخعي المذحجي، الذيّ قال فيه علي بن أبي طالب عليه السلام « لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »[١].

٢ ـ إلى اليماني خاتمة الولاء المحمّدي العلوي،

صاحب « أهدى الرايات » في عصر الظهور[٢].

وإلى العظيمين:

١ ـ حارث بن سراقة، أحد شيوخ كندة في حضرموت الذي قال: «نحن إنّما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان حيّاً، ولو قام رجلٌ من أهل بيته لأطعناه... »[٣].

---

(١) الأعلام للزركلي ٥: ٢٥٩، معجم رجال الحديث: ١٥: ١٧١، والقائل فيه: «مالكٌ وما مالك!! واللّه لو كان جبلاً لكان فِنْداً ولو كان حجراً لكان صلداً، لا يرتقيه الحافر ولا يُرقي عليه الطائر» نهج البلاغة ٤: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٠.

(٣) الفتوح لابن أعثم ١: ٤٧.

٢ ـ والحارث بن معاوية الذهلي الكندي القائل: «لا والله، ما أزلتموها عن أهلها إلّا حسداً منكم لهم!، وما يستقرّ في قلبي أَنّ رسول الله ﷺ خرجَ من الدنيا ولم ينصب للنّاس علَماً يتّبعونه»!!

ثمّ قال لسفر قريشٍ ونذيرها بالحرب: فارحل عنّا ـ أيّها الرجل ـ فإنّك تدعو إلىٰ غير رضىٰ![1]

فأصبحا وقومهما في معجم السلطة القرشيّة (مرتدّين)!!

أُقدِّم بضاعتي المزجاة التوحيديّة هذه!!

محمّد العمدي

---

(١) الفتوح: لابن أعثم ١: ٤٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلّف

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلّم علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله علىٰ أعدائهم أجمعين من اليوم إلىٰ قيام يوم الدين.

تعيش الطبيعة الإنسانية الشيعيّة اليوم في اليمن حالةً عصيبةً من العناء والعنت والحرب الضروس التي شرعت منذ ما يقرب من خمسين عاماً.

ولم تكن هذه الحالة وليدة وقتها!

فما هي إلّا امتدادٌ لتلك الهجمات الشرسة التي لاقاها الوجود الشيعي في اليمن منذ دخلها أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

والولاء الشيعي المسلم ـ الذي يعتبر أنصع وأجلىٰ وجوه الإسلام ووجهه المحمديّ الأصيل ـ محتمل في اليمن مع كافة معتركاته

الفكريّة والسياسيّة، ممّا جعل لهذه الأرض أن تعيش تشيّعها في زيديّته وإسماعيليّته، وأخيراً في إماميّته واثني عشريّته.

وبعيداً عن الخوض الكلامي في تحقيق الحقّ ودحض المُخالف وإثبات المعتقد عند طرفٍ بعد نفي ما يعتقده الآخر نستطيع أن نقول: إنّ الزيديّة والإماميّة اليوم في اليمن هما الفرقتان الشيعيتان اللتان تحملان علىٰ عاتقهما مسؤوليّة الحفاظ علىٰ بقاء ذلك الوجود علىٰ حياته إن لم يُدعوان ـ كما هو المطلوب فعلاً ـ إلىٰ الارتقاء به والمحافظة عليه منتعشاً في عنفوانه.

وبقدر ما تكون ـ كما هي كذلك ـ عمليّات استئصال وحرب وقلع هذا الوجود الشيعي ـ كوجودٍ شيعي ـ قوية وشرسة ومتمكِّنة وممكّنة، بقدر ما يكون على القائمين والقيوميّين علىٰ ذلك الوجود الشيعي واجباً وضرورياً العمل بإخلاصٍ وتقوىٰ وتعاون وإيثار وتكاتف من أجل المحافظة علىٰ وعي الجيل وتقويم حركته وخطاه، والنهوض به وإعداد هذه الأرض الطيّبة ليومها الموعود في عصر الظهور المقدّس.

وقد حاولت هذه « القراءات » أن تعرض وتقف عند «لوحاتٍ» خالدة من الفكر الشيعي في ملمحيّة الرئيسين في اليمن « الزيديّة والإماميّة»، كما قامت بلمسات الترسيم الأُولىٰ لبعض الأُصول الهامة المشتركة عند المذهبين.

وحاولت القيام بعملية تجذير أو بحث عن جذور صلبة، تـجعل من الحركة المعاصرة هادفةً أكثر ومحافظةً علىٰ أُصول من الانتماء لعليّ عليه السلام، قد تكون أهم بكثير ممّا قد يشـغل السـاحة ويـخطِّطُ له الأباعد من تمييع قضية الولاء في أرض الولاء.

فهذه الصفحات ـ إذن ـ قراءاتٌ في ملامح فكريّة خالدة، يؤمَّل أن تكون قد وُفّقت ـ شيئاً ما ـ إلىٰ أن تكون إحـدىٰ المشـاركات الفعّالة في التخفيف من الضباب وإفساح المجال للنور كي يأخذ مداه المفروض.

والله من وراء القصد

محمد العمدي

اليمن.. أرض الولاء لآل البيت عليهم السلام :

في تلك البقعة من جنوب الجزيرة العربيّة، بين جبال العربية السعيدة شاءَ اللهُ خالق الكون عزّ وجلّ أن يكون لرسوله الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أتباعٌ يؤمنون به ويخلصون لإيمانهم هذا، وتمتزجُ عاطفة إيمانهم بصفاء فطرتهم وطويّاتهم، فلا تدري ـ وهم يتهافتون عليه صلى الله عليه وآله وسلم تهافتَ الفراش المتعدّد الألوان الزاهية ـ أيهما يسبقهم للإيمان به وبدعوته !؟ أَعقولُهم التي فطرها الله بفطرته؟!، تلك الفطرة التي قال الله تبارك وتعالىٰ فيها: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]؛ أم عاطفتُهم وأنفسهم الصافية والخالية من شوائب الحضارات التي كانت لأُممٍ كانت تُعتبر أرقىٰ منهم كالروم والفرس ؟!

حتىٰ قال فيهم، وهم قادمون إليه تسبقهم الدموع اللؤلؤيّة علىٰ خدودهم المحمرّة من قيظ الصيف شوقاً إلىٰ الحبيب المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) الروم: ٣٠.

دموعُ الشوق والذوبان والهيام بالمخلِّص والمنقذ والهادي: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوباً وألين أفئدة، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية»[1].

وبلغ يقين نبيّ الإسلام عليه وآله أفضل الصلاة والسلام بصدق اليمنيّين في إيمانهم إلىٰ أن بعثَ إليهم أحبَّ الناسِ إليه، وأمينه المؤتمن علىٰ دعوته ورسالته، وزوج ابنته وأبا ريحانتيه، أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ليعلِّمَهم أُمورَ دينهم، ويبيّنَ لهم أحكام دين الله الحقّ، ومناهجه الناصعة الخالدة.

يقولُ الشيخ المفيد[2] رحمة الله ورضوانه عليه عن ذلك السفر

---

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٥٨.

(٢) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي الكَرْخي، ويعرف أيضاً بابن المعلّم، عالم الشيعة، وصاحب التصانيف الكثيرة، شيخ مشايخ الطائفة الإمامية الإثني عشرية، ولسان الإمامية، ورئيس الكلام والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة، مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية، كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، عاش ستّاً وسبعين سنة (ت ٤١٣هـ) وله أكثر من مائتي مصنَّف، كانت جنازتُه مشهودة، وشيَّعه ثمانون ألفاً، وكان موته في شهر رمضان رحمه الله، استقى الشيخ محمد رضا الأنصاري القمّي أكثر من مائة وأربعين عَلَماً ممّن ترجموا للشيخ المفيد أو رثوه. أُنظر: حياة الشيخ المفيد، نقد الرجال/ ٤: ٣١٥، معجم رجال الحديث/ ١٨: ٢١٣ ـ ٢٢١، أعيان الشيعة/ ٩: ٤٢٠ ـ ٤٢٤، سير أعلام النبلاء/ ١٧: ٣٤٤، الأعلام/٧: ٢١.

الرسالي الخالد خلود التاريخ: «... إنّ رسول الله ﷺ كان قد أنفذه عليه السلام إلى اليمن ليخمّسَ زكاتها (ركازها)، ويقبضَ ما وافقَ عليه أهل نجران من الحُلل والعَين وغير ذلك، فتوجّه عليه السلام لما ندبه إليه رسول الله ﷺ، فأنجزه مُمْتَثِلاً فيه أمرَه، مسارعاً إلىٰ طاعته، ولم يأتمِنْ رسولُ الله ﷺ أحداً غيره علىٰ ما ائتَمَنه عليه من ذلك، ولا رأى في القوم من يصلَحُ للقيام به سواه، فأقامه ﷺ مقامَ نفسه في ذلك واستنابه فيه، مطمئنّاً إليه، ساكناً إلىٰ نهوضه بأعباء ما كلّفه فيه»[1].

وقال الطبرسي[2]: «ثمّ بعث رسول الله ﷺ عليّاً إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام ـ وقيل: ليخمّس رِكازهم ويعلّمهم الأحكام، ويبيّنَ لهم الحلال والحرام ـ وإلىٰ أهل نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده رَفَعَه إلىٰ عمرو بن

---

(١) الإرشاد: ١: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (٥٤٨هـ)، من علماء الشيعة ومصنّفيهم وأشهر مفسّريهم، قال عنه التفرشي: ثقة فاضل ديّن عين، من أجلّاء هذه الطائفة، له مصنّفات عديدة منها: مجمع البيان لعلوم القرآن، إعلام الورىٰ بأعلام الورىٰ وغيرها. أُنظر: أعيان الشيعة / ٨: ٣٩٨ ـ ٤٠١، نقد الرجال / ٤: ١٩، معجم رجال الحديث / ١٤: ٣٠٤، الأعلام / ٥: ١٤٨.

شاس الأسلمي، قال: كنتُ مع عليّ بن أبي طالب في خيله، فجفاني عليٌّ بعض الجفاء، فوجدت عليه في نفسي، فلمّا قدمِ المدينة اشتكيته عند من لقيته، فأقبلتُ يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فنظر إليَّ حتىٰ جلستُ إليه فقال: « يا عمرو أما واللّه لقد آذيتني».

فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعوذ بالله والإسلام أن أُوذيك يارسول الله.

فقال: بلى « من آذىٰ عليّاً فقد آذاني »[1].

وقد كان بَعَث قبلَه رسولُ الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلىٰ أهل اليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يجيبوه، قال البراء: «فكنتُ مع عليّ عليه السلام، فلمّا دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّىٰ بنا عليّ، ثمّ صففنا صفّاً واحداً، ثمّ تقدّم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ، فأسلمتْ « همدان » كلّها، فكتب عليّ عليه السلام إلىٰ رسول الله ﷺ، فلمّا قرأ الكتاب خرّ ساجداً، ثمّ رفع رأسه فقال: «السلام علىٰ همدان».

ويظهر من هذا النصّ التاريخي الأمين أنّ هذه الأُمة المخلِصة

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٢٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجّاه»، مجمع الزوائد ٩: ١٢٩ وقال: «رواه أحمد والطبراني باختصار والبزار أخصر منه، ورجال أحمد ثقات».

كانت تدرك بفطرتها التي فطر الله الناس عليها أن لا دين للشامخين بآنافهم من قريش !

وهم ـ حينئذٍ ـ ما كانوا ليعرفوا ما ستكنّه قريشٌ في قلبها لاتّباع هذه الأُمة ابنَ عمّ محمّد ﷺ.

ولكنّهم عندما يأتيهم عليٌّ عليه السلام يخرجون إليه، ويصلّي بهم ويصفُّهم وتُسْلِمُ همدان كلّها فيكتب هذا المبعوث المحمديّ رسالة إلىٰ نبيّ الاسلام ﷺ، فلمّا قرأ الكتاب خرَّ ساجداً ثمّ رفع رأسه فقال: «السلام علىٰ همدان».

هكذا يصنع الولاء !

وهكذا صدق اليمنيين.

وهكذا حُبُّ الرسول الأعظم ﷺ يتجلّىٰ بأن يختارَ لهم عليّاً قاضياً !

وعن إسلام أهل اليمن يقول الشيخ محمّد جواد مغنية: أسلم أهل اليمن في أيام الرسول الأعظم ﷺ، وعلىٰ يد عليّ أمير المؤمنين، وبُنِيَ أوّل مسجد في اليمن باسمه، وقال ابن عباس للحسين عليه السلام حين أراد الخروج إلى العراق: اذهب إلى اليمن، فإنّ لأبيك بها شيعة[1].

---

(١) وجاء في رواية أُخرىٰ أنّ القائل كان محمّد بن الحنفية، أنظر: الملهوف: ١٢٨.

وقال الإمام يمدح قبيلة همدان اليمنية:

ولو كنت بوّاباً على باب جـنّةٍ لقلتُ لهمدان ادخلي بسـلام[1]

ويبلغ حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندهم مبلغاً عظيماً، وتكون أوّل من تسلم علىٰ يديه من أهل اليمن أُم سعيد البرزخـية ويـنزل بمنزلها، وتتعلّم القرآن، ويصلّي في بيتها.

ولا تملك أُم سعيد نفسها ـ للفرحة التي غمرت كلّ جوانحها ـ أن جعلت بيتها مسجداً وسمّته « مسجد علي » !!

ويسأل عليّ النبيّ عليه وآله الصلاة والسلام: «كيف أُصلّي بهم»؟

فـيقول المـصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: « صـلِّ بـهم كـصلاة أضـعفهم، وكـن بالمؤمنين رحيماً »[2].

ومرةً أُخرى يشهد لهم الرسول بأنّهم « المؤمنون » كما شهد لهم ـ قبلها ـ بأن « الإيمان يمانٍ... » !

وجاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وقف علىٰ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل اليمن يبشّون بشيشاً فلمّا دخلوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبهم راسخٌ ايمانهم، منهم المنصور يـخرج فـي سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي، حمائل سيوفهم المسد»

---

(١) الشيعة والتشيع: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ١٠٣، في عهد الإمام لمالك الأشتر.

فقالوا: يا رسول الله ومن وصيّك ؟ فقال: هو الذي أمركم الله بالاعتصام به، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوْا﴾ إلىٰ أن قالوا: يا رسول الله بالّذي بعثك بالحقّ أرناهُ فقد اشتقنا إليه.

فقال: «هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسّمين، فإن نظرتم إليه نَظَرَ مَن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم أنّه وصيي كما عرفتم أنّي نبيكم، تخلّلوا الصفوفَ وتصفّحوا الوجوهَ فمن أهوت إليه قلوبكم فإنّه هو لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إليه وإلىٰ ذريّته ...» الحديث.

وحاصله: إنّه قام جمعٌ وتصفّحوا الوجوه وأخذوا بيد الأنزع الأصلع البطين عليه السلام، وقالوا: إلىٰ هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أنتم بحمد اللّه عرفتم وصي رسول اللّه قبل أن تعرفوه وعرفتم أنه هو»، فرفعوا أصواتهم يبكون، قال: فبقي هؤلاء القوم المتوسّمون حتىٰ شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام الجَمل وصفّين، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله بشّرهم بالجنّة وأخبرهم أنّهم يستشهدون مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

وهذا الولاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيِّ رسول الله وخليفته وقاضيه في اليمن لا يقف عند حدٍّ لدى اليمنيين.

---

(١) بحار الأنوار ٣٦: ١١٤.

فيمتدَّ يمتدّ حتى يصبح ولاءً لأبناء عـليٍّ مـن بـعده، والعـاطفة والحبّ متبادلان !!

فأهل اليمن كما يحبّون عليّاً وأبناء عليّ، فإنّ عليّاً وأبناءه يحبّون اليمنيّين أيضاً ويصدّقون إيمانهم ويعتقدون نصرتهم الصادقة لأهل البيت عليهم السلام.

جاء في محاورة الإمام الحسين عليه السلام وأخيه محمّد بن الحـنفية، عندما عزم الإمام الحسين عليه السلام علىٰ الخروج من المدينة والاتـجاه إلىٰ العراق: ... فقال له الحسين: «يا أخي فإلىٰ أين أذهب»؟

قال: تخرج إلىٰ مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك الذي تحبّ، وإن تكن الأُخرىٰ خرجتَ إلىٰ بلاد اليمن فإنّهم أنصار جدِّك وأبيك وأخيك، وهم أرأف وأرقُّ قلوباً وأوسع النـاس بـلاداً وأرجـحهم عقولاً [1].

بل إنّ الرسول الأعظم محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يُخْبِرُ بذلك ويـنبأ بتلك النصرة اليمنيّة الصادقة لأهل البيت عليهم السلام.

ومن تلك الأنباء ـ التي تتحدّثُ عن ما سيكون لليمن واليمنيّين من دورٍ مهمّ جداً في عصر الظهور، في زمن الخلاص والنجدة ـ ما جاء في صفة المهديّ عليه السلام:... قال عمران بـن الحـصين: صـف لنـا

---

(١) الملهوف: ١٢٨، قادتنا كيف نعرفهم ٦: ٥٦.

يا رسول الله هذا الرجل وما حاله، فقال النبيّ ﷺ: «إنّه رجلٌ من وُلدي، كأنّه من رجال بني اسرائيل[1]، يخرج عند جهد من أُمّتي وبلاء، عربي اللون ابن أربعين سنة، كأنّ وجهه كوكب دري، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك عشرين سنة، وهو صاحب مدائن الكفر كلّها: قسطنطينية ورومية، يخرج إليه الأبدال من الشام وأشباههم، كأنّ قلوبهم زُبر الحديد، رهبان بالليل، ليوثٌ بالنهار، وأهل اليمن حتىٰ يأتونه فيبايعونه بين الركن والمقام، فيخرج من مكة متوجّهاً إلىٰ الشام، يفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير في الهواء والحيتان في البحر»[2].

وجاءَ في صفة المهدي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما مُلِئتْ جوراً، يعبد الله حقّ عبادته، يفتح له خراسان، ويطيعه أهل اليمن، وتقبل

---

(١) قال الشيخ المجلسي رحمه الله في معنى كلمة «جسمه جسم إسرائيلي» من حديث آخر في صفة المهدي عليه السلام: جسمه جسم إسرائيلي، أي طويل القامة، عظيم الجثة، وقيل أيضاً في معنىٰ التشبيه بالجسم الإسرائيلي: إنّه حنطي اللون مستقيم القامة أقرب إلى الطول منه إلى القصر، ووردت هذه الصفة في كتب الزيديّة أيضاً.

أنظر قادتنا كيف نعرفهم: ٧: ٢٢١، قواعد عقائد آل محمّد: ٤٧٠.

(٢) التشريف بالمنن: ٢٨١.

الجيوش أمامه من اليمن فُرْسان همدان وخولان »[1].

وممّا ذكره « نعيم » كما ينقله « السيّد ابن طاووس »[2]:

«... حدّثنا الوليد عمّن حدّثه وقرأه، عن كعب، قال قتادة: المهدي خير الناس، أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام، مقدّمته جبرئيل وساقته ميكائيل، محبوب في الخلائق، يطفئ الله به الفتنة العمياء، وتأمن الأرض حتىٰ إنّ المرأة لتحجّ في خمس نسوة وما معهنّ رجلٌ لا تتقي شيئاً إلّا الله، تُعطي

---

(١) التشريف بالمنن: ٢٩٥.

(٢) هو السيّد رضي الدين أبو القاسم علي بن سعد الدين أبي إبراهيم موسىٰ بن جعفر محمّد بن طاووس العلوي الفاطمي، ولد يوم الخميس ٥ محرّم ٥٨٩هـ، عرف بذي الكرامات لكثرتها، وقيل: إنّه كان على اتصال مستقيم بالحجّة المنتظر عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، ولقّب بذي الحسبين لأنّ نسبه ينتهي إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام من طرف أبيه، وإلىٰ الإمام الحسين عليه السلام من طرف أُمّه، ولّي نقابة الطالبيين سنة ٦٦١هـ قال عنه الحرّ العاملي: حاله في العلم والفضل والزهد والعبادة والثقة والفقه والجلالة والورع أشهر من أن يذكر، وكان أيضاً شاعراً أديباً منشئاً بليغاً، بلغ ما عثر عليه من مؤلّفاته ٤٩ كتاباً، توفّي رضوان الله عليه في بغداد يوم الاثنين ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ. أُنظر: التشريف بالمنن: ١٢ ـ ٢٥، معجم رجال الحديث ١٣: ٢٠٢، نقد الرجال ٣: ٣٠٣، أعيان الشيعة ٨: ٣٥٨، تاريخ الإسلام: ١٧٧ (حوادث ووفيات ٦٦١ ـ ٦٧٠هـ)، الأعلام: ٥: ٢٦.

الأرضُ بركاتها والسماء بركتها »[1].

بل إنَّ رايةً من رايات الحقّ الممهّدة لظهور صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام تظهر من اليمن !!

روي عن الباقر عليه السلام في ذكر علامات ظهور القائم عليه السلام، ذكر خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة وفي شهر واحد وفي يومٍ واحد، ثم قال عليه السلام: «وليس في الرايات أهدىٰ من راية اليماني، هي راية هُدىٰ لأنّه يدعو إلىٰ صاحبكم[2]، فإذا خرج اليماني حرمُ بيع السلاح علىٰ كلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإنّ رايته راية هدى، ولا يحلّ المسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل فهو من أهل النار؛ لأنّه يدعو إلىٰ الحقّ وإلىٰ صراطٍ مستقيم»[3].

وكذا عن الصادق عليه السلام: فقد روى الفضل، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد الأزدي، عن أبي عبد الله[4] عليه السلام قال: «خروج الثلاثة الخراسانيّ والسفيانيّ واليمانيّ في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليمانيِّ

---

(١) التشريف بالمنن: ١٤٥.

(٢) أي الإمام المهدي عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٣٢.

(٤) كنية الإمام الصادق عليه السلام كما أنها كنية للإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

يهدي إلى الحقّ»[1].

وتصبح اليمن في عصر إحدى الفتن « أرضاً منجية » !!

يقول سعيد بن مهاجر الوصابي: «إذا كانت فتنة المغرب، فشدوا قِبَلَ نعالكم إلىٰ اليمن، فإنّه لا ينجيكم منها أرضٌ غيرها»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٠.

(٢) التشريف بالمنن: ١١٠.

ضريبة التشيّع والولاء:

وكانت هذه الروح الولائية الإسلامية الشيعية المعرقة الأُصول في النفس اليمنيّة قلقاً للطغاة والنازين كالقردة على منبر رسول الله ﷺ، حتّى أذاقوا اليمنيين ألوان العذاب من جرّاء محبتهم وولائهم لعليّ عليه السلام وآل عليّ، ذلك الولاء الذي ما أتى إلّا تأكيداً للطاعة والولاء لمحمّد ﷺ.

ويشهد التاريخ على بسر بن أرطأة وهتلريته النازية الفظيعة التي لم تترك حتى الشيخ والطفل الصغير[1].

يقول ابن أبي الحديد ـ في خضمّ تاريخه لحركة بسر والتي كانت بأمر معاوية بن أبي سفيان ـ لقتل شيعة عليٍّ وإبادتهم:

«ثم خرج « بسر » من « صنعاء»، فأتى أهل « جيشان » ـ مخلاف باليمن شمال « لحج » ـ وهم شيعة لعليّ عليه السلام ـ فقاتلهم وقاتلوه، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، ثمّ رجع إلى صنعاء، فقتل بها

---

(١) بلوغ المرام: ٩.

مائة شيخ من أبناء فارس؛ لأنّ ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأةٍ من أبنائهم، تعرفُ بابنة بزرج»[1].

وقتل بسر هذين الطفلين في قصة مأساوية ينقلها ابن الأثير فيقول:

«... ثمّ سار إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عبّاس عاملاً لعليّ، فهرب منه إلىٰ عليّ بالكوفة، واستخلف عليٌّ على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ، فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عبّاس صغيرين هما: عبد الرحمن وقُثَم فقتلهما، وكانا عند رجلٍ من كنانة بالبادية، فلمّا أراد قتلهما قال له الكنانيّ: لم تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما! فقتله وقتلهما بعده.

وقيل: إنّ الكنانيّ أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول:

اللّيثُ من يمنع حافاتِ الدار ولا يزال مصلتاً دون الجار

وقاتل حتى قتل.

وأخذ الغلامين فدفنهما، فخرج نسوةٌ من بني كنانة فقالت امرأةٌ منهنّ: ياهذا! قتلتَ الرجال فعلامَ تقتل هذين؟ والله ما كانوا يُقتلون في الجاهلية والإسلام! والله يابن أبي أرطأة إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصبيّ الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الأرحام

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٦.

لسلطان سوء!

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة عليّ باليمن...».

ثمّ يذكر أخباراً يستأنف بعدها الكلام عن ابني عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما، فيقول:

«وكانت أمُّ ابني عبيد الله أمَّ الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل: عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان. فلمّا قُتِل ولداها ولهتْ عليهما فكانت لا تعقل ولا تصغي ولا تزال تنشدهما في المواسم، فتقول:

يامَنْ أحسَّ بُنيَّيَّ اللّذَيْنِ هما
كالدرتين تشظّى عنهما الصدفُ
يامَنْ أحسَ بُنيَّيَّ اللذّينِ هما
مُخُّ العِظَام فمُخّي اليومَ مُزْدَهَفُ
يامَنْ أحسَ بنيَّيَّ اللذَّينِ هما
قلبي وسمعي، فقلبي اليومَ مختطفُ
من ذلٍّ والهة حيرى مُدَلَّهَةٍ
على صبيَّينِ ذُلّاً إذ غدا السلفُ...[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

وهما الآن مدفونان في المسجد الذي سمّي باسمهما الخالد «الشهيدين» في صنعاء.

وأحزن أمير المؤمنين الإمام عليّاً عليه السلام ما أصاب اليمن على يد بُسْر فلمّا بلغه ما صنعه بُسْر باليمن قال: «اللهمّ إنّ بُسْراً باع دينَه بالدنيا، فاسلبه عقلَه، ولا تُبقِ له من دينه ما يستوجِبُ به عليكَ رحمتك»[1].

وظلّ ولاء اليمنيين لعليّ وآل عليّ الهاجس المخيف لكلّ الذين لم يكونوا ليرتاحوا من هذا الولاء، فكانوا يشرّدون ويَقْتُلون على الظنّة والتهمة.

حتىٰ كانت مهمة آل زياد عند حكمهم اليمن هي القضاء على «العلويين»[2]. وآلُ زيادٍ هؤلاء هم الذين عهد المأمون، إلى أولهم بأمر اليمن، لما شقّتْ قبائل اليمن عصا الطاعة، وقامت لهم ثورات جعلتْ الخليفة يقلع تماماً عن سياسته المناصرة للعلويين؛ ويعهدُ بأمر اليمن إلى آل زيادٍ الذين اشتهروا بعداوتهم للعلويين[3].

ورأى الغزاة ـ علىٰ شتّىٰ أهوائهم ونياتهم الخبيثة ـ في اليمن أرضاً خصبة لبذر أفكارهم وأهوائهم أيّاً كانت.

وهكذا تعرّضت اليمن لغزاة تاريخيين، منهم من كان يغزوها طمعاً في أرضها الذهب، ومنهم من كان يغزوها ليبذر فكرةً

---

(١) الإرشاد ١: ٣٢١.

(٢) موسوعة عاشوراء: ٢١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٠: ٤٧٠.

مشؤومة، ومنهم..ومنهم !

وكان كلُّ غازٍ لا يدخل اليمنَ إلّا بالخراب والدمار !

ويعرض النصّ التالي صورةً بشعة الملامح لإحدىٰ حالات الغزو التي مرَّ بها اليمن الميمون:

«وكانت القرامطة قد ظهرت باليمن وملكوا الشرق، وطمام، ... وثبتت القرامطة في بلده [جعفر بن إبراهيم المناحي] حتىٰ إذا كان مستهل الحرم مدخل سنة ثلاث وتسعين ومائتين خرج (علي ابن فضل)، وكان مولده الجند، وأصله من الرَحبَة من (رقيق الأحماس)، وقد استجاش بأهل المخاليف ممّن صار معه وأعانه علىٰ كفره،...

فلمّا كان ليلة السبت سار (علي بن فضل) في خمسة آلاف من مقاتلتهم ورجّالتهم، فدخلوا صنعاء ليلاً من ناحية « سِلَّة الشهابيين» أدخلَه (مهلب الشهابي)، فأصبحو قد أمّوا غمدان ومسجد الجامع، وذلك يوم عاشوراء، فقاتلهم (أسعد) في عسكره ونفر من أهل صنعاء، وهرب أهل صنعاء لِما داخلهم من الفشل والخوف، بِحُرَمهم وصبيانِهم، وخلّوا منازلهم وأموالهم، فلم يزل (أسعد) يقاتلهم إلىٰ بعد صلاة العصر يوم السبت.

ثمّ خرج من صنعاء واستباح القرامطة صنعاء، فنهبوا جميع

الأموال والأثاث، واستخرجوا ما كان تحت الأرض... »[1].

وغزو القرامطة لليمن شهيرٌ جدّاً، وقد تطرّق إليه كثيرٌ من المؤرّخين والمحقّقين[2].

والأيوبيون ـ أيضاً ـ قد غزوا اليمن ! وكان غزوهم ـ سواءٌ سُلِّم بالأسباب التي ذكرها الحدّاد أم لم يُسلم ـ غزواً مذهبيّاً في الواقع، وهو إقرار ماعليه أخو الأيوبي الأوّل في اليمن، وما عمله في مصر وفي الفاطميين شاهدٌ ودليلٌ علىٰ ذلك[3].

وتأسيسهم للمدارس الإسلامية « والسيفية » التي لم تكن تدرّس إلّا المذهب السنّي حالها في ذلك حال قرينتها «المدرسة المعزّية»[4].

وكذلك الدولة «الرسولية» التي انتشرت في عهدها المدارس العلمية انتشاراً واسعاً، وبني المنصور عمر بن علي بن رسول (ت/٦٤٧هـ) ستّ مدارس، وكانت هذه المدارس تدرّس المذهب

---

(١) سيرة الهادي إلىٰ الحقّ يحيىٰ بن الحسين: ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) راجع: سيرة الهادي يحيىٰ بن الحسين، بلوغ المرام، قواعد عقائد آل محمّد، مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، وغيرها من الكتب التي اختصت بتاريخ اليمن ككتاب: قيام الدولة الزيديّة في اليمن للدكتور حسن خضيري أحمد.

(٣) تاريخ اليمن السياسي ٢: ٩٠، وراجع: صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين لحسن الأمين.

(٤) الموسوعة اليمنية ٢: ٨٤٧.

الشافعي مذهب الدولة الرسولية[1].

وتعرّضت اليمن ـ بعد عصر الشتات وتهميش الشريعة ـ إلىٰ غزاة مذهبيين كلٌّ كان يغزوها بفكره وبطرقٍ وأحابيل مختلفة.

وجاء دور المعتزلة!

والمعتزلة ـ وإن كانت لم تغزُ اليمن بخيلها ورَجلها ـ ولكن شاء لليمن «موطِّؤ الأقدام» أن يذيقوها لوناً آخر من ألوان العذاب الفكري والمضيِّ على غير جادّة!

يقول الدكتور صبحي عن ذلك «الغزو المستورَد»:

«كان تيار القضاء علىٰ تراث المعتزلة في القرنين الخامس والسادس في العراق موطن الاعتزال جارفاً لولا أن تسرّبت بعض كتب المعتزلة من العراق إلى اليمن علىٰ يدي القاضي جعفر بن أحمد ابن عبد السلام (ت ٥٧٣هـ) شيخ الزيديّة ومتكلِّمُهم في اليمن، كان خلافاً قد حدث في اليمن زمن إمامهم المتوكل على الله أحمد بن سليمان بين الزيديّة وبين إحدى الفرق المنشقّة عليها وهي (المطرفيّة)، بعث الإمام بداعيته إلى العراق حيث وجد الزيديّة مشايعين للمعتزلة بعامة و (لأبي هاشم الجبائي) و (أبي القاسم البلخي) بخاصة، تتلمذ القاضي جعفر علىٰ شيخ الزيديّة في العراق زيد بن الحسن البيهقي، عاد القاضي جعفر إلىٰ اليمن مصاحباً شيخه

---

(١) المصدر نفسه.

البيهقي ليستعين به علىٰ فضّ الخلاف، حاملاً معه كتب المعتزلة ليحتجَّ بها علىٰ المطرفية، وكان ذلك عام (٥٤٤)هـ، ولم تكن اليمن تعرف قبل ذلك التاريخ كتباً للمعتزلة، ولما عاد البيهقي إلى العراق صحبه القاضي جعفر لإتمام القراءة علىٰ يدي تلميذ البيهقي القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي الحسن الكوفي، ثمّ عاد القاضي جعفر بعد ذلك إلىٰ اليمن بالعلوم التي لم يصل بها سواه من علوم الأُصول والفروع والمعقول والمسموع وعلوم القرآن العظيم، ومنذ ذلك الوقت اشتهر مذهب المعتزلة وعُرِفَت كتبهم في اليمن، ولم تكن لليمن معرفة مباشرة قبل ذلك بالمعتزلة.

وقام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤هـ) بإرسال دعاته إلىٰ خارج اليمن لاستنساخ الكتب والمصنّفات وخاصةً مؤلّفات المعتزلة[1].

وكان لهذا الاستيراد (الغزو) أثره البالغ في حركة التفكير لدىٰ بعض المفكّرين حينها.

بل إنّه صبغ كثيراً من العقليات بصبغته وترك آثار وشمٍ بارزة !! فالإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى[2] ـ مثلاً ـ كان من أبرز

---

(١) الزيديّة: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ (٧٤٦ ـ ٤٨٠) الحسني، الإمام المهدي لدين ←

المتحمّسين للفكر الاعتزالي، حتى ألّف كتابه « طبقات المعتزلة » كنتاجٍ علميّ للتعمّق والاستغراق في الدراسة المعتزلية والتقاطها فكراً، وتأثّر بكثيرٍ من آرائهم، تأثّراً كان ـ مع الأسف الشديد ـ علىٰ حساب آراء قوية وولائية لمن سبقه من أئمة الزيديّة الكبار.

ويلخّص الدكتور « صبحي » تلك الآراء، وفي جانبٍ عقائدي خطير ـ وهو الإمامة ـ بقوله:

أمّا مشاركة المعتزلة في بعض تصوراتهم للإمامة فواضح ويتلخص فيما يلي:

ـ الأخذ بأحكام الصحابة بصدد الإمامة ـ وإن انتقد عهد أبي بكر إلىٰ عمر ـ.

ـ انعقاد الإمامة بالبيعة إن حصل نزاع بصدد دعوة أكثر من إمام إلىٰ نفسه.

ـ ليس الإمام ـ باستثناء عليّ والحسنين ـ أفضل أهل زمانه، ويكفيه الاجتهاد، وعليه لعدم أفضليّته الرجوع إلىٰ غيره.

← الله، العالم الفقيه، المجتهد، ادّعى الإمامة بصنعاء سنة ٧٩٣، له الكثير من المؤلّفات في أُصول الدين، والفقه، وفي علوم اللغة، والحديث، والمنطق، والتاريخ، يعتبره الدكتور أحمد محمود صبحي « زيديّاً اعتزل»، مازال كتابه « الأزهار » عمدة المذهب الزيدي في اليمن ومرجع طلابه وفقهائه. أُنظر: الموسوعة اليمنية ١: ٦٦، الزيديّة: ٤١٠ ـ ٤٨، التحف: ١٩٣، ١٩٩، وغيرها من المراجع.

ـ استدلاله بإجماع الصحابة علىٰ قصر الإمامة على قريش ـ وإن قيّدها بعد ذلك بالبطنين ـ وعلى عدم جواز وجود إمامين في وقت واحد بما كان منهم يوم السقيفة.

ـ انعقاد الإمامة بمبايعة أربعة من أهل الحلّ والعقد لخامس.

ـ قضاء أبي بكر في فدك صحيح....

ـ توقّفه في أمر عثمان[1].

ومن الطبيعي أن ينتج ذلك « الانسجام » مع تلك العقائد « تنازلاتٍ » أُخرى، وعلىٰ أصعدةٍ خطيرةٍ هي الأُخرىٰ كالفقه مثلاً والحديث ومنابعه!

ويقول المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى: «وقد نصّ كثير من علماء الأُصول علىٰ أنّ مثل (سنن أبي داود) كاف وافٍ في القدر المعتبر من ذلك وأنّ أحد طرق الرواية كافٍ في حفظها»[2].

وتستمر حركة الغزو المذهبي هذه علىٰ أشدِّها، حتى يأتي اليوم الذي تطفو علىٰ سطح « البلدة الطيّبة » باكتيريا معدية اسمها «الوهابية»!!

والحديث عن غزو « الوهابية » ـ هذه الغدّة السرطانية في كيان العالم الإسلامي ـ حديثٌ ذو شجون، تُشْتَمُّ منه ـ ومن أوّل وهلة ـ

---

(١) الزيديّة: ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٢) مقدّمة البحر الزخّار: ٣٠ ـ ٣١.

رائحة دماء شهداء « تنّومة » « ضيوف الرحمن » الأبرار[1].

هذه « الباكتيريا » لم تدع أرضاً ولا بلاداً لم تغزُها.

وهكذا أراد لها « الاستعمار » لترويج شيءٍ وسمته بالإسلام لم ولن يفرّخ إلّا « الجهل والتعصّب والتحجّر والتطرّف والإرهاب والقمع ».

أفتتركِ اليمن الشقيقة والمشاقّة !!

يقول أحد دكاترة الوهابية ـ باقتضابٍ ـ عن إحدى حركات الغزو الوهابيّ والتي بدأت باهتزازات الخضوع والخنوع هنا وهناك وعند هذا وذاك: «إذا كانت دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب السلفية في تأثيرها قد تخطّت حدود الجزيرة العربية إلىٰ مناطق متعدّدة من العالم الإسلامي، فمن باب أولىٰ أن تكون باقي الجزيرة ـ عدا الدولة السعودية ـ أوّل من فتحت للدعوة صدرها.

ففي اليمن: ظهر مجموعة علماء تأثروا بالدعوة، ودعوا الناس إلىٰ مثل مبادئها، وصار لهم أتباع ووقعت بينهم وبين خصومهم من العلماء الآخرين مناقشات ومنازعات كلاميّة ـ ولكن لم تتعدّ

---

(١) كشف الارتياب: ٤٩، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث: ١٩٩، بلوغ المرام: ٩٣. وشهداء « تنومة » ألف حاج يماني قتلهم الوهابيون.. وهم في طريقهم إلىٰ بيت الله الحرام، لاهجةً ألسنتهم: « لبيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك » عام: ١٣٤١هـ.

حركتهم تلك الحرب الكلاميّة، ومن أشهر هـؤلاء العـلماء الشـيخ (الأمير محمّد بن إسماعيل الصنعاني ١٠٩٩هـ ـ ١١٨٢هـ) الذي دعا أهل اليمن إلى التوحيد !! وإخلاصه للّه تعالىٰ، والبعد عن التـوسّل بقبور الصالحين ـ المنتشرة في اليمن فـي ذلك الوقت، أمّـا تأثّـره بالدعوة فيمكن أن نلمس ذلك من تلك القصيدة الشعرية التي بعث بها إلى الشيخ محمّد بن عبد الوهاب في الدرعية يمدح فيها دعوته ويشيد بأهميّتها، يقول في مطلعها:

سلامي علىٰ نجد ومن حلّ في نـجد

وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي

وكذلك الشيخ (محمّد بن علي الشوكاني ١١٧٣هـ ـ ١٢٥٠ هـ) الذي دعا بما يشبه دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، حيث دعا إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع والتقليد الأعمىٰ، وألّف في ذلك رسالة أسماها (القول المفيد في حكـم التـقليد). وقـد تأثّـر الشوكاني ـ مثل الشيخ محمّد بن عبد الوهاب ـ بابن تيمية، حتىٰ أنه ألّف كتابه (نيل الأوطار) لشرح كتاب شـيخ الإسـلام ابـن تـيمية (منتقى الأخبار)، ويظهر تأثره بالدعوة السلفية من أنّه حينما بلغت الشوكاني وفاة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب رثاه بقصيدة مطلعها:

مصاب دها قـلبي فأذكـى غـلائلي

وأصـمى بسـهم الافـتجاع مـقاتلي

ولهذين العالمين (الصنعاني والشوكاني) منزلتهما العظيمة عند الشعب اليمني حتى الآن.

فإذا أضفنا إلىٰ جهود هذين العالمين وغيرهما في اليمن ـ إرسال الدعاة والمرشدين للدعوة من الدرعية، ثمّ توسّع النفوذ السعودي من الناحية السياسية في شمال اليمن حتىٰ وصلت الجيوش السعودية بنفوذها إلىٰ (الحديدة) عام ١٢٢٠هـ، في عهد سعود الكبير، عرفنا أثر هذه العوامل كلّها في نشر الدعوة السلفية بأنحاء مختلفة سن اليمن »[١].

ويقول في موضع آخرٍ: «وقد يضاف إلىٰ ذلك التأثير رغبة نفر من علماء « الزيديّة » في هذه الحقبة إلىٰ قراءة كتب أهل السنّة والجماعة والدراية بها، فقد أخبرني « أحمد حسين شرف الدين » أن « الشيخ محمّد بن إسماعيل الوادعي » كان يحضّ أصحابه علىٰ قراءة تلك المؤلّفات، وأنّه كما قال « أحمد شرف الدين »: يدعو أصحابها السلفيين: بـ«القوم»، وقد نتج عن ذلك التأثير السلفي أن أقبل كثير من اليمنيين الزيود علىٰ تأييد هذه الدعوة، والتأثر بمذهب دعاتها، فقد كان منهم: (لطف بن زيد الديلمي ـ ١٣٢٠هـ) و(صالح ابن محمّد البيحاني الذي ولد عام ـ ١٣٣٤هـ) و(علي بن عبد الله صوفان، ولد ١٣٣٥هـ) و(أحمد بن حسين شرف الدين ١٣٤٧هـ)،

---

(١) دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي: ٨٢ ـ ٨٤.

وغيرهم ممّن تأثّر بهذه الدعوة مثل: (الحسين بن يحيى حميد الدين ـ ١٣٤٨هـ) و (العباس بن أحمد إبراهيم) و (محمّد بن حسين الوادعي) و (أحمد بن عبد الله الجنداري) وغيره من آل الجنداري باليمن[1].

(١) دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب وأثرها في العالم الإسلامي: ١١٨.

الدفاع عن العقيدة:

وتبقى تلك الروح المستحكمة بالولاء لأهل البيت في ثكنة الإخلاص، وذلك كلّه من فضل ذلك الولاء.

ومن بداية التفكير بتغيير ولاء اليمنيين كان اليمنيّون أوفياء.

يقول الدكتور صبحي عن ما أحبّ هو أن يسمّيه بـ(الانشقاق المذهبي للشخصيّة اليمنية):

«هكذا مكّن الانشقاق المذهبي للشخصية اليمنيّة التعبير عن ذاتيتها ونزعتها إلى التحرّر من الخلافة السنيّة، متمثّلة في الدولة العباسيّة، وهكذا تضافرت العوامل البيئية والحضارية لتمكن للاستقلال السياسي والمذهبي للدولة اليمنية»[1].

ويقول عن ولائهم لأهل البيت عليهم السلام:

«فلا غرو أن يناصروا أئمة آل البيت ضدّ الدولة العباسيّة تعبيراً عن نزعتهم الاستقلالية علىٰ أن يبقىٰ تشيّعهم في صورة مذهب

---

(١) الإمام المجتهد يحيى بن حمزة: ١٦ ـ ١٧.

عربي إسلامي ...»[1].

ثمّ يقول ـ معلِّلاً ـ ذلك: «ولا نغفل ـ بعد ذلك ـ ميل أهل اليمن إلى آل البيت ومحبّتهم لهم منذ أن أسلمت كثير من قبائلهم علىٰ يدي الإمام عليّ الذي أرسله الرسول إليهم ثلاث مرّات»[2].

ولذلك يرى المتتبّع للتاريخ اليمني أنّ كلّ حركة « التواءٍ » على العقيدة والولاء كانت تجابه بالفكر والنار !!

فمن بدايات التاريخ الإسلامي واليمن لا ترضخ لمن يريد زعزعة أمنها في ولائها لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويسرد التاريخ ـ مسترسلاً ـ صوراً زاهية الألوان لذلك الولاء ولتلك المجابهات لكلّ تلك الهجمات !

فمنذ أن دخل القرامطة اليمنَ وجهاد اليمنيين مستمرّ في الدفاع عن العقيدة والولاء، وبلغ دفاعُهم أوجَه عند ما استدعوا الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسين بن القاسم[3] ليكون إماماً لهم له حقّ السمع

---

(١) لا يكاد يُدرى ماهي هذه الصيغة للمذهب « العربي الإسلامي » !! حقاً إنّها لمن تلكم الكلمات المهولة التي امتلأت بها حقائب مفكري «العرب المسلمين» في القرنين الأخيرين ولبريقها الذي ترك أعْيُناً عوراءَ كثيرةً وراءه تطفو كعين المسيح الدجال!!

(٢) الإمام المجتهد يحيىٰ بن حمزة : ١٧.

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٤٥ ـ ٢٩٨) بالإمام الهادي إلىٰ الحقّ، ←

والطاعة، معبّرين ـ بذلك ـ عن عُمق ولائهم لأهل بيت النبيّ ﷺ، وما سجّلته يد التاريخ من الحروب السجال بين اليمنيين و«الباطنية» دليل وبرهان كبيران علىٰ صدق المعرفة والذود عن الأرض والدين، ودوماً على الصعيد الفكري والسياسي دفاعٌ مستمر عن الفكر والعقيدة، ففي أيام المدّ المعتزلي الجارف للأرض اليمنية ـ التي تشبّع أبناؤها من معين الولاء العلوي يحس الغيارى من علماء الأُمّة بهذا الخطر؛ فيقفون أمامه صارخين في وجه من كان قد خامَرهم عقار الحركة المعتزلية في الفكر والعقل: هاه !!

أنتم: (لا يغرنّكم بالله الغرور)، أيُّ عقل وأيُّ فكرٍ هذا الممسوخ والمسلوب محبّة آل البيت !! تلك المحبّة التي أمر الله تعالىٰ في كتابهِ

← عالم، فقيه، سياسي، مؤسّس دولة الأئمة في اليمن، وواضع أُسس الزيديّة، مولده بالمدينة المنوّرة، دخل صنعاء سنة ٢٨٦، وحارب القرامطة والباطنية، وكان له ولفقهه شأن عظيم في تاريخ اليمن، من كتبه الأحكام في الحلال والحرام، ولعلّه أشهرها، أفرد له ولحركته العظيمة في اليمن علي بن محمّد العباسي العلوي (ابن عمّه) سيرة كاملة عرفت باسمه، تروى الزيديّة في حقّه أحاديث أشبه ما تكون بالنصوص علىٰ إمامته، مشهده بصعدة، وله مقامٌ مزور، ويقال بظهور كراماتٍ عنده، توفّي ﷺ في ذي الحجّة ٢٩٨ عن ثلاث وخمسين سنة شهيداً بالسمّ.

أُنظر: سيرة الهادي إلىٰ الحقّ يحيى بن الحسين للعلوي، الموسوعة اليمنية ٢: ١٠١٨، التحف: ٩٩ ـ ١١٢، وغيرها من المصادر.

الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [1].

ويبرز ـ في هذا الميدان ـ وجه السيّد حميدان بن يحيى [2] أكثر من غيره ليقول كلمته المشهورة: «وافقناهم ـ أي المعتزلة ـ في الأُصول ولم يوافقونا في الإمامة فعلام الاتفاق؟».

يقول عنه الدكتور صبحي: «رفع راية التمرّد على المعتزلة مبيِّناً مخالفة أئمة الزيديّة لأقوالهم، ويعتبره «التيّار الزيدي المعارض للمعتزلة»، وينقل عن مقدّمة كتابه « التصريح بالمذهب الصحيح » اتهامه المعتزلة بسلوك طريقة الفلاسفة في الجدال، فخالفوا أدلّة الهدىٰ بمغاليط الضلال، وأنّهم سمّوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وتظاهروا بذم الجهل والتقليد، فاغترَّ بهم أغمار الأُمّة وصدّوهم عن التمسّك بعلوم الأئمّة، وأنّه قد انخدع من جمع بين التشيّع

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي (ت ٦٥٦هـ) عاصر المهدي أحمد ابن الحسين، وصفه القاضي أحمد بن صلاح الداوري: بأنه من أكابر العترة وأفاضلهم متمسّك بعقائدهم. له مجموع يحتوي علىٰ كثير من كتبه منها « التصريح بالمذهب الصحيح » و « تنبيه أُولي الألباب على تنزيه ورثة الكتاب» وغيرهما. قال العلّامة مجد الدين المؤيدي: ولما اطّلع على مجموعة الإمام أحمد بن الحسين أثنى عليه وقال ما معناه: هو الحقّ الصحيح، والدين الصريح، وإنّه معتقد آل الرسول. أُنظر التحف: ١٧٥، الزيديّة: ٤٨٦.

والاعتزال، إذ تزعم المعتزلة أنّ الأئمة قد انصرفوا عن دقائق النظر في أُصول الدين، قانعين بمجملها مشتغلين بالجهاد، وهذا زعم كاذب، كيف وقد أمر الله بالرجوع إليهم وردّ ما اختلف فيه إليهم، كما طلب مودّتهم وحكم في الصلاة بالصلاة عليهم»[1].

ويجد الباحث نصوصاً عن زمن الغزو التركي العثماني السياسي والعقائدي تقود إلىٰ تلمُّس خاناتٍ للضوء تدلُّ على الخلفيات الحقيقية للدوافع الأساسيّة لذلك الغزو!

يورد المؤرّخ زبارة قصيدة للقاضي «عليّ بن عبد الله الإرياني» أرسلها من وطنه «حصن إريان» ببلاد يريم، يشحذ بها همم الرجال وينادي الأبطال لقتال الأتراك، ومنها:

فواليتمُ أعداءَكم وخذلتُم
إماماً أتاكم من لؤيٍّ بن غالبِ
إمام غدا يدعو إلى الله جهرةً
ويأمر بالمعروف من كلِّ واجبِ
على فترة في الدين وافى مشمِّراً
بحين أتى الأعداء من كل جانبِ
فيامن إلى الدين الحنيفيِّ ينتهي
وللمذهب الزيدي خير المذاهبِ

---

(١) الزيديّة: ٤٨٥ ـ ٤٨٧.

ويـــا حـيَّ هـمدانٍ ونـهمٍ وحـاشدٍ
وحـــيٍّ بكـــيلٍ يـا كـرام المـناصبِ
تـــعالوا لمـجدٍ سـوف يـخلدُ ذكـرهُ
وفـخرٍ سـيبقى ذكـره فـي المـناقبِ
فقد أصبح «الكـفّار» فـي كـلِّ بـلدة
وقولهم في النـاس أصـوب صـائب
وقد حلَّ في الأرض الفساد جميعها
كـــقحط ومـــوتان وكـــلّ النـوائبِ
فـــقوموا إلىٰ أعـــدائكـــم وتـنمّروا
وســـيروا عـلىٰ آثـارهم بـالكتائبِ
وقـــوموا بـنصر الله تُـحْيَوْا وتـبلغوا
بـــنصره ديـــن الله أعـلى المـراتبِ
فـــليس عـــلى هـذا حـياةٌ لمسـلمٍ
تطيبُ ولافي العـيش خـيرٌ لطـالبِ
إلهـــى أغـــثنا مـــن نـــداك بـنفحةٍ
تفكُّ عن المكـروب كـلّ المـصائبِ
تـــعزّ بـــها الديـن الحـنيف وأهـلَه
وتـــنزل فـــي أعـــدائـنا بـالنوائبِ

بـــحقّ رســـول الله والآل مـن لهـم
دلائلُ فـضلٍ فـوق زهـر الكـواكبِ
عـــليهم صـــلاة الله ثـــمّ ســـلامه
بعدِّ الحصا أو عدِّ مُزن السـحائبِ[1]

وهذه الأبيات استنجادٌ صارخ وثورة كامنة وصدقٌ جـليّ فـي الولاء الشيعي بطعمه الزيدي، ويصف الشاعر فيها المذهبَ الزيدي بـ« خير المذاهب »، ويمدح فيها آل الرسول ﷺ ويسـمّي الأتـراك العثمانيين بـ« الكفّار والأعداء».

ومن الصور الزاهية هذه الترجمة المـقتضبة لشـخصيّة عـلمائيّة مغمورة ـ كشأن عشرات العلماء في تاريخ الأُمّـة، بـل مـئاتهم ! ـ عايش لوناً من ألوان ذلك الغـزو (الإرهـاب التـركي)، جـاء فـي «حوليات يمانية»:

«ويوم الجمعة ١٩ صفر توفّي القـاضي العـلّامة مـفتي الزيـديّة القاضي محمّد بن أحمد العراسي رحمة الأبرار وأسكـنه جـنات تجري من تحتها الأنهار، فإنّها فاقرة في الدين كبيرة، لأنّه متصدر للفتوىٰ لمذهب آل محمد ﷺ، ولا يخشى في الله لومة لائم مـدّة عمره سيما في أيام الدولة العثمانية، فإنّه بقي عـلىٰ الفـتوى سـبعة

---

(١) أئمة اليمن: ٣١١ ـ ٣١٣.

وعشرين سنة وآخر عمره بقي في الروضة نحو سنتين، وكان موته في وادي ظهر لأنّه رحل من الروضة في شهر محرم، مع ما ذكر من الخوف في الروضة والحرب وكانت حفرته هنالك»[1][2].

وعاشت اليمن لوناً آخر من ألوان الاهتزاز = الغزو المذهبي، رُفِعتْ له بيارقُ ملونة عديدة، إلّا أنّها لم تكن تخطو خطوةً وإلّا ولوحقت وطوردت بخطوات وئيدة ثابتة.

يؤرِّخ «زبارة» لوناً آخر من ألوان المواجهة الأدبية لذلك التصبُّغ بتسنّنٍ مُدَّعى بقوله: « ولمّا نظم بعض المنحرفين عن الإمام الشهيد الناصر عبد الله بن الحسن قصيدة يمدح بها من تمالأوا علىٰ قتله من أهل وادي ضهر وقبائل همدان والباطنية من يام ردّ عليه صاحب الترجمة [يحيى بن محمّد حميد الدين الصنعاني] بقصيدة ... ومنها:

تسمّيتموا « سنّيةً » وهو باطل كمن يدّعي شمس الضُحى بظلام
وليس بخافٍ ما حقيقة سنّة الـ ـنبي وماذا هديُ خيرِ ختامِ

---

(١) حوليات يمانية: ٥٦٧.

(٢) القارئ لتاريخ اليمن يصطدم بالمأساوية التي عانتها اليمن من أُولئك المحتلّين، ولم تكن اليمن وحدَها هي التي عانت من الغزو العثماني، فكلّ ديار المسلمين ـ ما عدا بعض البلدان القليلة ـ ذاقت ما ذاقت من أيدي أولئك الغزاة، إلّا أنَّ اليمن تميّزت في التاريخ الحديث بأنّها كانت « مقبرةً للغُزاة » !!

فما ملكتْ يـمناه شـيئاً ولا بـنىٰ قصوراً لأطـواد الجـبال تُسـامِي

* * *

وِسادتُه جلدٌ من الليف حشـوُها ومُـنْكِرُ ذا فَـدْمٌ أَلَـدُّ خِـصامِ
فماذا عسى من « سنّةٍ » لكم فهل رضـيتم مـع آبـائكم بأسـامِ
فأنـتم إذاً « بـدعيّةٌ » فـتنكّبوا عن الزور أو فاستمسكوا بـلجامِ
وحسبكموا « بالباطنيةِ » فاعتزوا إليـهم فـقد قـادوكموا بـزِمام[1]

وإذعاناً للواقع الذي تدلّ علىٰ واقعيته حركة التتبّع البحثية، يمكن القول بأنّ هذا اللون كان أشـدَّ الألوان ضـراوةً وأنـعمها مـلمساً !! وأكثرَها « شبهةً ».

وإن كان هذا أيضاً قد جُوبه ورُدَّ[2]، إلّا أنه استطاعَ أن يصبغَ كثيراً من العقليات بطريقة تارجحه !!

ومن أشدِّ المتحمّسين لحركة التسنن هذه: الشوكاني (ت / ١٢٥٠هـ)، والأمـير (ت / ١١٨٢هـ)، والمـقبلي (ت / ١١٠٨هـ)، والوزيـر (ت / ٨٤٠هـ)، والجلال (ت / ١٠٨٤هـ).

---

(١) نيل الوطر ٢: ٤١٠ ـ ٤١١.

(٢) الشيخ العلّامة محمّد بن صـالح السـماوي (ت / ١٢٤١هـ) وقـف تـجاه « السيل الجرّار » للشوكاني وألّفَ كتابه الضخم « الغطمطم الزخّار المطهّر لحدائق الأزهار عن أرجاس السيل الجرّار » ! ووقف قبالة محمّد بن إبراهيم الوزير شيخُه علي بن محمّد بن أبي القاسم (ت / ٨٣٧هـ).

الذين لقوا ـ كلّ على حدٍّ سواء ـ مواجهات ولائية عديدة، تمثلت بالردود والكتب والوقوف بوجهها اجتماعياً ودينياً وعلميّاً.

ومازالت تلك الحركة ـ تاريخاً ونشأةً وآثاراً وتأشيرات ـ بحاجة إلىٰ « حركة غربلة مجدّدة » وإلىٰ دراسة موضوعية متأنّاة شاملة بيلوغرافية !

وحتى الوهابية على عدتها وعتادها وإمكاناتها وتجهيزاتها وفعالياتها في اليمن منذ ما يقرب من أربعين سنة ـ استطاع الولاء أن يقف بوجهها، وإن كان هذا الوقوف وقوفاً أُريدَ له أن يكون وقوفَ الشيخ الهرم.

ومنذ بدأ الغزو الوهابي لليمن والمواجهة علىٰ أشدّها، ففي القرن الثاني عشر وفي بدايات الحركة الوهابية حاول (ابن سعود) أن يقلقل اليمن وأن ينشر مذهبه الوهابي، يقول الدكتور العمري: «من المعروف أنّ هذه الفترة التي نؤرّخ لها عاصرت في جزء منها انتشار الحركة الوهابية ....

وعملت علىٰ توسيع نشاطها إلىٰ تهامة اليمن جنوباً، وكانت المنطقة « المخلاف السليماني » قد عرفت من أواخر القرن الثاني عشر / الثامن عشر الميلادي حكّاماً محليين هم الأشراف من آل خيرات، وكان أشهرهم وأكثرهم خطراً الشريف حمود بن محمد أبو مسمار (١١٧٠ ـ ١٢٣٣هـ / ١٧٥٦ ـ ١٨١٨ م) الذي كان مركزه في

(أبي عريش)، ويحكم المخلاف السليماني باسم الإمام المنصور، كما كان أسلافه يفعلون باستمداد ولايتهم من أئمة صنعاء، وقد عُرفَ الشريف حمود بالشجاعة والكرم حتىٰ مدحه الشعراء، ومنهم شاعر صنعاء المشهور عبد الرحمن الآنسي بقصيدةٍ ليست من شعره (الحميني) الرقيق بل من قصائده الحكمية، ومطلعها:

لعمرك ما الليث الذي هوَّلوا به ولكنما الليثُ الهَصور حمودُ

بدأت الصراعات بين الشريف حمود وممثل ابن سعود (أبي نقطة) تتزايد، وكانت تتطور أحياناً إلىٰ قتال ومصادمات مسلحة، كان الشريف حمود علىٰ أثرها يسرع بإبلاغها بشكل ذكي إلى الدرعية، وفي الواقع فإنّ منخفضات عسير وتهامة وشأنها شأن الحجاز لم تكن قد تقبّلت بيسر الدعوة الوهابيّة ...»[1].

بل واليمن ـ بشكل عام ـ لم تكن لتتقبّل هذا الفكر لولا ما خُطِّط له مسبقاً أن يجثم علىٰ صدر اليمن.

وممّا قامت به الهوية الولائية في ردّ الوهابية كتابة المؤلّفات في الردّ علىٰ هذا الفكر الغريب عن فطرة الإنسان اليمني، بل والمسلمين حيثما كانوا!

ومن مؤلّفات اليمنيين في الردّ على الوهابية:

---

(١) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث: ١٢٧ ـ ١٢٩.

١ ـ لفحات الوجد من فعلات أهل نجد في الردّ علىٰ عقيدة أتباع الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، لمحسن بن عبد الكريم بن إسحاق (١٢٦٦هـ)[١].

٢ ـ السيف الهندي في إماتة طريقة النجدي، للشيخ عبد الله بن عيسىٰ الصنعاني اليمني[٢].

٣ ـ مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبه البِدْعي النجدي التي أضلّ بها العوام، للسيّد علوي بن أحمد الحدّاد (١٢٢٢هـ)[٣].

٤ ـ صاعقة العذاب، لصفي الدين أحمد بن عبد الله ـ المكتبة الاسلامية ـ ط / الأولى ـ ١٩٨٩ م.

وألّف السيّد بدر الدين الحوثي في الردّ على الوهابيّة:

١ ـ الإيجاز في الردّ على فتاوى الحجاز، طبع مع مقدّمة لقاسم محمّد الكبسي، طبعته مكتبة اليمن الكبرىٰ، ويحتوي علىٰ: الجواب الوجيز، الإفادة لأهل الإنصاف، الإجادة في دفع الاسراف، شرح الصدور.

٢ ـ إيضاح المعالم في الرقي والتمائم.

٣ ـ التبيين في الضمّ والتأمين.

---

(١) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ١٤٢، تراثنا: ١٧ / ١٧٤.

(٢) هدية العارفين: ١ / ٤٨٨، إيضاح المكنون: ٢ / ٣٧. تراثنا: ١٧ / ١٦٧.

(٣) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ١٤٢.

٤ ـ تحرير الأفكار عن تقليد الأشرار، وقد طبع مرّتين، مرةً باليمن ـ صنعاء، طبعته مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية بصنعاء بتحقيق الطبعة الأُولىٰ / سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ م.

ومرةً ثانية في إيران / المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام سنة ١٤١٨هـ.

٥ ـ الجواب علىٰ حافظ بن أحمد الحكمي.

٦ ـ الجواب علىٰ مسائل شدِّ الرحال.

٧ ـ الحسام القاضب الخافع لهامات النواصب (قصيدة تائية طويلة ...).

٨ ـ السهم الثاقب في إبطال دعايات النواصب.

٩ ـ الغارة السريعة في الردّ علىٰ الطليعة (وهو ردّ علىٰ كتاب الطليعة في الردّ علىٰ غلاة الشيعة، لشيخ الوهابية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي).

١٠ ـ الكتاب الثمين في الضمِّ والتأمين.

١١ ـ من هم الوهابية ؟[1]

---

(١) مؤلّفات الزيديّة ٣: ١٩٧.

على مفترق الطرق:

لم تكن الولاءات قد انصهرت في بوتقة المذاهب إبّان عصر الشتات، كانت الولاءات تياراتٍ شخصية تنسب إلىٰ أعلام تلك الولاءات ومحاورها.

فـ« العلويون » و « العثمانيون » و « الأمويون » و « أصحاب عليّ » و « شيعة عليّ» و «أهل السنّة والجماعة»، كلّها كانت ولاءات في بداية أمرها، وولدت هذه الولاءات بعض المذاهب.

ووُلدت بعض المذاهب لولاءٍ معيّن نتيجة لإفرازاتٍ متعدّدة لذلك الولاء، كادت ـ في بعض مراحله واختلاف الآراء الداخلية فيه ـ أن تفجِّر الولاء ليصبحَ « لا ولاء » !!، بينما بقيت ولادة مذاهب أُخرىٰ طبيعيّةً لتكدّس ذلك الولاء وانبثاقاً من جوهره ومنابعه، بل كانت صيغتها الأوليّة قد رسمت في تصريحات نبي الإسلام العظيم محمّدٍ ﷺ.

فمذهب «الشيعة» كان نتاجاً طبيعيّاً لتكريس معاني الولاء و«الولاية» منذ أوّل أيام الدعوة المحمديّة إلىٰ أيّام مرض الرسول ﷺ.

هذا النتاج الطبيعي ـ والتي كانت حركة أهل البيت عليهم السلام في إطاره حركةً يحكمها مبدأ « تعدّد الأدوار ووحدة الهدف » كما يصطلح عليها السيّد محمّد باقر الصدر ـ تمثّل في معارف الإمام الباقر عليه السلام وعلومه، وحلقات درس الصادق عليه السلام وحديثه، وتوحيديات الرضا عليه السلام وعقيدياته، ليتشكّل « المذهب الجعفري » أو « المذهب الاثنا عشري » أو « المذهب الإمامي ».

والولاء القُرشي المفرز للاجتماع السقيفي ـ والذي وَلَد هو الآخر بدوره نظريّة الشورى؛ التي أنجبت هي الأُخرىٰ امبراطورية آل أبي سفيان؛ أو ما يسمّي في ايديولوجيا التنبأ النبوي بـ « الملك العضوض » ـ كان امتداده الطبيعي نشوء التصوّر الأوّلي للمذاهب السنيّة، وهو ما عرف بـ « السنّة والجماعة » في حادثة تاريخية مشهورة أضفت الملامح الأخيرة « لانقلاب السقيفة الأبيض » كما يصطلح عليه حديثاً.

هذا الولاء ـ نتيجة للظروف آنذاك ـ كان لابُدّ وأن يسرع باتخاذ خُطاً عجلىٰ نحو البلورة الدينية والابستمولوجية لتوجهه الذي رسم له منذ البدايات الأُولىٰ لانقلاب السقيفة ـ وإن كان بريزيدينتات هذا الانقلاب قد شرعوا في محاولات جادّة وحادّة ـ علىٰ حدٍّ سواء !! ـ في التنظير لتلك العملية الخطيرة، التي أفرزت وجود التكتل التمويهي للإسلام المحمّدي الأصيل حتى اللحظة ! فمن «إنّ محمداً

قد مات»، و«منع تدوين الحديث»، إلىٰ « متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله و « أنا » أُحرّمهما وأُعاقب عليهما»، وتشريع « الصلاة خير من النوم»، وجميع عمليات الاجتهاد مقابل النصّ الإغتياليّة المباشرة ـ إلّا أنّه كان لابُدَّ من إضفاء طابع التكامل التشريعي عبادياً ومعاملاتياً، حديثاً، فقهاً، أُصولاً، ايديولوجياً، بل واستراتيجياً !

وهذا الذي أنجب ـ طبقاً للتصوّر التحليلي لحوادث التاريخ الإسلاميّ الأوّل الغامضة ـ الطفلَ المشوَّهَ ابن الستةِ الأشهر والذي عُرِفَ في مابعد بمدرسة الخلفاء أو « مذهب أهل السنّة » أو «السنّة».

وكانت الخطوات عجلى للغاية، ممّا حدى « الخطّ المحافظ » علىٰ أن يقاوم في المرحلة الأُولىٰ، والأهمّ الانحرافَ المُتفشّي في الهيكلية الإسلاميّة الأُولىٰ والثانية[1].

وكانت فترة حكم الإسلام الثانية[2] ـ حكومة عليّ عليه السلام ـ مستعدّة ومتأهّبةً للقيام بعملية التصحيح هذه، إلّا أنّ انقضاض البرجوازية القرشية كان قد استفحل سرطاناً دَمويّاً هائلاً؛ جعل «التنظير» في

---

(١) الهيكلية الإسلامية الأُولىٰ: عصر الانقلاب الأبيض وامتداده إلىٰ عهد عمر ابن الخطّاب.

الهيكلية الإسلامية الثانية: عصر الانحراف والاختلاس والفساد المالي والإداري في عهد الخليفة الثالث.

(٢) فترة حكم الإسلام الأُولىٰ: عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

حكومة الإسلام الثانية ينصبُّ علىٰ «العقيدة والتوحيد والبعثة» من جذورها، حيث كانت حتىٰ هي قد طالتها يد الاغتيال البيوقراطي القُرشي!

وإن كانت هناك لمسات جادّة في هذه الحكومة علىٰ بعض ملابسات التشريع، كإقرار «حيّ على خير العمل» من جديد، ومنع «التراويح» البدعة العُمريّة الحسنة كما أسماها ـ اجتهاداً في مقابل النصّ ـ مؤسسُها نفسه والتي مثّلت أوجاً بالغاً في إطار حركة اغتيال النصّ التشريعي كمثيلاتٍ عديدةٍ لها.

إلّا أنّ الخطر كان جللاً والمصابَ فادحٌ فادح!

ويمكن من خلال المرور السريع علىٰ عواصف التأرجح المقصود بعد الرسول ﷺ أن يدرَك أنّ البيت المحمدي نفسه وُلِدت فيه مذاهبٌ أفرزها الولاء، إلّا أنّ بعضها كان قد صيغ أيّام الرسول ﷺ، وبعضُها لم يحظَ بتلك الصياغة فصيغَ صياغةً نصفية، أدّت فيما أدّت إلىٰ الإنقسام الذي أبهج فيمن أبهج إفرازات السقيفة والبيت السفياني الأموي.

ولكنَّ هذا كلّه لا يمنع من أن تكون هنالك قواسمٌ مشتركة في الصياغتين، بل وإن تكون كلاهما صياغتين محمّديتين، وأن يصبح كلّ مافي الأمر هو أنّ صياغةً منهما استطاعت أن تكون معمّدةً بشكلٍ مطلق والأُخرىٰ معمّدةً إلىٰ حدٍّ ما.

واليمنُ في هذه الدوّامة ليست إلّا قوماً وأرضاً أُريدَ لهما ـ كما أريد لكلّ أصقاع الأرض ـ أن تحكمها الشريعة الإلهيّة، وكأنّها قد تلمّستْ خيوطَ الولاء المحمدي الأصيل، بل وكانت لها ردّاتُ فعلٍ أمام البيوقراطيّة القرشية؛ تعتبر ردّة الفعل أمام الحركة الأُولىٰ التنفيذية لمعطيات السقيفة هي شهادة ثلّة من اليمنيين علىٰ يدي عكرمة منفّذ الخطة في اليمن، فقد بقيت محتفظةً بوعيها لما حدث في المدينة وما تلاه من حوادثٍ أفرزتها فترة الحكم القرشي الأوّل !!

وقادها بصيص الضوء هذا إلىٰ أن تصهر نفسها ـ أرضاً وشعباً ـ في بوتقة « الزيديّة » إحدىٰ صياغات الولاء في البيت المحمّدي النبوي.

الزيديّة.. وزيدية اليمن:

كانت الزيديّة ـ باستدعاء مُرسي سفينتها في اليمن الإمام الهادي الرسّي ـ هي الكتيبة التي لم تَرَ اليمنُ بديلاً لها للانضواء تحت رايته.

والكتيبة في حقبة التاريخ اليمني الذي جاوز الألف عام أفرزت «كتائب»، والكتائب هذه كلّها بوعي كامل منها للزيت الذي يُغذّى فتيلَ البقاء في هذه الأرض لم يكن يتحرك ـ على الإطلاق ـ إلّا تحت مظلّة «أهل البيت» و «الحقّ الإلهي في إمامة أهل البيت».

ويرجع «الشيخ الأشعري»[1] إلىٰ «الجذور الأُولىٰ» لنشوءِ الزيديّة فيقول ـ بعد أن تحدّث عن الشيعة العلوية (نسبةً إلىٰ عليّ بن أبي طالب لا الشيعة العلوية الفرقة المعاصرة) وتقسيمها والوصول بذلك التقسيم إلىٰ من ساق الإمامة بعد الإمام الحسين عليه السلام في ابنه

---

(١) سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القُمي أبو القاسم، شيخ الطائفة الإمامية وفقيهها ووجهها، جليل القدر واسع الأخبار، كثير التصانيف، ثقة، ت ٢٩٩ أو ٣٠١هـ. أُنظر: معجم رجال الحديث ٩: ٧٧، مقدّمة الدكتور محمد جواد مشكور علىٰ كتاب «المقالات والفرق»، الأعلام ٣: ٨٦.

الإمام السجّاد عليه السلام ومن لم يَسُقْها:

«وفرقة قالت: إنّ الإمامة صارت بعد مضيّ الحسين في ولد الحسن والحسين في جميعهم؛ فهي فيهم خاصة دون سائرهم من ولد عليّ، هم كلُّهم فيها شرع سواء لا يعلمون أيّاً من أي، فمن قام منهم ودعا إلىٰ نفسه وجرّد سيفَه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة عليّ بن أبي طالب، موجوبة إمامتُه من الله علىٰ أهل بيته وسائر الناس كلّهم، وإن كانت دعوته وخطبه للرضا من آل محمّد فهو الإمام؛ فمن تخلّف عنه ـ عند قيامه ودعائه إلىٰ نفسه من جميع أهل بيته وجميع الخلق ـ فهو كافر مشرك ضالّ، هو وكلّ من اتّبعه علىٰ ذلك وكلّ من قال بإمامته ودان بها، وهؤلاء فرقةٌ من فرق الزيديّة يسمّون (السرحوبية) ويسمّون (الجارودية)، وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر[1]، وإليه نُسبت الجارودية، وأصحاب أبي

---

(١) الأعمى الهمداني الكوفي: مؤسس الجارودية من فرق الزيديّة وأحد رجالها، ولم يستخدم تسميةَ السرحوبية في فرقته غير متكلّمي الشيعة وعلماء رجالهم ومحدّثيهم والمتقدّمين منهم بالذات. قال السيّد الخوئي: «أمّا أنّه كان زيدياً فالظاهر أنّه لا إشكال فيه، وأمّا تسميته بسرحوب عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام فهي رواية مرسلة من الكشي لا يعتمد عليها، بل إنّها غير قابلة للتصديق، فإنّ زياداً لم يتغيّر في زمان الباقر عليه السلام وإنّما تغيّر بعد خروج زيد، وكان خروجه بعد وفاة أبي جعفر عليه السلام بسبع سنين. فكيف يمكن صدور ←

خالد الواسطي [عمرو بن خالد][1]، وأصحاب فضيل بن الزبير الرسان[2].

ومن الزيديّة فرقة تسمّىٰ « الصباحية » وهم أصحاب « صباح المزني »[3]، وأمرهم أن يعلنوا البراءة من أبي بكر وعمر وأن يقرّوا بالرجعة.

وفرقة منهم تُسمّى « اليعقوبية»، وهم أصحاب يعقوب بن عدي أنكروا الرجعة، ولم يؤمنوا بها ولم يتبرأوا ممّن أقرّ بها ولم يتبرّأوا من أبي بكر وعمر ... فالتقىٰ هؤلاء مع الفرقتين اللتين قالتا أنَّ علياً أفضل الناس بعد النبيّ فصاروا جميعاً مع زيد بن علي بن الحسين عند خروجه بالكوفة، فقالوا بإمامته فسمّوا كلّهم في الجملة

← هذه التسمية من أبي جعفر عليه السلام ...» أُنظر: الفلك الدوّار: ١٥٥، وراجع: معجم رجال الحديث ٨: ٣٣٢ ـ ٣٣٦.

(١) عمرو بن خالد أبو خالد الواسطي، من أشهر أصحاب زيد بن علي وراوي مجموعة (مسنده)، توفّي في عشر الخمسين والمائة. أُنظر: لوامع الأنوار ١: ٣٢٦، معجم رجال الحديث ١٤: ١٠٢.

(٢) صاحب دعوة زيد بن علي، قال البغدادي: إنّه ممّن اشتهر بالأخذ عن زيد بن علي إلىٰ أبي حنيفة، وهو أخو عبد الله بن الزبير. أُنظر مطلع البدور ٤: ١٣، معجم رجال الحديث ١٤: ٣٤٦.

(٣) صباح بن يحيى المزني: عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام قائلاً: « صباح بن يحيى أبو محمّد المزني الكوفي، أسند عنه » أُنظر معجم رجال الحديث ١٠: ١٠٤.

« الزيديّة»، إلّا أنّهم مختلفين فيما بينهم في القرآن والسنن والشرائع والفرائض والأحكام والسير، وذلك أنّ السرحوبية[1] قالت: الحلال حلال آل محمّد والحرام حرامهم والأحكام أحكامهم وعندهم جميع ما جاءَ به محمّد ﷺ كلّه كاملاً، عند صغيرهم وكبيرهم، الصغيرُ منهم والكبير في العلم سواء، لا يفضل الكبير منهم الصغير؛ من كان منهم في الخرق والمهد إلىٰ أكبرهم سنّاً.

وقال بعضهم: إنّ من ادّعى أنّ من كان في المهد منهم والخِرَق وليس علمه مثل علم رسول الله ﷺ فهو كافر بالله مشرك، لا يحتاج أحد منهم أن يتعلّم منهم ولا من غيرهم من الخلق علماً، العلم ينبت في صدورهم كما ينبت الزرع بالمطر؛ فالله قد علَّمهم بلطفه كيف شاء.

وإنّما قالوا بهذه المقالة كراهةَ أن يلزموا الإمامة بعضهم دون بعض، فينقض قولهم أنّ الإمامة صارت فيهم جميعاً؛ فهم فيها شرع سواء، إلّا أنّه لا يستحقُّ أحدٌ منهم فرضاً علىٰ الإمامة والسمع والطاعة حتى يظهر نفسه ويدعو الناس إليه بالسيف، فإذا لم يفعلوا فهم كلّهم في الجملة ليسوا علماء.

وهم مع ذلك لا يأثرون عن أحد منهم علماً ينتفع به إلّا ما يروونه

---

(١) مرَّ تضعيف الزعيم السيّد الخوئي قدّس الله سرّه لرواية تسمية أبي الجارود بـ « سرحوب ».

عن أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين وابنه أبي عبد الله جعفر بن محمّد، وأحاديث قليلة عن زيد بن علي بن الحسين، وأحرفاً يسيرة عن عبد الله بن حسن، ليس ممّا قالوه وادّعوه في أيديهم شيء أكثر من دعوى محالة كاذبة؛ لأنّهم وصفوهم بأنّهم يعلمون كلّ شيء تحتاج إليه الأُمّة من أمر دينهم ودنياهم ومنافعها ومضارّها بغير تعليم.

وأمّا سائر فرقهم: فإنّهم وسّعوا الأمر، فقالوا: العلم مبثوث مشترك فيهم، وفي عوام الناس؛ فهم والعوام من الناس فيه سواء، فمن أخذ منهم أو من واحد منهم علماً لدين أو دنيا ممّا يحتاج إليه أو أخذه من غيرهم من العوام فموسّع ذلك له، فإن لم يوجد عندهم ولا عند غيرهم ممّا يحتاج إليه من علم دينهم فجائز للناس الاجتهاد والاختيار والقول بآرائهم، وهذا قول الزيديّة الأقوياء منهم والضعفاء[1].

فأمّا الضعفاء منهم فسمّوا «العجلية»، وهم أصحاب «هارون بن [سعد] العجلي»[2]، وفرقة منهم يسمّون «البترية»، وهم أصحاب «

---

(١) وقد يكونُ هو القول المتَّفق عليه ـ تقريباً ـ بين زيدية اليمن المعاصرة.

(٢) هارون بن سعد العجلي: من أصحاب زيد بن علي عليه السلام بايع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وتولّى له قضاء «واسط» (ت ٨٣ /هـ)، انظر: الفلك الدوّار: ١٥٠، معجم رجال الحديث: ٢٠: ٢٤٨.

كثير النوا »[1]، و « الحسن بن صالح بن حي »[2]، و « سالم بن أبي حفصة »[3]، و« الحكم بن عتيبة »[4]، و « سلمة بن كهيل »[5]، و«أبي المقدام ثابت الحداد »[6]، وهم الذين دعوا الناس إلىٰ ولاية عليّ وخلّطوها بولاية أبي بكر وعمر، وهي عند « العامة » أفضل هذه الأنصاب؛ وذلك أنّهم يفضّلون عليّاً ويثبتون ولاية أبي بكر وعمر، وينتقصون عثمان وطلحة والزبير، ويرون الخروج مع كلِّ من خرج من بطون وُلْد عليّ بن أبي طالب، يذهبون في ذلك إلىٰ الأمر

---

(١) كثير النوا: كثير بن إسماعيل النواء، أبو إسماعيل، مولى بني تميم، بايع زيد ابن علي وهو رأس البترية، انظر: مطلع البدور ٤: ٥٧، الفلك الدوّار: ١٤١، معجم رجال الحديث ١٥: ١١٢.

(٢) الحسن بن صالح بن حي: أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي (١٠٠ ـ ١٦٩) من خواص عيسىٰ بن زيد بن علي، أُنظر: الفلك الدوار: ٩٢، معجم رجال الحديث ٥:٣٥٢.

(٣) سالم بن أبي حفصة: أبو يونس العجلي الكوفي، توفّي حدود ١٤٠هـ روى عن زيد بن علي، أُنظر: الفلك الدوّار: ١٥٨، معجم رجال الحديث ٩: ١٥ ـ ١٩.

(٤) الحكم بن عتيبة: أبو محمّد الكندي الكوفي من البترية، ت ١١٤ أو ١١٥، انظر: معجم رجال الحديث ٧: ١٨٢.

(٥) سلمة بن كهيل: أبو يحيىٰ الحضرمي، من أتباع زيد بن علي (٤٧ ـ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣)، أُنظر: الفلك الدوار: ٨٨، معجم رجال الحديث: ٩: ٢١٧.

(٦) أبو المقدام ثابت الحدّاد: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد عليه السلام وهو ثابت ابن هرمز الحدّاد، أُنظر: معجم رجال الحديث ٤: ٣٠٥.

بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثبتون لكلٍّ من خرجَ من وُلد عليٍّ الإمامةَ عند خروجه لا يقصدون في الإمامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، وكل ولد عليٍّ عندهم على السواء من أيِّ بطن كان.

وأمّا الأقوياء منهم، فهم أصحاب أبي الجارود، وأصحاب أبي خالد الواسطي، وأصحاب فضيل الرسان، ومنصور بن أبي الأسود[1].

فأمّا الزيديّة الّذين يدعون « الحصينية » فإنّهم يقولون: من دعا إلىٰ طاعة الله من آل محمّد ﷺ فهو إمام مفترض الطاعة، وكان عليّ بن أبي طالب إماماً في وقت ما دعا الناس وأظهر أمره، ثمّ كان بعده الحسين إماماً عند خروجه وقبل ذلك، وأنّه كان مجانباً لمعاوية وليزيد بن معاوية حتى قتل، ثمّ زيد بن علي بن الحسين المقتول بالكوفة، وأمُّه: أمُّ ولد، ثمّ يحيى بن زيد[2] المقتول بخراسان، وأمُّه

---

(١) منصور بن أبي الأسود: قال النجاشي: كوفي، ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام: وهو من علماء الزيديّة ومصنّفيهم. أُنظر: معجم رجال الحديث ١٩: ٣٦٨، الفلك الدوّار: ١٤٨.

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أبو عبد الله، وقيل: أبو طالب، (٩٧ أو ٩٨ ـ ١٢٦ أو ١٢٥) قتل أيام الوليد بن يزيد ودفن بـ« أنبير » في إيران، قام بعد أبيه وعلى منهجه ـ للمزيد انظر: الإفادة ليحيى ابن الحسين الهاروني (أبي طالب): ٦٨، الحدائق الوردية ١: ١٥٢ ـ ١٥٤، ←

ريطة بنت أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية، ثمّ ابنه الآخر عيسى بن زيد[1]، ثم محمّد بن عبد الله بن حسن، وأمُّه: هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ثُمّ من دعا إلىٰ طاعة الله من آل محمّد فهو إمام.

وأمّا «المغيرية»: أصحاب المغيرة بن سعيد[2] فإنّهم نزلوا معهم إلىٰ محمّد بن عبد الله بن حسن، ونزّلوه وثبّتوا إمامته، فلمّا قتل صاروا لا إمام لهم ولا وصيّ، ولم يثبتوا لأحد إمامةً بعده»[3].

وأمّا عن بدء الإمامة الزيديّة في اليمن بالذات فيكتب حسن الأمين: «الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هو الإمام الأوّل في اليمن ومؤسس الإمامة وناشر

← التحف شرح الزلف: ٥١، معجم رجال الحديث ٢١: ٥٤، الغدير ٣: ٢٦٩، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ: ٥٠٢ ـ ٥٠٥.

(١) عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: يلقّب: بـ(موتم الاشبال): أبو يحيى، مات مسموماً سنة (١٦٦هـ) وعمره ٤٥ سنة، عدّه البرقي من أصحاب الصادق عليه السلام وعداده في الكوفيين، أُنظر: مقاتل الطالبيين: ٢٧٨، الأعلام ٥:١٠٣، معجم رجال الحديث ١٤:٢٠٤.

(٢) المغيرة بن سعيد: قتل عام ١١٩هـ. انظر: معجم رجال الحديث ١٩: ٢٩٩ ـ ٣٠٣.

(٣) المقالات والفرق: ٧١ ـ ٧٤.

المذهب الزيدي فيه الذي بلغ عدد أئمته في اليمن منذ الهادي حتىٰ محمّد البدر ستّة وستّين إماماً بدأ حكمهم من سنة ٢٨٤ هجرية[١].

كان الهادي يسكن المدينة في الحجاز علىٰ قول، أو الرس بين الحجاز ونجد على قول آخر، فجاءه وفد من اليمن يدعونه للذهاب معهم ليلي الأمر هناك وذلك سنة ٢٨٠هـ.

إلىٰ هنا والرواية معروفة، ولكن كيف كان الحال في اليمن ؟ وماهي العوامل التي دعت لاختيار يحيى بالذات؟ وكيف كان يحيى هذا يعيش في موطنه؟ وكيف اشتهر أمره حتىٰ بلغ اليمن فدعاه أهله إليهم ؟

كلّ هذا يختفي خلف جلباب من الغموض لم يفصح عنه أحد من المؤرّخين في الكتب التي بين أيدينا، ولعل في مخطوطات اليمن الكثيرة ما يجلو بعض ما خفي من الحقائق.

على أني حاولتُ جلاء هذه النقطة مشافهة من بعض العرفاء

---

(١) عدد الأئمة عند الزيديّة مختلف فيه ويرجع هذا الاختلاف إلىٰ قبول بعض المؤرخين لإمامة بعض الأئمة الذين لا يقبل إمامتهم مؤرخون وعلماء آخرون، ويرجع هذا الاختلاف إلىٰ أسباب أخرى أيضاً. راجع: التحف شرح الزلف، بحوث في الملل والنحل ج٧، التجديد في فكر الإمامة عند الزيديّة في اليمن، الزيديّة، أئمة اليمن، الموسوعة اليمنية، وغيرها من المصادر.

اليمانيين فأكّدوا أن ليس لديهم ما يوضح أكثر ممّا وضح لنا في هذه الأوراق.

ونحن هنا مضطرّون للاستنتاج المنطقي المعقول، فلكي يأتي وفد من اليمن فيطالب يحيى بالذهاب معه ويضمن له النصرة والتأييد، يجب أن تكون هناك بذور زيدية متأصلة، وقواعد شيعية متمركزة، وإلّا فليس من المعقول أن يقدم بضعة أفراد على هذه المغامرة، ولا من المعقول أن يجيبهم إليها يحيى.

أمّا التفاصيل عن هذه البذور الزيديّة والقواعد الشيعية فهذا ما يحجبه عنّا ضباب التاريخ المجهول الذي لم يُدوَّن.

ولكنّ الذي نستنتجه أيضاً أن الشيعة الزيديين هناك لم يكونوا قد بلغوا من التنظيم والعدد ما يمكن أن يرتكز إليهم قيام دولة ناشئة، والدليل على ذلك أن يحيى ـ الذي سنُطلق عليه بعد الآن لقبه الذي ارتضاه لنفسه وهو الهادي ـ لم يلبث بعد أن أجاب الدعوة وذهب إلى اليمن وبويع هناك على النصرة والتأييد، بعد أن بلغ (الشرفة) من بلد (نهم) أن عاد إلى الحجاز، لأنّه لم يجد النصرة الكافية والتأييد المطلوب، ويظهر أن الوفد كان قد بالغ في وصف القوى المؤيّدة والعناصر المناصرة، ولما وصل الهادي وتحقق الأمر لم يشأ أن يدخل في مغامرة غير مضمونة العواقب فآثر العودة إلى موطنه في الحجاز.

وانقضت علىٰ ذلك أربع سنوات وأتت السنة ٢٨٤هـ فعاود اليمانيون الرحلة إليه وأخذوه معهم من جديد، ومضوا به إلىٰ صعدة، فاستتب له الأمر، وتقدّم إلىٰ نجران وبرط فملكهما وملك أعمالهما، ثمّ استدعاه أبو العتاهية بن الرويـة إلىٰ صنعاء في المحرّم سنة ٢٨٨هـ، ثمّ عاد إلىٰ صعدة، ويقول بعض المؤرّخين اليمنيين: إنّ الفوضى المنتشرة في اليمن يومذاك، والفتن السائدة كانت من العوامل الفعّالة في نجاح دعوة الهادي»[١].

ويعرّف الفضيل ـ وهو من الزيديّة ـ «الزيديّة الطائفة»: «يطلق هذا الإسم في عرف الزيديّة علىٰ أئمة أهل البيت النبوي الشريف ومن تابعهم في العدل والتوحيد، والقول بإمامة زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ووجوب الخروج ـ الثورة ـ علىٰ الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة، مع القول بتفضيل الإمام عليّ كرم الله وجهه، وأولويته بالإمامة، وقصرها من بعده في البطنين الحسني والحسيني»[٢].

ثم يقول: «ولا يوجد اليوم في اليمن من الفرق الزيديّة إلّا هذه الفرقة التابعة لأئمة أهل البيت النبوي الشريف ومن وافقهم من الفقهاء المجتهدين من غيرهم...

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٧: ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) الزيديّة نظرية وتطبيق: ١١.

أمّا بقيّة الفرق الزيديّة كالجارودية والسليمانية والصالحية والبترية فلا توجد اليوم إلّا في بطون الكتب والمؤلّفات في الفرق الإسلامية كالملل والنحل ونحوها، ومعظمها إنّما كان عائشاً في العراق حيث ظهوره ومولده فيه»[1].

ويوافق « السبحاني » في موسوعته « بحوثٌ في الملل والنحل» الفضيل في أكثر النقاط التي طرحها حول الزيديّة، وهي:

١ ـ إنّ كلّ فرق الزيديّة قد بادت وذهبت أدراج الرياح مع بقاء الزيديّة في اليمن، وأن تلك الفرق (لا توجد إلّا في بطون الكتب).

٢ ـ إنّ المذهب الفقهي المتداول في اليمن ليس المراد منه المذهب الزيدي، بل القواعد والأُصول التي أُخذت من أقوال القاسم ابن إبراهيم[2] وأولاده وحفيده الهادي.

٣ ـ إنّ زيد بن عليّ لم يطلق علىٰ أتباعه الزيديّة ولم يطلقها حتىٰ أتباعه عليه، وإنّما صارت اللفظة إشارةً لمن يسلك مسلكه لما جاء

---

(١) الزيديّة نظرية وتطبيق: ١١.

(٢) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي (١٦٩ ـ ٢٤٦) أبو محمّد، الرسّي نسبةً إلىٰ جبل الرَسّ بالقرب من ذي الحليفة علىٰ ستة أميال من المدينة المنورة، من أوائل أئمة الزيديّة وكبارهم، عالم، شاعر، مناظر، أعلن دعوته بعد موت أخيه، له مؤلّفات ورسائل عديدة وهو جدّ الهادي يحيىٰ بن الحسين، وله أخبار طوال، انظر: الإفادة: ١١٤، التحف: ٧٨ ـ ٨٢، الحدائق الوردية ٢: ٢ ـ ١٣، الأعلام ٥:١٧١.

الثائرون بعد زيد ، ناهجين منهجه.

ويخالف السبحاني الفضيلَ في نسبته التسمية إلىٰ حكام بني أُمية ، حيث يرىٰ السبحاني : أنّها جاءت مع مجيء الثائرين الناهجين منهج زيد[1].

ويقول الأستاذ علي محمد زيد: «نشأت الزيديّة ، أوّل ما نشأت ، عن موقف جماعة من الشيعة التفّت حول فكرة وجوب (الخروج) على الحاكم الظالم المتمثل وقتها في سلطة الخلافة الأموية ومقاومتها ،[2] وهي فكرة تتعارض والموقف الذي اتبعه تيارٌ من الشيعة تمحور من حول الإمام محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ (ت سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م) وابنه جعفر الصادق من بعده (الإمامية أو الاثنا عشرية فيما بعد)[3].

---

(١) الزيديّة نظرية وتطبيق : ١٢ ، بحوث في الملل والنحل ٧: ٤٦٣.

(٢) القولُ بأنّ الجماعة ـ التي التفّت حول فكرة وجوب (الخروج) على الحاكم الظالم ـ كانت من الشيعة فقط قول خالٍ من التحقيق ، والتاريخ ـ بعد تقليبٍ مجدّدٍ لأوراقه ومراجعةٍ دقيقة لتدوينه ـ مليٌّ بأن يُثبت أن جيش الإمام زيد بن علي عليه السلام كان حقلاً من ولاءاتٍ متعدّدة لا يمكن حصرها بالشيعة فقط !!.

(٣) وهذا قول آخرُ للدكتور على محمّد زيد لا يتفق والحقيقة في أحد مداراتها؛ فما الذي يثبت أنّ فكرة الخروج كانت معارضة من قبل (التيّار الذي تمحور حول الإمام الباقر والصادق) ؟ وإلّا فماذا يعني دعم الإمام ←

وقد وجدت هذه الجماعة في الإمام زيد بن عليّ بن الحسين رمزاً يلتفّون من حوله لينسبوا فيما بعد إليه، فقد خرج زيد سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠ م وقاتل عامل الأمويين في الكوفة في خلافة هشام ابن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ / ٧٢٣ ـ ٧٤٢ م) وانتهت المعركة بمقتله بعد أن انفضَّ عنه عدد كبير من أنصاره ممّن عرفوا (بالرافضة)، لامتناع الإمام زيد عن موافقتهم في قولهم في إنكار صحة خلافة الشيخين أبي بكر وعمر قبل عليّ، وقوله بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[1].

انقسمت الزيديّة بعد الإمام زيد إلىٰ فرقتين رئيسيتين، هما: (البترية) و (الجارودية) مع وجود فرق أصغر متفرعة عنهما، كانت

← الصادق لحركة الامام زيد ولحركات من بعد زيد. ويمكن أن تُعْتَبر منهجية (أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف) طرحاً مناسباً لحلّ هذه الأزمة التاريخية العقائدية.

(١) لم يثبت أنّ سبب رفضهم له هو امتناعه عن موافقتهم في قولهم في إنكار صحة خلافة الشيخين، وإن كان السبب هو الامتناع فله أسبابه التي لا تدلّ علىٰ اعتقاد زيد بصحة خلافة الشيخين، ولم يثبت كذلك قول زيد بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. وهنالك مناقشاتٌ ونظريّاتٌ عديدة حول تعريف الرافضة وتعيينهم. راجع لوامع الأنوار ١: ٢٠٩ ـ ٢١٢، حول سبب الرفض. والبحر الزخّار (المقدّمة): ٤٠ حول نسبة القول بجواز إمامة المفضول إلىٰ البترية لا إلىٰ زيد، وتحرير الأفكار للحوثي: ٤٠٩، وتاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ٥٥٨ ـ ٥٦٤ حول تعريف الرافضة وتعيينهم.

(البترية) فرقة كوفية قريبة في آرائها من جماعة (أهل الحديث) وفقهاء مذاهب السنّة فيما بعد، في حين كانت (الجارودية) قريبة في آرائها من الإمامية، من حيث إنكار إمامة الخلفاء الأُوَل، والقول بإمامة عليّ والحسن والحسين بالنصّ من النبيّ ﷺ. وقد تغلّبت آراء الجارودية في الزيديّة منذ القرن الثالث الهجري إلىٰ أن جاء بعض أئمة الزيديّة المتأخرين في اليمن فأدخلوا بعض التغيير علىٰ آرائها الأصلية، على الرغم من أنّ الإمام الهادي يحيى بن الحسين، وهو أوّل من أدخل الزيديّة إلىٰ اليمن كان ما يزال في موقفه من الخلفاء الأُول جارودياً.

وقد كان مبدأ (الخروج) على الإمام (الحاكم) الظالم هو ما ميّز الزيديّة عن غيرها من فرق الشيعة ومذاهب أهل السنة، ولذلك خرج كثير من دعاة الزيديّة وأئمتها ولقوا حتفهم في مقارعة الخلافتين الأموية والعباسية، ومن أشهرهم: يحيى بن زيد بن عليّ في خراسان (ت ١٢٥هـ / ٧٤٣م)، ومحمّد بن عبد الله بن الحسن في المدينة المنوّرة، وأخوه إبراهيم في البصرة (ت ١٤٥هـ / ٧٦٢ م) والحسين بن عليّ الفخّي في (فخ)، وهي علىٰ الطريق بين مكة والمدينة (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥ م)، ومحمّد بن إبراهيم (أخو القاسم بن إبراهيم الرسّي)، ومحمّد بن زيد بالبصرة (ت ١٩٩هـ / ٨١٤هـ)...

ويلاحظ أنّ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي لا يتحدّث عن

(الخروج) نصّاً كشرط من شروط الإمام، بل قال: إنّ طريق الإمامة «الدعوة العلنية غير المكتومة»، وحوّل الهجرة الجماعية لقتال الإمام الظالم إلىٰ هجرة فردية عن طريق قطع الفرد المسلم علائقه بالحكّام الظَلَمة وعدم مُخَالَطَتهم، وهذا النصّ ينطبق علىٰ وضعه الخاصّ بعد مقتل أخيه محمّد بن إبراهيم في (خروجه) على الخلافة، فقد استقرّ القاسم في الرس في حالة من الانقطاع والزهد، وعمل علىٰ بث الدعوة الزيديّة في طبرستان، فكانت النتيجة ظهور أوّل دويلة زيدية هناك بعد أربع سنوات من موت القاسم سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م). وكان حفيده الإمام الهادي هو الذي جاء ليؤسس دولة زيدية في اليمن في خروجه الثاني عام (٢٨٤هـ / ٨٩٧م).

وفي اليمن بدأت الزيديّة مرحلة جديدة دخل بواسطتها علم الكلام المعتزلي، ليساهم في تنشيط الحياة الفكرية ويوطّد تقاليد الجدل والاجتهاد الفقهي، اللذين أورثا ذلك النتاج الأدبي والفقهي الواسع في الكتابة والتعليم الديني[1].

ولا يمكن الحديث قبل الإمام المجتهد العلّامة المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى في النصف الأوّل من القرن التاسع الهجري عن تيار فكري واحد يسود الزيديّة، ولا عن شروط للإمام ثابتة العدد،

---

(١) مازال هنالك مجالٌ واسع لمناقشة هذا الرأي الّذي لم يأتِ ـ وقد لا يأتي ـ على الزيديّة اليومُ الذي ترتأى فيه هذا الطرح !!

بل كان العلماء والأئمة يسهمون في الجدل، ويجتهدون بقدر ما تسمح لهم مواهبهم وحظوظهم من العلم، على الرغم من أنّ بعض شروط الإمام كانت مقبولة عند الجميع.

ولذلك نجد أقوال الهادي يحيى بن الحسين متميّزة عن أقوال جدّه القاسم بن إبراهيم، وشروطه للإمام متميّزة عن شروط القاسم، وهذا ما نجده أيضاً عند الحسين بن القاسم العياني، والمتوكّل أحمد ابن سليمان، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة، والمؤيد يحيى بن حمزة، بل إنّنا قد نجد تمايزاً بين ما كتبه الهادي قبل انهماكه في القتال لتثبيت إمامته[1]، وبين ماكتبه خلال ذلك ـ أمضى فترة إمامته في اليمن حتى مماته في حروب مستمرّة مع أمراء ودويلات عصره التي كانت تتنازع ولاء القبائل المختلفة ـ وبين ما كتبه بعد أكثر من قرنين أحمد بن سليمان حينما كان علىٰ وفاق مع المطرفية، يشاركهم الأخذ بتراث علم الكلام كما ترسخ في اليمن، وبين ما كتبه بعد ذلك عقب وصول كتب المعتزلة الجبائية من العراق مع القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام والفقيه محمّد بن سعد المرادي.

ومنذ مجيء الهادي إلىٰ اليمن تعاقب الأئمة علىٰ دول تمتدّ فتسيطر علىٰ كل اليمن أحياناً، وتنكمش إلىٰ دويلة صغيرة في

---

(١) من الصعب التسليم بأنّ الإمام الهادي انهمك في القتال لتثبيت إمامته فقط.

الشمال أحياناً أخرىٰ، بل وقد تختفي نهائياً لبعض الوقت بحسب الظروف السياسية في البلاد، حتىٰ أعلن إلغاء الإمامة رسميّاً بقيام الثورة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م وأعلنت الجمهورية...

ويمكن القول علىٰ وجه الإجمال: إنّ ما تجمع غالبية الزيديّة عليه هو الاعتقاد بأنّ نصب الإمام واجب علىٰ المسلمين، وأنّ أدلّة الإمامة سمعية لا عقلية، أي مستمدّة من الكتاب والسنّة وأقوال الأئمة، واعتقاد إمامة عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين بنصّ (خفي) يستنتج من تأويل أقوال النبيّ ﷺ، متميزة بذلك عن الإمامية والإسماعيلية وغيرهما ممّن تقول بإمامة عليّ والحسن والحسين بنصّ (جليّ) واضح[1].

وترى الزيديّة أنّ الإمامة بعد الأئمة الثلاثة الأُول في من دعا من أبناء الحسن والحسين إلىٰ مبايعته، وخرج لمقارعة الحكام الظلمة. وعلى الرغم من أنّ الزيديّة تحصر الإمامة في أبناء الحسن والحسين، فإنّها ترفض أن تكون الوراثة طريقاً إلى الإمامة، وإن كان تاريخ الإمامة قد شهد ظهور عدد من الأُسر الحاكمة مثل آل الهادي، وآل القاسم العياني، وآل شرف الدين، وآل القاسم بن محمّد الذي كان آخرهم حميد الدين، بل أنّ كلّ إمام كان يعمل

---

(١) لم يثبت أنّ الزيديّة تقول بالنصّ الخفيّ إلّا ما كان من (البترية)، وأمّا زيدية اليمن فالأكثرية من علمائها وأئمتها يقولون بالنصّ الجليّ.

لضمان أن تنتقل الإمامة إلىٰ ابنه[1].

وترىٰ الزيديّة أنّ طريق الإمامة الدعوة والخروج وليس (العقد والاختيار)، كما قالت المعتزلة وجمهور السنّة، وتكاد الشروط المثالية للإمام لدى الزيديّة، (ما عدا شروط النسب والدعوة والخروج) تماثل شبيهتها لدى أهل السنّة من خلال تأكيدها علىٰ التمكّن من علوم الدين والاجتهاد، والورع، والأمانة، والشجاعة، هذا من حيث المبدأ، لكن التطبيق العملي قد جعل (الغلبة) للقوة وللقدرة علىٰ حشد المحاربين، وفي تاريخ اليمن شواهد انتصر فيها القوي علىٰ العالِم كما في حالة سقوط الإمام المؤيّد يحيى بن حمزة، والإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى.

ولم يحدث أن استقرّت الزيديّة علىٰ قائمة موحّدة لأئمتها على الرغم من وجود إجماع علىٰ إمامة أبرزهم، فشروط الإمامة بتشديدها علىٰ العلم والاجتهاد من جهة، وعلى الخروج من جهة أُخرى، قد جعلت العديد من الأُمراء يخرجون عن القائمة، لكن الخلاف عادة ما يشتدّ وقت الحدث، أمّا في ما بعد فغالباً ما يحمل الجميع على السلامة، ويميل مؤرّخو الزيديّة إلىٰ إعذار الجميع لأسباب عقيدية، وهو ما نجده ـ مثلاً ـ في أعمال حُميد المُحلي، وأحمد بن يحيى بن المرتضى، ويحيى بن الحسين بن القاسم بن

(١) هذا الرأي ـ ما يزال ـ بحاجةٍ إلىٰ استقراءٍ أدقّ.

كتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران
تاسیس ۱۳۷۴

محمّد، وأخيراً المؤرّخ المعاصر محمّد بن محمّد زبارة.

وعند الزيديّة درجات أقلّ من منصبة الإمام، مثال (المحتسب) و (الداعي)، ولا يوجد في الواقع تعريف جامع مانع معترف به دائماً لهذين المنصبين في تراث الزيديّة المبكر، وفيما بعد، في اليمن، بدأت محاولات تعريفهما، من ذلك: أنّ من لم تتوفّر لديه شروط الإمامة كاملة كان يعلن نفسه (محتسباً) لإمام أو حاكم عاصره، وقد جعل بعض مجتهدي زيدية اليمن شرط (المحتسب) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن جماعة المسلمين في مواجهة أيّ اعتداء عليها، وحماية الضعيف، ولم يعطوه حقّ إمامة صلاة الجمعة، وجباية الزكاة، وإعلان الجهاد، وتطبيق العقوبات الشرعية، لكن الواقع أنّ بعض المحتسبين أو الدعاة كانوا يتخذون ذلك مقدّمة لاختبار مدىٰ تجاوب القبائل معهم لإعلان إمامتهم، وبعضهم كان يعلن نفسه إماماً معارضاً لإمام يعترف به المؤرّخون فيطلقون على المعارض لقب (داع).

وفي عصر خروج الناصر الأطروش (ت ٣٠١هـ / ٢ـ٩١٣م) في طبرستان، والهادي يحيى بن الحسين في اليمن، أعلن الناصر جواز قيام إمامين إذا تباعدت المسافة بين الإقليمين أو (المصرين)، وهو ما قال به أيضاً صاحب (الأزهار) المهدي أحمد بن يحيى المرتضىٰ،

وشرّاحه الذين كان آخرهم شيخ الإسلام الشوكاني[1] في (السيل الجرّار)، لكن الإمامة في الأساس شمولية لا تعترف بغير إمام واحد في كلّ ديار الإسلام، وإن كان التاريخ قد شهد في فترات عديدة قيام أكثر من (إمام) ينازع (أئمة آخرين) في بلد واحد هو اليمن»[2].

(١) قد لا يرتضى كثيرٌ من علماء الزيديّة المحافظين المعاصرين تسمية الشوكاني بـ(شيخ الإسلام).

(٢) الموسوعة اليمنية ١: ٤٩٦ ـ ٤٩٩.

زيد بن عليّ عند الشيعة الاثني عشرية:

ارتبطت الزيديّة باسم زيد بن عليّ ارتباطاً قوياً حتىٰ أصبح اسم الزيديّة لا يُذكر إلّا ويذكر زيد بن عليّ، مع أنّ الفرق التي تكوّن الزيديّة لها رؤساؤها ومَن أحدثوها، لكنَّ زيد بن علي عليه السلام في كتب الإمامية الاثني عشرية رجلٌ مشهور وذو فضيلة عظيمة.

يترجم له الشيخ المفيد بقوله: «وكان زيد بن عليّ بن الحسين عينَ إخوته بعد أبي جعفرٍ عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً وَرِعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويُطالبُ بثاراتِ الحسين عليه السلام، أخبرني الشريف أبو محمّدٍ الحسن بن محمّد، عن جدّه، عن الحسن بن يحيى، قال: حدّثنا الحسن بنُ الحسين، عن يحيى بن مساوِر، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، قال: قدمت المدينة فجعلتُ كلّما سألتُ عن زيد بن عليّ قيل لي: ذاك حليف القرآن.

وروى هشيمٌ قال: سألتُ خالد بن صفوان عن زيد بن عليّ ـ وكان يحدِّثنا عنه ـ فقلتُ أين لقيته؟

قال: بالرُّصافة

فقلتُ: أي رجلٍ كان؟

فقال: كانَ ـ ما علمتُ ـ يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بمخاطه.

واعتقد فيه كثيرٌ من الشيعة الإمامة، وكان سببُ اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيفِ، يدعو إلى الرضا من آل محمّد، فظنّوه يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريدها به لمعرفته عليه السلام باستحقاق أخيه للإمامة من قبله، ووصيّته عند وفاته إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام.

وكان سبب خروج أبي الحسين زيد رضي الله عنه ـ بعد الذي ذكرناه من غرضه في الطلب بدم الحسين عليه السلام ـ أنّه دخل علىٰ هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشامٌ أهل الشام وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتىٰ لا يتمكّن من الوصول إلىٰ قربه، فقال له زيدٌ: إنه ليس من عباد الله أحدٌ فوق أن يُوصى بتقوى الله، ولا من عباده أحدٌ دون أن يُوصِيَ بتقوى الله، وأنا أُوصيك بتقوى الله ـ يا أمير المؤمنين ـ فاتّقِه.

فقال له هشامٌ: أنت المؤهِّل نفسَك للخلافة الراجي لها؟! وما أنت وذاك ـ لا أُمَّ لك ـ وإنّما أنتَ ابنُ أمةٍ

فقالَ له زيدٌ: إنّي لا أعلم أحدٌ أعظمُ منزلةً عند الله من نبيّ بعثه وهو ابن أمةٍ، فلو كان ذلك يُقصِّرُ عن منتهى غايةٍ لم يُبْعث، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فالنبوّة أعظمُ منزلةً عند الله أم الخلافة، يا

هشام ؟! وبعدُ، فما يقصُرُ برجلٍ أبوه رسول الله ﷺ وهو ابن عليِّ ابن أبي طالب؛ فوثب هشامٌ عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال: لا يبيتنَّ هذا في عسكري.

فخرج زيدٌ رحمةُ الله عليه وهو يقولُ: إنّه لم يكرهْ قومٌ قطُّ حرَّ السيوفِ إلّا ذلّوا، فلمّا وصل الكوفةَ اجتمعَ إليه أهلُها فلم يزالوا به حتّى بايعوهُ على الحرب، ثُمَّ نقضوا بيعتَه وأسلموه، فقتل عليه السلام وصلب بينهم أربعَ سنين، لا ينكرُ أحدٌ منهم ولا يغيِّرُ بيدٍ ولا لسانٍ.

ولمّا قُتلَ بلَغ ذلك من أبي عبد الله عليه السلام كلَّ مبلغ، وحَزِنَ له حُزْناً عظيماً حتّى بانَ عليه، وفرَّق من ماله على عيالِ مَن أُصِيبَ معه من أصحابه ألفَ دينارٍ، روى ذلك أبو خالدٍ الواسطيُّ قال: سلَّم إليَّ أبو عبد الله عليه السلام ألفَ دينارٍ، وأمرني أن أُقسِّمَها في عيال من أُصِيبَ مع زيدٍ، فأصابَ عيالُ عبد الله بن الزبيرِ أخي فُضيلٍ الرسّانِ منها أربعةَ دنانير.

وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلَتا من صفرٍ سنةَ عشرينَ ومائةٍ، وكانت سُنّه يومَئذٍ اثنتين وأربعينَ سنة»[1].

ويذكره «الحائري»[2] فيقول:

---

(١) الإرشاد ٢: ١٧١ ـ ١٧٤.

(٢) الشيخ محمد بن إسماعيل الحائري (١١٥٩ ـ ١٢١٦هـ) من العلماء ←

«زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، أبو الحسين، أخوه الباقر عليه السلام ...

وفي الإرشاد: كان زيد بن عليّ بن الحسين عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب ثارات الحسين عليه السلام ...

إلى أن قال [أي الشيخ المفيد صاحب (الإرشاد)]: ولمّا قتل بلغ ذلك من أبي عبد الله عليه السلام كلَّ مبلغ، وحزن حُزناً شديداً عظيماً حتّى بان عليه، وفرّقَ من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خَلَتا من صفر سنة مائة وعشرين، وكان سنّه يومئذٍ اثنتين وأربعين سنة.

وفي [تعليقة الأُستاذ العلّامة محمّد باقر بن محمّد أكمل الوحيد البهبهاني علىٰ كتاب (منهج المقال في أحوال الرجال للاسترآبادي)]: ورد في تراجم كثيرة مدحه وجلالته وحسن حاله، مضافاً إلىٰ ما في كتب الأخبار كالأمالي وغيره؛ فما في بعضها ممّا ظاهره الذمّ، فلعلّه ورد تقيّةً أو صوناً للشيعة من الضلال، أو تخطئةً لاجتهاده، والله يعلم.

← والفقهاء المحققين وأعاظم الرجال المتّبعين، وله كتب ومؤلفات منها: كتابه الرجالي المعروف «منتهى المقال». أُنظر أعيان الشيعة ٩: ١٢٤ معجم رجال الحديث ١٦: ١١٤، منتهى المقال ١: ٣٧ ـ ٥٧ و٧: ٢١٣.

ومرّ في ترجمة السيّد الحميري جلالته وأنّه لو ظفر لوفىٰ بتسليم الخلافة الى الصادق عليه السلام، ويأتي في عبد الرحمن بن سيابة تفريق المال على عيال من أُصيبَ معه...

ومن جملة ماورد في مدحه مارواه في (الأمالي) بسنده إلىٰ ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، قال: دخلتُ على الصادق عليه السلام، فقال: من أين أقبلت؟

فقلتُ: من الكوفة، فبكى عليه السلام حتى بلّت دموعه لحيته،

فقلتُ له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله مالك أكثرت البكاء؟

فقال: ذكرتُ عمّي زيداً وما صنع به فبكيت،

فقلت: وما الذي ذكرتَ؟

فقال: ذكرتُ مقتله وقد أصاب جبينَه سهم، فجاءَ ابنه يحيى فانكبَّ عليه وقال له: أبشر يا أبتاه فإنّك ترد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، قال: أجل يا بني، ثُم دعا بحدّاد فنزع السهم من جبينه فكانت نفسه معه، فجيء به إلىٰ ساقية تجري إلىٰ بستان. فحفر له فيها ودفن وأجرى عليه الماء، وكان معهم غلام سندي فذهب إلىٰ يوسف بن عمر ـ لعنه الله ـ من الغد فأخبره بدفنهم إيّاه، فأخرجه يوسف وصلبه في الكناسة أربع سنين، ثمّ أمر به فأُحرق بالنار وذري في الرياح، فلعن الله قاتله وخاذله، إلى الله ـ جلّ اسمه ـ أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيّه بعد موته، وبه

نستعين علىٰ عدوّنا وهو خير مستعان.

إلىٰ غير ذلك ممّا ورد في ذلك الكتاب فضلاً عن غيره ممّا لا يحصى كثرة»[1].

وقال عنه السيّد العَلَم أبو القاسم الموسوي الخوئي في موسوعته الرجالية « معجم رجال الحديث »: «٤٨٨٠ ـ زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، من أصحاب السجّاد عليه السلام، رجال الشيخ، وعدّه في أصحاب الباقر عليه السلام، مع إضافة جملة (أبو الحسين أخوه).

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: وكان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم،...

وروى الكليني رحمه الله عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم، قال سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له... فأُنظروا على أيِّ شيء تخرجون، ولا تقولون خرج زيد، إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلىٰ نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد عليهم السلام، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلىٰ سلطان مجتمع لينقضه... (روضة الكافي: الحديث ٣٨١).

... وقال الكشّي (٢٠٥) في ترجمة سليمان بن خالد: محمّد بن

---

(١) منتهى المقال: ٣ / ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

الحسن وعثمان بن حامد، قالا: حدّثنا محمّد بن يزداد، عن محمّد ابن الحسين، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن مروان بن مسلم، عن عمّار الساباطي، قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي حين خرج، قال: فقال له رجل ـ ونحن وقوف في ناحيةٍ وزيد واقف في ناحية ـ: ما تقول في زيد هو خيرٌ أم جعفر ؟!

قال سليمان: قلت: والله ليومٌ من جعفر خير من زيد أيّام الدنيا

قال: فحرّك دابته وأتى زيداً وقصّ عليه القصة، فمضيت نحوه فانتهيتُ إلىٰ زيد وهو يقول: جعفر إمامنا في الحلال والحرام.

هذا وقد استفاضت الروايات غير ما ذكرناه في مدح زيد وجلالته، وأنّه طلب بخروجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمنهما ما رواه الكشي بإسناده عن الفضيل الرسان ـ في ترجمة إسماعيل بن محمّد (السيّد الحميري) (١٣٣) ـ قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام بعدما قتل زيد بن علي، قال عليه السلام: رحمه الله أما إنّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً، أما إنّه لو ظفر لوفي، أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها (الحديث). وتقدّمت الرواية في ترجمة إسماعيل بن محمّد.

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ زيد جليل ممدوح وليس هنا شيءٌ يدلُّ علىٰ قدح فيه أو انحرافه»[1].

---

(١) معجم رجال الحديث ٨: ٣٥٧ ـ ٣٦٩.

وترجم له « حسن الأمين » ابن المرجع الديني الكبير والمصلح الإسلامي السيّد محسن الأمين في « دائرة المعارف الإسلامية الشيعية » بقوله: «زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أبطال الحرية وشهدائها في الإسلام، وأحد الذين لم يصبروا علىٰ ما ينزله الحاكمون من جور بالشعب وتضييق عليه واستبدادية، لذلك عمد إلى الثورة المسلحة إيقاظاً للأُمة وتحذيراً للظالمين، وبذل دمه في سبيل ذلك.

ولد زيد عام ٧٨ للهجرة واستشهد سنة ١٢٠هـ، وقد شبَّ وترعرع في عهد تحوّلت فيه حركة الإسلام العظيمة من دعوةٍ الهدى والإصلاح والعدالة الاجتماعيّة وإنصاف للمحرومين، إلىٰ ملك عضوض وسلطة فردية تستباح فيها حريّات الشعب وكرامته ورزقه، وعاد ذاك الدين العظيم الذي جاء لإنقاذ البشرية من فساد الحكم وشرور الظالمين، عاد تسلطاً استبدادياً واستغلالاً مطلقاً لا تقيده حدود ولا توقفه شريعة ولا قانون.

فكان على الأحرار الأُباة أن لا يصبروا علىٰ هذا ولو دفعوا الثمن دماءهم وأرواحهم، وقد ورث زيد عن جدّه العظيم الحسين بن عليّ ابن أبي طالب سجية المفاداة والإباء والدعوة إلىٰ التحرر ودفع الجور، ومقاومة الطغيان والظلم والاستبداد.

ولكي ندرك أهداف الثورة الزيديّة يكفي أن نقرأ صورة البيعة

الذي أخذها زيد على الثائرين معه، وهي كما رواها ابن الأثير: «إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين».

هذا هو بيان الثورة وهذا منهجها: جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، ولعمري أنّه لمنهج حريٌّ بمثل زيد أن يقود الناس إلىٰ تحقيقه، بعد أن عاد الشعب كلّه مستضعفاً محروماً، وعادت الخيرات كلّها تُجبى إلىٰ فئة يسيرة جعلت من الشعب عبيداً وخولاً ومن ماله نهباً وغنيمة، وإننا اليوم وقد مضت على ثورة زيد هذه القرون المتطاولة لنرى في منهجه أفضل منهج شعبي تحرري تقدّمي يصلح لكلّ عصر وزمان.

ومن هنا كان زيد بطلاً من أبطال الحريات الشعبية، وثائراً من أبسل ثوّار النهضات في الأُمم.

وإذا كانت ثورته لم تنجح كما أُريد لها بسبب الظروف التي اعتورتها، فيكفي أنّها نجحت في تنبيه الأُمة وإرساء عقيدة الثورة المسلحة في وجه كلّ حكم ظالم.

أمّا الزمن الذي أعلن فيه زيد ثورته فكان زمن هشام بن عبد الملك، حيث كان قد استشرىٰ الطغيان واستفحل الجور قبل هشام، وظلّ مستفحلاً مستشرياً في عهد هشام، كما ظلّ كذلك بعد هشام، فرأى زيد أن يقصد الكوفة حيث استقبل بالترحاب، وحدد موعداً

للبدء بالتحرك، ولكن حدث ما اضطرّه للخروج قبل الموعد المحدّد، وكان قد وعد أصحابه ليلة الأربعاء أوّل ليلة من صفر فعلم والي الكوفة بترتيبات زيد، فتعقّب اثنين من أنصاره فقتلهما، وخشي زيد من انكشاف مكانه هو نفسه فتعجّل الخروج قبل الأجل، ممّا أدّى إلىٰ فشل الثورة عسكرياً، ولكن « الزيديّة » أصبحت مبدأً ثورياً تفرض مناهضة الطغيان والخروج بالسيف على الظالمين، وقد تتابع أبطالها واحداً بعد واحد واستشهدوا في سوح الكفاح»[1].

ويقول عنه السيّد هاشم معروف الحسني صاحب كتاب «الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ»: «لقد كان زيد بن عليّ من الدعاة إلى الحقّ والعدل ومحاربة الظلم والجور والتسلّط، فكانت دعوته امتداداً لدعوة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وثورته قبساً من ثورة جدّه الحسين عليه السلام.

لقد قال حينما خرج لجهاد الطغاة والظالمين: إنّي أدعوكم إلىٰ كتاب الله وإحياء السنن واماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لي ولكم، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل، وقال لجماعة من أصحابه: أما ترون إلىٰ هذه الثريا أترون أنّ أحداً ينالها ؟

فقالوا له: لا يا بن رسول الله.

---

(١) دائر المعارف الإسلامية الشيعية ٧: ٢١٧ ـ ٢١٨.

فقال: وددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع وأتقطع قطعة قطعة وأن يجمع الله بين أُمّة محمّد على الحقّ والهدى.

من أجل هاتين الخصلتين كان يعمل حفيد سيّد الشهداء زيد بن عليّ، وعلى خطىٰ جدّه المصطفى وآبائه الأطهار كان يسير ليجمع أُمّة محمّد على الحقّ والعدل وإماتة البدع، التي حاربها الإسلام وقضى عليها لفترة من الزمن وأعادها الأمويون بأسوأ ممّا كانت في جاهلية هند وأبي سفيان وأبي جهل وغيرهم من طغاة قريش وبني أُمية.

من أجل ذلك كان يتحرّك حفيد عليّ عليه السلام ويتمنّىٰ أن يصلح الله أُمّة محمّد ويجمعها علىٰ الحقّ ولو بسقوطه من على الثريّا وتقطيع جسمه قطعة قطعة.

إنّ هذه الروح الخيرة السخيّة بالبذل في سبيل أُمّة محمّد ليست إلّا قبساً من روح جدّه أبي الحسن عليّ عليه السلام، الذي كان يقول يوم كانت قوى الشرّ تتكالب علىٰ اغتصاب حقّه: والله لأسالمنَّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جورٌ إلّا عليَّ خاصة، ولم يكن يعني بسلامة أُمور المسلمين سوى اجتماعهم على الحقّ والعدل ومحاربة الظلم والعدوان، وبالحقّ والعدل واستقامة الأُمور وانتظامها تنتظم المجتمعات ويعمّ الخير والأمن والسلام جميع الناس بلا استثناء، ويتحقّق الهدف الأسمىٰ من رسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

الذي بعث رحمة للعالمين.

إنّ محاولة الإصلاح هذه التي حمل عبئها زيد بن عليّ بن الحسين سليل العترة الطاهرة هي التي اضطرّته أن يستجيب لشيعة الكوفة ليقاتل بهم أُولئك الذين أحيوا البدع المستنكرة الكريهة وأماتوا السنن المشرّفة النيّرة، ولكن هؤلاء الذين نزل عند رغباتهم خذلوه وأسلموه، وأُولئك قتلوه، ليذهب مع قافلة الشهداء التي خرجت من بيت عليّ وفاطمة لتضعضع كبرياء الحاكمين وفراعنة العصور في كلّ أرض وزمان.

وقبل الحديث عن ثورته وما رافقها من الجرائم، لابد من الإشارة ولو بأقصىٰ ما يمكن من الإيجاز إلىٰ نشأته ومكانته العلميّة والاجتماعيّة التي أهّلته لأن يكون مصدراً لفرقة من فرق المسلمين لا تزال تقدسه وتنتسب إليه...

لقد ولد زيد بن عليّ حفيد عليّ والحسين والبضعة الزهراء سنة ثمانين من هجرة الرسول ﷺ، كما يستفاد من اتفاقهم علىٰ تاريخ وفاته وعمره يوم استشهاده، فلقد أجمعوا علىٰ أنّه قتل في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ للهجرة وأن عمره يوم مصرعه اثنان وأربعون عاماً، ولازم ذلك أن يكون مولده سنة ٨٠ من الهجرة.

وجاءَ في مقدّمة المجموعة التي جمعها الواسطي من آثاره ونسبها إليه: إنّ ولادته كانت سنة خمس وسبعين من الهجرة، ولازم

ذلك أنّه حين وفاته كان في السابعة والأربعين. وأضاف أنّه حينما ولد جاء البشير إلى الإمام السجّاد يخبره بولادته، فأخذ المصحف يتفاءل فيه عن مصيره فكانت الآية: ﴿إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة﴾، وفتحه مرةً ثانية فكانت الآية الأُولىٰ من الصفحة ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون﴾، وفتحه مرةً ثالثة فجاءت الآية ﴿ وفضّل الله المجاهدين على القاعدين ﴾ فطواه وقال: عزائي عن هذا المولود الجديد أنّه من الشهداء في سبيل الله.

أمّا والدته فهي سنديّةٌ، اشتراها المختار بن أبي عبيدة من السبي الذي غنمه المسلمون من حروبهم لتلك البلاد وأهداها إلى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، فتزوّجها وأولدت له زيداً رحمه الله.

في ظلّ هذه الدوحة الكريمة ترعرع زيد بن عليّ عليه السلام، وفي البيت الذي انتشر منه العلم وتوارثه المسلمون خلفاً عن سلف نشأ وورث العلم عن أبيه وجدّه، وروىٰ عن آبائه في مختلف المواضيع، وظلّ يتابع دراسته منصرفاً بكلّه إلى العلم، حتىٰ سطع نجمه وأصبح بعد أبيه وأخيه الباقر عليه السلام من أكبر المراجع في شتّى الميادين، وأحاط بمختلف الاتجاهات والنزعات الفقهية والعقائدية، وكان عصره بداية لانطلاقةٍ جديدةٍ في التفسير والمعتقدات والآراء الغريبة التي كانت وليدة اختلاط المسلمين بغيرهم من الأُمم التي غزاها

الحاكمون وأخضعوها لسلطانهم، ولازم أخاه الباقر مؤسّس جامعة أهل البيت التي رحل اليها طلّاب العلم والحديث من مختلف الجهات، وتولّت الدفاع عن الإسلام ومعتقداته وتصفيتها ممّا أدخله عليها أنصار الحاكمين والشعوبيين الذين وجدوا الفرصة مهيّأة لهم بمساعدة الحكام، لبثّ سمومهم وأفكارهم التي تسيء إلىٰ الإسلام ولا تخدم سوىٰ مصالح الحاكمين، فاستفاد من علمه وأفكاره وآرائه في شتّى المواضيع.

قال الشيخ أبو زهرة في كتابه (زيد بن عليّ): لقد أجمع الذين عاصروه على أنّه كان عالماً غزير العلم، محيطاً بشتى العلوم الإسلاميّة، كالفقه والتفسير وغيرهما، وراوياً لحديث أهل البيت وغيرهم، وأضاف إلىٰ ذلك أنّ شيوخ الفقه في الكوفة تتلمذوا عليه بما فيهم أبو حنيفة الذي تتلمذ عليه سنتين.

وجاء في الروض النضير عن أبي حنيفة أنّه كان يقول: شاهدتُ زيد بن عليّ فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، وكان منقطع النظير.

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط للحسين بن زيد وهو يعظه وينصحه بأن يسلك طريق سلفه من آبائه وعشيرته: وأنّه قد توالي لك آباء وإنّ أدنىٰ آبائك زيد بن عليّ الذي لم أر فينا ولا في غيرنا مثله، وجاء عن الإمام الرضا عليه السلام المعاصر للمأمون إنّ زيد بن

عليّ كان من علماء آل محمّد ﷺ. وكان سفيان الثوري محدّث الكوفة وواعظها ـ كما جاء في حياة الإمام زيد لأبي زهرة ـ اذا ذكر زيداً بكى علىٰ ما فقده العلم بفقده، وعلىٰ مافقده التقي والفضل باصابته ،إلىٰ غير ذلك ممّا جاء عن الأئمة عليهم السلام وغيرهم حول مكانته العلمية في جميع الأوساط الاسلاميّة.

وكان على اتصال بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة يناظره في بعض أفكارهم وشطحاتهم، ويجلّه ابن عطاء بصفته واسع الأُفق، محيطاً بأكثر الأفكار والآراء الجديدة، ولم يكن معتزلياً في آرائه وأفكاره كما يذهب لذلك بعض الباحثين والمؤلّفين في الفرق والمذاهب الإسلاميّة، ومجرّد الالتقاء معهم في بعض الأفكار والآراء لا يعني أنّه قد انخرط بين صفوفهم، لأنّ زيد بن عليّ قد أخذ عن أبيه وأخيه الباقر وعن أجداده الذين وضعوا أُصول العقائد قبل ظهور المعتزلة بآرائهم ومعتقداتهم التي تختلف في أكثرها عمّا تلقاه الشيعة عن أئمتهم عليهم السلام.

لقد كان زيد بن عليّ ينتقل في البلدان ويلتقي بعلمائها، فالتقى بواصل بن عطاء في البصرة أكثر من مرّة، وكان لقاؤه به لقاء مذاكرة لا لقاء تلمذة ودراسة كما يدّعي بعض المؤلّفين، كما التقى بغيره من الفقهاء والمحدّثين في البصرة والكوفة وأخذوا عنه

من مختلف المواضيع»[1].

ويذكر الأرضية التي مهّدت للثورة قائلاً: «لقد كان هشام بن عبد الملك مطمئناً لسير الأُمور في العراق بسبب الرقابة الشديدة التي فرضها ولاته في البصرة والكوفة مصدر التحركات الشيعية، وعندما علم أنّ زيد بن عليّ المرموق في جميع الأوساط الإسلامية يتردّد على الكوفة بين الحين والآخر، والناس يلتفون من حوله يشكون إليه ظلم الأمويين وما لاقوه من عسف وجور وتشريد من ولاتهم ويدعونه اليهم، تبدّد اطمئنانه، وحلّ محلّه الخوف، والقلق وأصبح كلّ همه أن يراقب زيداً وتصرّفاته ويتابع تحركاته، وتمنّى لو أنّه يجد سبيلاً لذلك مادام لم يتظاهر بالخروج عن الطاعة، فاتّجه إلى التشنيع على العلويين وإثارة القالة فيهم بالمدينة، ووجد سبيلاً لذلك بالخلاف الحاصل بينه وبين بني عمومته علىٰ ولاية الأوقاف والصدقات.

ولمّا اشتد إيذاء خالد بن عبد الملك له ذهب إلى الشام يشكوه لهشام بن عبد الملك، وفي الشام بقي أيّاماً يستأذن هشاماً للدخول عليه فلم يأذن له، وكان يكتب له في أسفل الأوراق التي كان يرسلها إليه، يكتب له في أسفلها: ارجع إلىٰ خالد بن عبد الملك في المدينة، وأخيراً وبعد الإلحاح والتمنّي عليه وافق علىٰ دخوله عليه، فأوصىٰ

---

(١) الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ: ٤٨٣ ـ ٤٨٧.

هشام بن عبد الملك من في مجلسه بأن لا يفسحوا له ليبقىٰ واقفاً بين يديه، يقصد بذلك إذلاله واحتقاره.

وعندما رآه في مجلسه بادره بقوله مافعل أخوك البقرة؟ يعني بذلك الإمام محمّد بن عليّ الباقر ـ فردّ عليه زيد بقوله: أنت تسمّيه البقرة ورسول الله لقد سمّاه الباقر! لشدّ ما اختلفتما! لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا، وسترد النار ويرد الجنّة.

فالتفت إليه هشام، وقال: بلغني أنّك تذكر الخلافة ولستَ هناك وأنت ابن أمة ؟

فردّ عليه زيد بحضور ذلك الحشد من أهل الشام بقوله: إنّ الأُمهاتِ لا يقعدن بالرجال عن الغايات؛ لقد كانت أُم إسماعيل أمة لأمٍّ إسحاق، فلم يمنع ذلك أن بعث الله منها نبيّاً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير الأنبياء، وأخرج من إسحاق القردة والخنازير، فغضب هشام وأمر بضربه ثمانين سوطاً، ولمّا خرج زيد من مجلسه قال: ما أحبّ أُمرؤ الحياةَ إلّا ذُلَّ، وتمثّل بالأبيات التالية:

شرَّدهُ الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حَرَّ الجِلاد

منخرق الكفّين يشكو الجوىٰ ... تنكيهِ اطرافُ مُرٍ حِداد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

إن يحدث اللهُ له دولةً ... بترك آثار العِدى كالرماد

ويروي ابن الأثير أنّ هشام بن عبد الملك لما أمره بالخروج من مجلسه وشتم أمّه قال له زيد بن علي: سأخرج ولا أكون إلّا حيث تكره[1].

ثمّ يتطرّق السيّد هاشم معروف إلىٰ « يوميات الثورة » التي قام بها زيد بن عليّ عليه السلام قائلاً: «كلّ هذه العوامل مجتمعة جعلته يستهين بالحياة في سبيل الحقّ والمبدأ والعقيدة كما صنع جدّه الحسين من قبله، ويستجيب لطلبهم ويذهب إلى الكوفة لإعداد العدّة لقتال الطغاة والظالمين.

لقد دخلها متخفياً وكان ينتقل من منزل لآخر، والشيعة يختلفون إليه بنفس الروح والعزيمة التي كانوا يقابلون بهما مسلم بن عقيل رسول الحسين ، وكما بايعوا مسلماً للحسين عليه السلام على كتاب الله وسنّة نبيّه وجهاد الظالمين وإنصاف المحرومين والدفاع عن المستضعفين ونصرة الحقّ وأهله، بايعوه علىٰ ذلك أيضاً وأخذ على كلّ واحد منهم عهد الله وميثاقه لِيَفينّ ببيعته له بكلّ بنودها، حتىٰ بايعه على ذلك أربعون ألفاً في الكوفة، وانضمّ اليهم جماعة من واسط والمدائن وغيرهما كما نصّ علىٰ ذلك ابن الأثير في تاريخه والاصفهاني في مقاتل الطالبيين.

ومع توالي تلك النذر والتحذيرات عليه من القريب والبعيد فلم

---

(١) الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ: ٤٨٩ ـ ٤٩٣.

يتراجع عن موقفه، ومضى يعدّ العدّة للمعركة ويقول: إنّي امرؤ سأموت إن لم أقتل مقتدياً بجدي الحسين عليه السلام الذي توالت عليه النذر والتحذيرات من غدر أهل الكوفة من كلّ جانب فرفضها، وقال: لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما...

وبقي زيد بن عليّ بمن معه في ساحة المعركة لم يتضعضع وهو يقول: لقد فعلوها حسينيّة، أما والله لأقاتلنّ حتى الموت.

وتقدّم حفيد عليّ عليه السلام بهذا العدد اليسير الذي لا يساوي عدد أصحاب جدّه في معركة بدر إلىٰ مقارعة تلك الحشود التي أرسلها هشام من الشام لقتاله، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت لهم زيد بن عليّ وأنصاره حتّى هزموهم وقتلوا منهم سبعين رجلاً، وأخيراً تجمّعت فلولهم المنهزمة وجعلوا يرمونهم بالسهام والحجارة، كما فعل أسلافهم مع جدّه الحسين في كربلاء، وبينما زيد يطاردهم بمن معه إذ انفصل رجل من أصحاب يوسف بن عمر من بني كلب وتقدم من زيد حتىٰ أصبح قريباً منه فشتم عليّاً والزهراء فاطمة بضعة المصطفى فغضب زيد وبكى حتى ابتلّت لحيته الكريمة، والتفت إلى من كان معه وقال: أما فيكم أحد يغضب لفاطمة بنت محمّد ؟

فالتفت سعيد بن خيثم إلىٰ مولى كان معه سيف صغير يستره تحت ثيابه فأخذه منه ومضى يتستر خلف الكلبي، وكان قد تحوّل عن فرسه وركب بغلة علىٰ حدّ تعبير الراوي، فجرد السيف وضربه علىٰ

عنقه فسقط رأسه بين يدي البغلة، فلمّا رأى ذلك أصحاب زيد حملوا على القوم واستنقذوه من أيديهم وجاءوا به سالما، فقبّله زيد ابن عليّ بين عينيه وقال: جزاك الله خيراً لقد أدركت ثأرنا ونلت شرف الدنيا والآخرة وذخرهما.

وسار زيد بمن معه وهو يقول: والله لو كنت أعهد عملاً أرضى الله من قتال هؤلاء لفعلته، وقد كنت نهيتكم أن تتبعوا مدبراً وتجهزوا علىٰ جريح وتفتحوا باباً، ولكنّي بعد أن سمعتهم يسبّون علياً فاقتلوهم من كلِّ وجه وحيث وجدتموهم، فو الله لا ينصرني رجل عليهم اليوم إلّا أخذت بيده وأدخلته الجنّة.

لقد وعدهم زيد بن عليّ عليه السلام بذلك بعد أن سمع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يقول: (إنّ زيد بن عليّ وأصحابه يتخطون رقاب الناس يوم القيامة ويدخلون الجنة بغير حساب).

واستمر القتال يشتد بين الفريقين وأصحاب زيد بن عليّ على قلّة عددهم وكثرة عدوهم يكرون علىٰ تلك الحشود فيفرون من بين أيديهم وزيد رضي الله عنه في مقدّمة أصحابه يتمثل بقول القائل:

أذلّ الحياة وعز الممات وكلا أراه طعاماً وبيلا
فإن كانَ لابُدَّ مِن واحدٍ فسيري إلى الموت سيراً جميلا

وفيما هو يقاتل ويشدّ عليهم وينهزمون بين يديه أصابه سهم في

جبهته ونفذ فيها، فتراجع هو وأصحابه، وظنّ أصحاب يوسف بن عمر الثقفي أنّهم أرجأوا القتال إلى الليل، فأدخله أصحابه بيتاً من بيوتهم واستدعوا له طبيباً يقال له شقير كان يعالج الجرحى، فقال له: إن نزعت السهم من رأسك أخاف عليكم الموت، فردّ عليه زيد بن عليّ قائلاً: الموت أهون عليّ ممّا أقاسيه من الآلام، فلمّا انتزع السهمَ من جبهته فاضت روحه الكريمة وانتهت المعركة بوفاته.

لقد استشهد زيدﷺ في المعركة، وماتَ في ميدان القتال ومرمى السهام، شجاعاً، أبيّاً من أجل الحقّ والمستضعفين وكرامة الإنسان، وإحياء السنن، وإماتة البدع، واختيار الموت علىٰ الحياة مع الظالمين، ونال بذلك درجةً لا ينالها إلّا الصدّيقون والشهداء المقرّبون، وساهم مصرعه في نجاح الدعوة التي قضت على الأمويين بعد عشرين عاماً، كما كان لجدّه الحسين الدور الأكبر في كلّ ما حدث بعد مجزرة كربلاء من ثورات وانتفاضات، أقضت مضاجع الظالمين من أمويين وعباسيين.

لقد كانت ثورة زيد بن عليّ ثورة الفقهاء والقرّاء والمحدّثين وأهل التقوىٰ والصلاح علىٰ حدّ تعبير الشيخ أبو زهرة في كتابه (الإمام زيد بن عليّ)، وأضاف إلىٰ ذلك أنّ بعض المؤرّخين يقول: إنَّ الذين قاتلوا مع زيد بن عليّ كانوا من القرّاء والفقهاء، وكان أبو حنيفة يقول: لقد ضاهىٰ خروجه خروج جدّه رسول الله ﷺ يوم

بدر، ولما قيل له: لماذا تخلّفت عنه مادمت ترى أنّ ثورته كانت بهذا المستوىٰ ؟

أجاب: لقد حبستني عنه ودائع الناس، لقد عرضتها علىٰ ابن أبي ليلىٰ فلم يقبل، فخفت أن أموت وتضيع الودائع علىٰ أصحابها!

وفي رواية ثانية عنه أنّه قال: لو علمت أنّ الناس لا يخذلونه كما خذلوا جدّه لخرجت معه، وقد أعنته بمالي وأرسلت إليه عشرة آلاف درهم.

كما جاء في مقاتل الطالبيين حول مدفنه أنّ أصحابه كانوا في حيرة من ذلك، وأخيراً اتفقوا علىٰ دفنه في جدول ماء يعرف بالعباسية، فانطلقوا به إليها ودفنوه بها، وأجروا عليه الماء، وكان معهم عبد سندي فأخبر الحكم بن الصلت بذلك، وانتهىٰ الخبر إلىٰ يوسف بن عمر، فبعث الحجّاج بن القاسم في جماعة إلىٰ ذلك المكان، فاستخرجوا منه زيداً، ووضعوه علىٰ ظهر بعير، وحملوه إلى القصر، فلما وصلوا إليه ألقوه عن ظهره، فخرّ كأنّه جبل علىٰ حدِّ تعبير الراوي، فصلبه يوسف بن عمر بالكناسة بعد أن فصل رأسه عن بدنه، وأرسل الرأس إلى الشام لهشام بن عبد الملك، فصلبه هشام علىٰ مدخل قصره كما صلب معاوية بن إسحاق وزياد الهندي ونصر ابن خزيمة العبسي، وبقي مصلوباً إلىٰ أيّام الوليد بن يزيد، فلمّا ظهر يحيى بن زيد بالجوزجان كتب الوليد بن يزيد إلىٰ يوسف بن عمر

كتاباً يقول فيه: إذا أتاك كتابي فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفاً، فأمر يوسف بن عمر فأنزله عن الجذع وأحرقه ثمّ حمل رماده في سفينة وذراه في الفرات، وصدقت فيه نبوءة جدّه رسول الله حيث روى الرواة عنه أنّه قال: «يقتل رجلٌ من أهل بيتي، ويصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته»، كما روى الرواة عن عليّ عليه السلام أنّه أخبر عنه، ووصف مصرعه، وما يجري عليه بعد القتل، وما أعدّه الله له ولأنصاره يوم القيامة من الأجر العظيم والدرجات الرفيعة»[1].

ويقدّم الكاتب والمفكّر الاثنا عشري المعاصر (صائب عبد الحميد) تحليلاً دقيقاً لثورة الإمام زيد بن عليّ عليه السلام فيقول: «عاد كلّ شيءٍ أُموي إلىٰ حاله[2]، وكأنّ تلك الصحوة القصيرة هدأة مصروع أو كأنّها وهجةُ قبسٍ في ليلٍ بهيمٍ، ريحُهُ صرّ عاتية، فما أقصر عمرها وأسرع زوال أثرها! وعادت بذلك كلُّ مبررات الحركة التصحيحية المضادّة؛ دينيّاً وثقافياً واجتماعياً ومالياً وسياسياً، وكلّ ذلك ينتظر عاملان:

الأوّل: الوعي الديني السليم المتّصل بجذوة اليقين الأُولى التي بعثها الوجود النبويّ الشريف أمام تعاليمه السماوية السامية...

---

(١) الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ: ٤٩٥ ـ ٥٠١.

(٢) بعد موت عمر بن عبد العزيز عام ١٠١هـ.

والثاني: الداعية القائد الذي تكاملت حوله الظروف الموضوعية للحركة...

ولقد تكاملت تلك الظروف حول القائد الفقيه العالم العابد زيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، في سنة ١٢١هـ، إبّان حكومة هشام بن عبد الملك بن مروان...

أسباب الحركة وأهدافها:

إنّ كلّ ماقدّمه التاريخ تحت هذا العنوان قد جاءَ قاصراً عن تشخيص الأسباب الحقيقية لهذه الحركة، وعن معرفة أهدافها، فعلى مستوى الأسباب، قدّمت الكتب المفصّلة دائماً بعبارة: «أُخْتُلِفَ في سبب خروجه»، ثُمّ يذكرون أشياء مختلفة لا يمكن أن يعتبرَ أحدُها ولا جميعُها سبباً حقيقياً لحركة يقودها رجلٌ مثلُ زيد بن عليّ علماً وشرفاً، ويكون لها كلُّ ذلك الوقع الذي كان لحركة زيد في تقدير علماء ذلك الزمان وأئمتهم، فكلّ ما دارت عليه تلك «الأسباب» لم يكن يتعدّى النزاع الشخصي بين زيد وهشام [ابن عبد الملك]، ممّا يوحي بأنّها حركة كان وراءَها «الحميّة للنفس» ليس إلّا! وهذا قدح كبيرٌ، وإن لم يكن أصحاب التاريخ يعتقدونه، فكيف يصحّ لزيد، وهو المعروف ديناً وعلماً وفقهاً وشرفاً أن يخوض الدماء لأنّ هشاماً قد أهانه وحطّ من منزلته؟!

إنّ أهمَّ دور يمكن قبوله لتلك الأسباب التي ذكروها، هو أنّها

كانت محفّزاً أخيراً لكسر الأغلاق التي مازال يقف وراءَها القائد الثائر، فلم يبق أمام ثورته الكامنة إلّا أن تجد أنصارها، فما أن وجدت لها في الكوفة أنصاراً ـ وإن قلّوا قياساً إلىٰ قوّة هشام ـ حتى تفجَّرت بكل ثقلها..

والنصُّ الذي يذكروه لهشام بن عبد الملك في خطابه لزيد مصدّق لما قلناه، فهو يقول: « لقد بلغني يا زيد أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولست هناكَ وأنت ابنُ أمةٍ »!!

إذن كلّ شيء كان قد نضج في قلب زيد من قبل هذا اللقاء، وسوف يؤكّده جواب زيد نفسه، فهو لا يعتذر ولا ينفي، بل يُؤكّد أهليّته لذلك، فيقول: « ليس أحد أولىٰ بالله ولا أرفع عنده منزلةً من نبيّ ابتعثه، وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وولَدَ خيرهم محمّداً ﷺ، وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر، وما علىٰ أحدٍ من ذلك إذ كان جدّه رسول الله وأبوه عليّ بن أبي طالب ما كانت أمُّه »!

فلا يمكن لهذا الحديث أن يكون أكثر من محفّز قد يعجّل من تفجير الثورة إذا ما توفّرت ظروفها، ولعلّ حديثاً دار بينهما كان أشدّ تحفيزاً، بل قد يصحّ لمثله أن يكون من دواعي الحركة وأسبابها الحقيقية، لما فيه من الاستخفاف بحديث رسول الله ﷺ وبزعيم أهل البيت الإمام محمّد الباقر عليه السلام! والحديث نقله ابن قتيبة، فيه:

«قال هشام لزيد ما فعل أخوك البقرة ؟!

قال زيد: سمّاه رسول الله ﷺ الباقر، وتسمّيه البقرة ! لقد اختلفتما !!»[1].

وعند الوقوف علىٰ أهداف الحركة تتكشّف الأسباب والدواعي الحقيقية لقيامها، أمّا أهدافها: فقد أدرجها زيد الشهيد في نصّ البيعة التي بايع الناس عليها، ولعلّه لو لم يصنع ذلك لم يحفظ لها التاريخ ذكراً !

فقد دعا زيد إلىٰ: الكتاب، والسنّة، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، وردّ المظالم، وإقفال المجمّر[2]، ونصر أهل البيت على من نصب لهم وجهل حقّهم.

هذه الأهداف الكبيرة التي ينهض لمثلها زيد بن عليّ، تلك النهضة التي دعا الإمام جعفر الصادق إلىٰ نُصرتها، وضاهت عند أبي حنيفة خروج رسول الله ﷺ على قريشٍ يوم بدرٍ الكبرى، وأفتى بوجوب نصرتها، وناصر تلك الحركة أيضاً من الفقهاء والعلماء:

---

(١) وتتمّتها: «لتخالفه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار!»، بل إنه كان في المجلس يهوديٌّ يسبُّ رسول الله ﷺ !!

(٢) المجمّر: الجُند الذين أبقاهم الحاكم في الثغور عند الحدود مع العدوّ فمكثوا زمناً طويلاً، وإقفالهم: إعادتهم إلىٰ أهاليهم وأوطانهم.

منصور بن المعتمر، وسفيان الثوري، ويزيد بن أبي زياد صاحب عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، وهلال بن حباب، وسلمة بن كهيل، والحسن بن سعيد الفقيه وغيرهم! ودافع عنها الإمام عليّ الرضا بن موسىٰ بن جعفر الصادق، ودفع عنها الشبهات، وفرّق بينها وبين الحركات التي تقوم لأغراض دنيوية وحسب!

ومن موقف الإمامين؛ الصادق والرضا، نستبعد بيقين تلك الرواية التي تخبر عن نزاع في الإمامة وقع بين زيد وأخيه الأكبر الباقر، وتَنْسِبُ إلى زيد مقولةً في الإمامة لم تُعرف قبل عند أهل البيت، مفادها، إنّ الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام حقّاً، ولكنّ الإمام من أهل البيت إنّما هو «من منع حوزته، وجاهدَ في سبيل الله حقّ جهاده، ودفع عن رعيّته، وذبّ عن حريمه»! فيجيبه الباقر بقوله: «على مقتضىٰ مذهبك: والدك ليس بإمام، فإنّه لم يخرج قطّ ولا تعرّض للخروج»!

فهذا الكلام مدفوع ليس فقط بالمواقف المتقدّمة آنفاً، بل مدفوع أيضاً بمكانة زيد المشهودة في العلم والفقه، فهو أكبر من أن يقعَ في هذا التهافت»[1].

وثورة زيد بن عليّ عليه السلام ـ قبل أن تكون مفخراً للشيعة الإمامية الاثنى عشرية وذكراً كريماً لزيد في كتب الاثنى عشرية ـ هي من

---

(١) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ٥٥٤ ـ ٥٥٧.

أسباب أخذ الله عزّ وجلّ لآل مروان عند الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليه!

فعن علي بن محمّد عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن أبي القاسم الكوفي، عن محمّد بن إسماعيل، عن معاوية بن عمّار والعلاء ابن سيابة وطريف بن ناصح، قال: «لمّا بعث أبو الدوانيق[1] إلى أبي

---

(١) أبو الدوانيق: أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمّد بن علي، أمُّه سلّامة البربرية، ولد سنة ٩٥ أو نحوها وتوفي في ١٥٨، أباد جماعةً كبيرة حتى توطّد له الملك، ودانت له الأُمم علىٰ ظلم فيه، جمّاعاً للمال، حريصاً، متجبّراً. وكان يُصغي إلىٰ أقوال المنجّمين، واشتهر ظلمه للهاشميين والعلويين وآل البيت في الآفاق حتىٰ روي عنه أنه قال: إني قتلتُ من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون! يروي العلاّمة المجلسي في بحاره أربعاً وخمسين راوية في أذيّة المنصور للإمام الصادق عليه السلام وإراداته المتعدّدة لقتله ولطف الله في نجاة الإمام من تلك الإرادات والمحاولات، والحقيقة إنّه لم ينل أحداً من أهل البيت من الجور والعناء من قبل المنصور بمقدار ما نال الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، ولخبث الرجل وعداوته لله والرسول وأهل البيت طفقت كتب التراجم والتاريخ والحديث عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية تجرحه وتعرِّض به وتبرّأ منه، وتذكر أخباره مع أبي عبد الله الصادق عليه السلام وعداوته له وللهاشميين والعلويين.

قال السيّد أبو القاسم عليّ بن طاووس: «إنّ من العجب أن يبلغ طلب الدنيا بالعبد المخلوق من التراب والنطفة الماء المهين إلىٰ المعاندة لربّ العالمين في الإقدام علىٰ قتل مولانا الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليه، بعد ←

. . . . . .

← تكرار الآيات الباهرات حتى يكرّر إحضاره للقتل سبع دفعات [تسع مرّات].. بلغ إليه حبّ الدنيا حتى عميت لأجله القلوب والعيون **﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثمّ جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنىٰ عنهم ماكانوا يمتّعون﴾**، تارةً يأمر رزّام بن مسلم مولى أبي خالد أن يقتل الإمام، وهو سلام الله عليه في الحيرة، وتارةً يأمر باغتياله مع ابنه موسىٰ بن جعفر، قال قيس بن الربيع: حدثني أبي الربيع قال: دعاني المنصور يوماً قال: أما ترى الذي يبلغني عن هذا الحسيني ؟

قلت: ومن هو يا سيّدي ؟

قال: جعفر بن محمّد، والله لأستأصلنّ شأفته، ثمّ دعا بقائدٍ من قوّاده فقال: انطلق إلىٰ المدينة في ألف رجل فاهجم علىٰ جعفر بن محمّد وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر في مسيرك ... »

وتارة يأمر بإحراق بيته، ولم يقنع بهذه الأفعال الشنيعة من التعذيب والتشريد حتى شرك في دمه وقتله مسموماً بالعنب.

وعمل المنصور جاهداً علىٰ أن يحجب عن الناس شمس علوم صادق العترة عليه السلام، فجعل يحاصره ويدعم الخطوط الفكرية التي تناوئه حتى قال لمالك بن أنس: اجعل هذا العلم علماً واحداً.. ضع للناس كتاباً أحملهم عليه.. نضرب عليه عامّتهم بالسيف ونقطع عليه ظهورهم بالسياط.. وقاله له: لئن بقيتُ لأكتبنَّ قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثنَّ به إلى الآفاق فأحملهم عليه.. أن يعملوا بما فيها ولا يتعدّوه إلىٰ غيرها... وزعم محمّد بن أحمد بن الحسن الديلمي أنّ المنصور كان من القائلين بالعدل والتوحيد ومن ←

عبد الله [الإمام الصادق] رفع يده إلى السماء ثُمَّ قال: «اللهمّ إنّك حفظتَ الغلامين[1] لصلاح أبويهما فاحفظني لصلاح آبائي محمّد وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ عليهم السلام، اللهم أني أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شرّه»، ثم قال للجمّال: سر، فلمّا استقبله الربيع[2] بباب أبي الدوانيق قال له: يا أبا عبد الله ما أشدّ باطنه عليك، لقد سمعته يقول: والله لا تركت لهم نخلاً إلّا

← المقدَّمين فيه. أُنظر: بحار الأنوار ٤٧: ١٦٢ ـ ٢١٢، الإرشاد ٢: ١٨٢ ـ ١٨٤، قادتنا كيف نعرفهم ٦: ٢٨٦، الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة (٧): رسالة في الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة (حديث سد الأبواب): ٣٨، وفي تراثنا ٢٧: ٦٩، قواعد عقائد آل محمّد: ٢٠٧، سير أعلام النبلاء ٧: ٨٣ ـ ٨٩، ٨: ٦١، ٦٢، ٧٨، ٧٩، تاريخ الإسلام: ٤٦٥ ـ ٤٧١ (حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ) و ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٤ (حوادث ووفيات ١٧١ ـ ١٨٠).

(١) للذين جاء ذكرهما في سورة الكهف: ٨٢.

(٢) الربيع: الربيع بن يونس بن محمّد بن كيسان، الحاجب الكبير، حجب للمنصور، ثمّ ولي وزارته وكان من نبلاء الرجال، وألبّائهم وفضلائهم، ومن رجال الدهر حزماً ورأياً ودهاءً، حدّث عن الصادق جعفر بن محمّد، وعدّه الشيخ في رجاله من أصحابه، وكان يتشيّع، مات سنة سبعين ومائة من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي [العبّاسي]. أُنظر: معجم رجال الحديث ٨: ١٧٤، تاريخ الإسلام: ١٨٦ ـ ١٨٨ (حوادث ووفيات ١٦١ ـ ١٧٠هـ)، سير أعلام النبلاء ٧: ٣٣٥، الأعلام ٣: ١٥، بحار الأنوار: ٤٧: ١٩٦.

عقرته، ولا مالاً إلّا نهبتهُ، ولا ذريةً إلّا سبيتها، قال فهمسَ بشيء خفيّ وحرّكَ شفتيه، فلمّا دخل سلَّم وقعد، فردّ عليه ثمّ قال: أما والله لقد هممتُ أن لا أترك لك نخلاً إلّا عقرته، ولا مالاً إلّا أخذته.

فقال: أبو عبد الله عليه السلام: «يا أمير المؤمنين، إنّ الله عزَّ وجلَّ ابتلى أيّوب فصبر، وأعطىٰ داود فشكر، وقدّر يوسف فغفر، وأنت من ذلك النسل، ولا يأتي ذلك النسل إلّا بما يشبهه».

فقال: صدقت، قد عفوت عنكم،

فقال له: يا أمير المؤمنين، «إنّه لم ينل منّا أهل البيت أحد دماً إلّا سلبه الله ملكه»

فغضب لذلك واستشاط، فقال: على رسلك يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الملك كان في آل أبي سفيان، فلمّا قتل يزيد لعنه الله حسيناً سلبه الله ملكه، فورثه آل مروان، فلمّا قتل هشام زيداً سلبه الله ملكه، فورثه مروان بن محمّد، فلمّا قتل مروان إبراهيم سلبه الله ملكه، فأعطاكموه».

فقال: صدقت، هات أرفع حوائجك.

فقال: «الإذن».

فقال: هو في يدك متى شئت، فخرج، فقال له الربيع: قد أمر لك بعشرة آلاف درهم

قال: «لا حاجة لي فيها»

قال: إذن تغضبه، فخذها ثمَّ تصدّق بها[1].

موقف تأمّل !!

نقل الدكتور الوكيل في كتابه «الأمويون بين الشرق والغرب» أنّ هشام بن عبد الملك كتب إلىٰ يوسف بن عمر يخبره عن حركة زيد، ويطلب منه أن يخرجه من الكوفة ويذهب به إلىٰ بلده. وقال له في الكتاب: «وبعض التحامل عليه فيه أذى له، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع؛ والحقن للدماء والأمن للفرقة؛ أحبُّ إليَّ من أمرٍ فيه سفك دمائهم [!!]، وانتشار كلمتهم، وقطع نسلهم، والجماعة حبل الله المتين، ودين الله القويم، وعروته الوثقى».

ثمّ قال الوكيل:

«ومن هذا النصّ نرى أنّ هشاماً بريءٌ من دم زيد بن علي، فلم يأمر به، ولم يفعله، غير أنّه والحقّ يقال: إنّ زيد بن عليّ قد عرّض نفسه لفتنةٍ هي أشدُّ عليه من ظلم الظالمين!!».

ولم يكتفِ بهذا صاحب «الأمويون بين الشرق والغرب»، حتىٰ أضاف إليه:

---

(١) أصول الكافي: ٢: ٥٦٢.

« وأمّا صلبُ هشام رأسَ زيد بن عليّ علىٰ أبواب مدينة دمشق، ثمّ إرساله إلى المدينة فصُلِبَ هناك، فإنّ هشاماً محقٌّ في ذلك، ليُرْعِبَ الذين تسوّل لهم نفوسهم الخروج على السلطان، والتمرّد علىٰ سلطانه، وماذا كان يفعل هشامٌ غير ذلك ؟ أكان يقبِّل الرأس، ويبكي أمامه، وهو خليفةُ أُعتُدِي عليه، وأراد زيدٌ أن يسلبه مُلكه!!!» [1].

ولعلّ من الأَولى لأولئك الذين يحاولون أن يجدوا في كتب الإمامية شيئاً من الطعن على زيد بن عليّ عليه السلام أن يغربلوا ـ من جديد ـ المقولة العائمة بأنّ الزيديّة أقرب الناس إلى السنّة وأهل السنّة وأن يروا في كلام الدكتور الوكيل ـ الذي يُعَدُّ واحداً من أبناء مدرسة أهل السنّة ـ رؤيةً ناقدة أسيفة على هذا التحامل البغيض على زيد بن عليّ، وأن يحاولوا أن يقارنوا بين ما يعتقده الدكتور الوكيل ـ وكثير من أمثاله ـ في حق الإمام زيد بن عليّ وثورته وما تعتقده الإمامية الاثنا عشرية. ورحم الله امرئاً أعطى النصفة من نفسه !!

---

(١) الأمويون بين الشرق والغرب ١: ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

سادات الثورات العلويين عند الاثنى عشريّة:

وكما هو موقف الإمامية الاثنى عشرية من زيد بن علي عليه السلام كذلك موقفهم من كثيرٍ من أصحاب الثورات العلوية التي قامت، وغيرهم من أئمة الزيديّة الأوائل.. فعن موقفهم من الحسن بن الحسن المثنى [1] يقول الشيخ الأميني صاحب كتاب «الغدير»:

« وأمّا الحسن بن الحسن المثنّى فهو الذي شهد مشهد الطفّ مع عمّه الإمام الطاهر، وجاهد وأبلىٰ، وارتثّ بالجراح، فلمّا أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً، فحمله خاله أبو حسّان أسماء بن خارجة الفزاري إلى الكوفة وعالجه حتّىٰ بريء، ثمّ لحق بالمدينة، ويُعرب عن عقيدة الشيعة فيه قول شيخهم الأكبر الشيخ المفيد في إرشاده [2]:

---

(١) أُنظر: الإرشاد ٢: ٢٣ ـ ٢٦، معجم رجال الحديث ٥: ٢٨٨، التحف شرح الزلف: ٤١، الحدائق الوردية ١: ١٣٤، الفلك الدوّار: ٣٠، سير أعلام النبلاء ٤: ٤٨٣ ـ ٤٨٧، تاريخ الإسلام: ٣٢٨ ـ ٣٣١ (حوادث ووفيات ٨١ ـ ١٠٠هـ) الأعلام ٢: ١٨٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٣ ـ ٢٦.

كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين في وقته، وله مع الحجّاج خبرٌ ذكره الزبير بن بكار.. إلخ، وعدّه العلّامة الحجة السيّد محسن الأمين العاملي من أعيان الشيعة وذكر له ترجمة ضافية في ج٢١ ص١٦٦ ـ ١٨٤[1]، فالقول: بأنّ الرافضة تعتقد بارتداده عن دين الإسلام قذفٌ بفريةٍ مُقذِعةٍ تندىٰ منها جبهة الإنسانية »[2].

وجاءَ في « الغدير » أيضاً عن موقف الإماميّة الاثني عشرية من عبد الله بن الحسن بن الحسن والمعروف « بالمحض أو الكامل»: «أمّا عبد الله المحض بن الحسن المثنّى فقد عدّه شيخ الشيعة أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وزاد أبو داود[3]: الباقر عليه السلام، وقال جمال الدين المهنّا في « العمدة ٨٧»: كان يشبه رسول الله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، يتولّى صدقات أمير المؤمنين بعد أبيه الحسن.

والأحاديث في مدحه وذمّه وإن تضاربت غير أنّ غاية نظر

---

(١) أعيان الشيعة ٥: ٤٣ ـ ٤٧.

(٢) الغدير ٣: ٢٧١.

(٣) أبو داود: هو الشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّى المولود في الخامس من جمادي الآخرة سنة ٦٤٧هـ. الذريعة ١٠: ٨٤. من علماء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية في الرجال.

الشيعة فيها ما اختاره سيّد الطائفة السيّد ابن طاووس في إقباله: ٥١ من صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصادق عليه السلام، وذكر من أصلٍ صحيحٍ كتاباً للإمام الصادق وصف فيه « عبد الله » بالعبد الصالح، ودعا له ولبني عمّه بالأجر والسعادة، ثمّ قال: وهذا يدلُّ على أنّ الجماعة المحمولين [يعني عبد الله وأصحابه الحسنيّين] كانوا عند مولانا الصّادق معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقّه عارفين، وقد يوجد في الكتب: إنّهم كانوا للصادقين عليهم السلام مفارقين، وذلك محتملٌ للتقيّة[1]، لئلّا يُنسب اظهارهم لإذكار المنكر إلى الأئمة الطاهرين، وممّا يدلّك على أنّهم كانوا عارفين بالحقّ وبه شاهدين ماروياه (وقال بعد ذكر السند وإنهائه إلى الامام الصّادق عليه السلام): ثمّ بكى عليه السلام حتّىٰ علا صوته وبكينا، ثمّ قال: حدّثني

---

(١) قال العلّامة السيّد بدر الدين الحوثي: فأمّا مع الخوف على النفس فلا إشكال في جواز التقية (تحرير الأفكار: ٥٥).

وجاء في ترجمة أبي القاسم علي بن القاضي أبي علي المحسني الفتوحي البصري [الزيدي] أنّه كان يتستّر بـ« التحنّف » في بلاد الأعداء أنظر: مطلع البدور ٣: ١٩٧.

وأورد عبد الله بن حمزة الحديث المعروف عن الإمام الصادق عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي». أُنظر؟ العقد الثمين: ١٤٨.

كما رواه الناصر الأطروشي في كتابه « البساط».

أبي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيه أنّه قال: «يُقتل منكَ أو يُصاب نفرٌ بشطِّ الفرات ما سبقهم الأوّلون ولا يعدلهم الآخرون».

ثُمَّ قال: أقول: وهذه شهادةٌ صريحةٌ من طرق صحيحةٍ بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السلام وأنّهم مضوا إلى الله جلّ جلاله بشرف المقام، والظفر بالسعادة والإكرام.

ثمَّ ذكر أحاديث تدلُّ على حسن اعتقاد عبد الله بن الحسن ومن كان معه من الحسنيّين، فقال: أقول: فهل تراهم إلّا عارفين بالهدى، وبالحقِّ اليقين ولله متّقين.

فأنت عندئذٍ جدٌّ عليمٍ بأنّ نسبة القول بردّته وردّة بقيّة الحسنيّين إلى الشيعة بعيدةٌ عن مستوى الصدق»[1].

وأمّا عن «محمّد بن عبد الله» النفس الزكية فيقول: «وأمّا محمّد ابن عبد الله بن الحسن الملقّب بالنفس الزكيّة فعدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وقال ابن المهنّا في «عمدة الطالب ٩١»: قتل بأحجار الزيت، وكان ذلك مصداق تلقيبه «النفس الزكية»؛ لأنّه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكيّةٌ».

وذكر سيّدنا ابن طاووس في «الإقبال: ٥٣» تفصيلاً برهن فيه

---

(١) الغدير ٣: ٢٧١ ـ ٢٧٢. وأُنظر: بحار الأنوار ٤٧: ٢٩٩ ـ ٣٠٤.

حُسْنَ عقيدته وأنّه خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّه كان يعلم بقتله ويخبر به، ثمّ قال: كلّ ذلك يكشف عن تمسّكهم بالله والرّسول ﷺ.

هذا رأي الشيعة في النفس الزكية، وهم مخبتون إلىٰ ما في «مقاتل الطالبيين: ٨٥» من أنّه «أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته وجوده وبأسه»، والإمامية حاشاهم عن قذفه بالردّة عن الدين، والمفتري عليهم به قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً»[1].

والمشكلة هي في الخلط بين مواقف الشيعة من أبناء الإمام الحسن عليه السلام ـ ممن قام ودعى إلى نفسه، وبين مسألة الإمامة عند الاثني عشرية، فالمحقّق لقواعد نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية يجد أنّه لا رابطة بين المسألتين. إذن مسألة «قيامات أبناء الحسن عليه السلام هي مسألة تاريخية رجالية ليس إلّا.

بينما تعتبر الإمامة عند الاثني عشرية وعند الزيديّة مسألةً عقائديةً.

ولو أُفترِضَ وجود ربطٍ مّا بين المسألتين فلن يكون إلّا في محدودة «الأحق بالإمامة»، وهذه مسألةٌ ـ مترتبةٌ ـ موضوعياً

---

(١) الغدير ٣: ٢٧٢.

ومنطقياً علىٰ نظريتي « اللطف » و« العصمة»، وعندما يصل الدور إلىٰ نقاش هاتين النظريتين فسيكون البحث بعيداً جدّاً عن حال أئمة الزيديّة من أبناء الحسن عليه السلام.

ويبسط الشيخ الأشعري الحديث حول الإمامية بعد الإمام الحسن العسكري « الإمام الحادي عشر » عند الاثني عشرية بقوله:

«ففرقة منها وهي المعروفة « بالإمامية » قالت: لله ـ في أرضه بعد مضي الحسن بن عليّ ـ حجّة على عباده وخليفة في بلاده، قائم بأمره من وُلد الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ الرضا، آمرٌ، ناهٍ مبلغ عن آبائه مودع عن أسلافه، ما استودعوه من علوم الله وكتبه وأحكامه وفرائضه وسننه، عالم بما يحتاج إليه الخلق من أمر دينهم ومصالح دنياهم خلف لأبيه، ووصى له، قائم بالأمر بعده، هاد للأُمة مهدي على المنهاج الأوّل والسنن الماضية من الأئمة، الجارية فيمن مضىٰ منهم، القائمة فيمن بقي منهم، إلىٰ أن تقوم الساعة، ومن وتيرة الأعقاب، ونظام الولادة، ولا ينتقل ولا يزول عن حالها، ولا تكون الإمامة ولا تعود في أخوين بعد الحسن والحسين، ولا يجوز ذلك ولا يكون إلّا في عقب الحسن بن عليّ بن محمّد إلىٰ فناء الخلق وانقطاع أمر الله ونهيه ورفعه التكليف عن عباده، متصل ذلك ما اتصلتْ أُمور الله، ولو كان في الأرض رجلان كان أحدهما الحجّة، ولو مات أحدهما لكان الباقي منهما الحجة ما اتّصل أمر الله ودام

نهيه في عباده، وما كان تكليفه قائماً في خلقه، ولا يجوز أن تكون الإمامة في عقب من يموت في حياة أبيه ولا في وصي له من أخ ولا غيره، إذا لم تثبت للميت ـ في حياة أبيه في نفسه ـ إمامةٌ، ولم يلزم العباد به حجّة، ولو جاز ذلك لصحَّ مذهب أصحاب إسماعيل بن جعفر بن محمّد، ولثبتتْ إمامة ابنه محمّد بن إسماعيل بعد مضي جعفر بن محمّد، وكان من دان بها من « المباركية » و « القرامطة » محقّاً مصيباً في مذهبه، وذلك أنَّ المأثور عن الأئمة الصادقين ممّا لا دفع بين هذه العصابة من الشيعة الإمامية، ولا شكّ فيه وقوّة أسبابها، وجودة أسانيدها وثقة ناقليها، أنَّ الإمامة لا تعود في أخوين إلىٰ قيام الساعة بعد حسن وحسين، ولا يكون ذلك ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجّة من عقب الإمام، الإمام الماضي قبله ولو خلت ساعة لساخت الأرض ومن عليها، فنحن متمسكون بإمامة الحسن ابن عليّ، مقرُّون بوفاته موقنون مؤمنون بأنّ له خلفاً من صلبه، متديّنون بذلك، وأنّه الإمام من بعد أبيه الحسن بن عليّ، وأنّه في هذه الحالة مستتر خائف مغمور مأمور بذلك، حتّىٰ يأذن الله عزّ وجلّ له فيظهر ويعلن أمره، كظهور من مضى قبله من آبائه، إذ الأمر لله تبارك وتعالىٰ يفعل ما يشاء ويأمر بما يريد من ظهور وخفاء ونطق وصموت، كما أمر رسول الله ﷺ في حال نبوّته بترك إظهار أمره والسكوت والاخفاء من أعدائه والاستتار، وترك اظهار النبوّة

التي هي أجلّ وأعظم وأشهر من الإمامة، فلم يزل كذلك سنين إلىٰ أن أمره بإعلان ذلك وعند الوقت الّذي قدّره تبارك وتعالىٰ فصدع بأمره وأظهر الدعوةَ لقومه.

ثمّ بعد الإعلان بالرسالة وإقامة الدلائل المعجزة والبراهين الواضحة اللازمة بها الحجّة وبعد... قريش وسائر الخلق من عرب وعجم وما لقي من الشدّة، ولقيه أصحابه من المؤمنين أمرَهم بالهجرة إلىٰ الحبشة، وأقام هو مع قومه حتّى توفّي أبو طالب، فخاف علىٰ نفسه وبقيّة أصحابه، فأمره الله عند ذلك بالهجرة إلىٰ المدنية وأمره بالاختفاء في الغار والاستتار من العدوّ، فاستتر أيّاماً خائفاً مطلوباً حتىٰ أذن الله له وأمره بالخروج، وكيف بالغريب الوحيد الشريد الطريد[1] المطلوب الموتور بأبيه وجدّه ؟ هذا مع القول المشهور من أمير المؤمنين على المنبر: « اللهمّ.. ولا تخلي الأرض من قائم منهم بحجتك ظاهراً أو خافياً مغموراً لئلا يبطل

---

(١) من المسائل التاريخية الضرورية واللازمة معرفتها للدارس حياة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام أن يعرف مدى الظلم المتمثّل بالحصار والتضييق والملاحقة التي كانوا يعانون منها عليهم السلام ممّا يجعل كثيراً من الباحثين والمحقّقين والعلماء يجزم بأنّه لم يعانِ أحدٌ من أنواع التعتيم والإرهاب الفكري والحصار مثلُ ما عانى منه أئمة أهل البيت الاثنى عشر سلام الله عليهم.

دينك وحجتك وبرهانك »[1].

وبذلك جاءت الأخبار الصحيحة المشهورة عن الأئمة، وليس على العباد أن يبحثوا عن أُمور الله ويقفوا أثر مالا علم لهم به ويطلبوا إظهاره، فستره الله عليهم وغيّبه عنهم، قال الله عزّ وجلّ لرسوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾[2] فليس يجوز لمؤمن ولا مؤمنة طلب ما ستره الله، ولا البحث عن اسمه وموضعه، ولا السؤال عن أمره ومكانه، حتّى يؤمروا بذلك، إذ هو عليه السلام غائب خائف مغمور مستور بستر الله من متبع لأمره عزّ وجلّ ولأمر آبائه، بل البحث عن أمره وطلب مكانه والسؤال عن حاله وأمره محرم[3]، لا يحلُّ ولا يسع، لأنّ في طلب ذلك وإظهار ما ستره الله عنا وكشفِه واعلان أمره والتنويه باسمه معصية الله[4]، والعون علىٰ سفك دمه عليه السلام ودماء شيعته

---

(١) كمال الدين: ٢٦٢.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) تدلّ بعض الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام على هذا الأمر، وخصوصاً من الأيام الأُولىٰ لغيبة الإمام الثاني عشر، ويمكن تخصيص تلك الأحاديث بتلك الفترة القلقة من تاريخ الأُمة والإمامة.

(٤) وهذا الأمر أيضاً ـ عدم ذكر اسمه ـ يعمل على تلك الحالة في التاريخ، حيث يرى بعض العلماء جواز تسميته في عصر الغيبة الكبرى كالشيخ الطوسي وغيره من أعلام الإمامية. أُنظر: الرسائل العشر، الإرشاد وغيره.

وانتهاك حرمته، أعاذ الله من ذلك كلَّ مؤمن ومؤمنة برحمته، وفي ستر أمره والسكوت عن ذكره حقنُها وصيانتها سلامة ديننا والانتهاء إلىٰ أمر الله وأمر أئمتنا وطاعتهم، وفقنا الله وجميع المؤمنين لطاعته ومرضاته بمنّه ورأفته.

ولا يجوز لنا ولا لأحد من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله واستدلاله، وكيف يجوز هذا وقد حظره الله جلَّ وتعالىٰ علىٰ رسله وأنبيائه وجميع خلقه فقال في كتابه ـ إذ لم يجعل الاختيار إليهم في شيءٍ من ذلك ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ... ﴾[1]، وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشاءُ وَيَخْتَارُ مَاكَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ .. ﴾[2]، وإنّما اختيار الحجج والأئمة إلى الله عزّ وجلّ وإقامتُهم إليه، فهو يقيمهم ويختارهم وإذا شاء يقيمهم فيظهرهم ويعلن أمرهم إذا أراد، ويستره إذا شاء فلا يبديه، لأنّه تبارك وتعالىٰ أعلمُ بتدبيره في خلقه وأعرفُ بمصلحتهم، والإمام أعلمُ بأُمور نفسه وزمانه وحوادث أُمور الله منّا.

وقد قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد، وهو ظاهرُ الأمر، معروفُ

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

المكان، مشهور الولادة والذكر، لا يُنكر نسبُه، شائعٌ اسمُه وذكره وأمره في الخاصّ والعام: « من سماني باسمي فعليه لعنة الله »[1]، وقد كان الرجل من أوليائه وشيعته يلقاه في الطريق فيحيد عنه ولا يسلِّم عليه تقيّةً، فإذا لقيه أبو عبد الله شكره علىٰ فعله وصوّبَ له ما كان منه، وحمده عليه وذمَّ من تعرّف إليه وسلّم عليه، وأقدم عليه بالمكروه من الكلام.

وكذلك حُكِيَ عن أبي إبراهيم[2] من منع تسميته مثلَ ما حكي عن أبيه، كل ذلك تقية وتخوّفاً من العدوّ. وهذا أبو الحسن الرضا يقول: (ولو علمتُ ما يريد القوم منى لأهلكت نفسي عندهم بما لا يوثّق ديني بلعب الحمام والديكة وأشباه ذلك »، هذا كلّه لشدّة التستر من الأعداء ولوجوب فرض استعمال التقية.

فكيف يجوز في زماننا هذا ترك استعمال ذلك مع شدّة الطلب وضيق الأمر وجور السلطان عليهم، وقلّة رعايته لحقوق أمثالهم

---

(١) ويعمل هذا الحديث على التسمية حين الرواية الولائية المحضة مثلاً أو الحكم الشرعي المختصّ به الشيعة؛ كي لا يُعرَف القائل (وهو الإمام) فيُتعرّض له بسوءٍ وتكون النتيجة من أذيته حرمان الأُمة من معرفة أحكام دينها ودنياها.

(٢) الإمام الكاظم موسىٰ بن جعفر الصادق عليه السلام.

ومع ما لقي في الماضي أبو الحسن[1] من المتوكّل[2] وشدّته عليه، وما حلَّ بأبي محمّد[3] من هذه العصابة من صالح بن وصيف لعنه الله وحبسه ايّاه، وأمره بقتله، وحبسه له ولأهل بيته، وطلب الشيعة وما نالهم منه من الأذىٰ والتعنّت، تسمية من لم يظهر له خبر ولم يعرف له اسم مشهور وخفيت ولادته، وقد رويت الأخبار الكثيرة الصحيحة: «إنّ القائم تخفىٰ على الناس ولادته ويخمل ذكره، ولا يعرف اسمه، ولا يعلم مكانه حتى يظهر ويؤتم به قبل قيامه».

ولابُدّ مع هذا الذي ذكرناه ووصفنا استتاره وخفاءه من أن يُعْلمَ أمرُه وثقاتُه وثقاتُ أبيه وإن قلّوا، لأنّ الإشارة بالوصيّة من إمام إلى إمام بعده لا تصح ولا تثبت إلّا بشهود عدول من خاصة الأولياء، أقلُّ ذلك شاهدان فما فوقهما، إلّا أن يكون للإمام الماضي إلّا ولد واحد فيُستغنىٰ بذلك عن الإشارة إليه علىٰ ما روي عن أبي جعفر محمد بن الرضا[4] أنّه قال لمحمّد بن عيسى بن عبد الله

---

(١) أبو الحسن (الثالث) الإمام الهادي النقي علي بن محمّد الجواد بن الإمام علي الرضا عليهم السلام (٢١٢ ـ ٢٥٤).

(٢) جعفر بن المعتصم (٢٠٦ ـ ٢٤٧) الخليفة العباسي العاشر.

(٣) هو الإمام الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. الحسن بن علي الهادي ويعرف بالعسكري (٢٣٢ ـ ٢٦٠).

(٤) الامام الجواد محمد بن علي الرضا، هو الإمام التاسع من الائمة الاثنى

الأشعري[1]، وهو يناظره في شيء من هذا النحو: « يا أبا علي ارتفع الشكّ والشبهة ما لأبي غيري»، ومع هذا فإن الرضا لم يدع الاشارة إليه والوصية والإشهاد على ذلك؛ لأنه لابدّ منه، إذ السنّةُ جارية من رسول الله بذلك ومن الأئمة من بعده، وإذ قد فعله أميرُ المؤمنين[2] والحسن، وفعلَه الحسنُ بالحسين، مع وصية رسول الله واشارته إليهم، وهي أنّ الإمامة في عقب الحسن بن محمّد ما اتّصلتْ أُمور الله ولا ترجع إلى أخ ولا عمّ ولا ابن عمّ ولا ولد ولد، و[مَن] مات أبوه في حياة جدّه ولا يزول عن ولد الصلب، ولا يكون أن يموت إمام إلّا ولد له لصلبه، وله ولد وولد، فهذه سبيل الإمامة وهذا المنهاج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها، وعلى ذلك

← عشر عليهم السلام وكان مع ابنه الهادي وحفيده العسكري عليهما السلام يعرف كلّ واحد منهم في زمانه بابن الرضا (١٩٥ ـ ٢٢٠).

(١) محمّد بن عيسى بن عبد الله الأشعري: شيخ القميين، وجه الأشاعرة ...، دخل على الرضا عليه السلام وسمع عنه، وروى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام (الإمام الجواد).

(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يطلق لقب أمير المؤمنين عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية إلّا عليه، وجاءت تسميته بأمير المؤمنين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. انظر: الإرشاد ١: ٤٥، وفي مصادر الزيدية: أنوار اليقين: ١٧٨، لوامع الأنوار ١: ١٣٤.

كان إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن عليّ رضوان الله عليه»[1].

ويقول الشيخ المفيد مبيّناً وجهة نظر هذه الطائفة «الإمامية» في مسألة الإمامة وكيف نُسبت هذه الفرقة إلى هذه التسمية الخاصة:

«فأمّا السمة للمذهب بالإمامة ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية فهو علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كلّ زمان، وأوجب النصّ الجليّ والعصمة والكمال لكلِّ إمام، ثمّ حصر الإمامة في وُلد الحسين بن عليّ عليه السلام وساقها إلى الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، لأنّه وإن كان في الأصل علماً على من دان من الأُصول بما ذكرناه دون التخصيص لمن قال في الأعيان بما وصفناه، فإنّه قد انتقل عن أصله لاستحقاق فرق من معتقديه ألقاباً بأحاديث لهم بأقاويل أحدثوها فغلبت عليهم في الاستعمال دون الوصف بالإماميّة، وصار هذا الاسم في عرف المتكلّمين وغيرهم من الفقهاء والعامّة علماً على من ذكرناه»[2].

ويذكر أُسس العقيدة الاثنىٰ عشرية في الإمامة بقوله: «واتفقت الإمامية على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في حياته ونصّ عليه بالإمامة بعد وفاته، وأنَّ من دفع ذلك فقد دفع

---

(١) المقالات والفرق: ١٠٢ ـ ١٠٦.

(٢) أوائل المقالات: ٣٨ ـ ٣٩.

فرضاً من الدين...

واتفقت الإماميّة على أنّ النبيّ ﷺ نصّ على إمامة الحسن والحسين بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً نصّ عليهما كما نصّ الرسول ﷺ....

واتفقت الإمامية على أنّ رسول الله ﷺ نصّ على عليّ بن الحسين، وأنّ أباه وجدّه نصّا عليه كما نصّ عليه الرسول ﷺ، وأنّه كان بذلك إماماً للمؤمنين.

واتفقت الإمامية على أنّ الأئمة بعد الرسول ﷺ اثنا عشر إماماً، وخالفهم في ذلك كلّ من عداهم من أهل الملّة، وحججهم في ذلك على خلاف الجمهور ظاهرة من جهة القياس العقلي والسمع المرضي والبرهان الجليّ الذي يفضي التمسّك به إلى اليقين»[1].

وبما أنّ لأسماء المذاهب دوراً هامّاً في تاريخها ودراساتها التحليلية، يعقد الدكتور عبد الله فياض في كتابه الهامّ «تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة..» فصلاً خاصاً لظهور الفرقة الاثني عشرية وتسميتها، جاء فيه:

«تتبّعنا في الفصل الأوّل نشوء فرق الشيعة وتطوّرها حتى نهاية الربع الأوّل من القرن الثاني للهجرة، وبيّنا أنّه لم تكن بين تلك الفرق

---

(١) أوائل المقالات: ٤٠ ـ ٤١.

فرقة تسمّى بالإمامية[1]، وبعد أن انتقلت الإمامة إلى الصادق بعد وفاة أبيه الباقر اعترف الشيعة أسلاف الإمامية بإمامته[2]، ويظهر أنّ القائلين بإمامته كوّنوا فرقةً دينية متميّزة.

روى الكشي أنّ شيعة الصادق عليه السلام في الكوفة سمّوا بـ«الجعفريّة». وبالرغم من ذلك فقد بقي الشيعة الموالون للصادق يسمّون بـ«شيعة عليّ». قال سعيد بن يسار[3]: «سمعت أبا عبدالله الصادق يقول: الحمد لله صارت فرقة مرجئة[4] وصارت فرقة حرورية[5]، وصارت

---

(١) مسألة عدم ظهور التسمية « الإمامية » انما تعطي مدلولاً لعدم ظهور التسمية فقط : أي أنها لا دخل لها من قريب ولا من بعيد « بالفكرة » ففكرة « الإمامية » وإمامة الأئمة الاثنىٰ عشر مسأله تعدّد جذورها إلىٰ نص الرسول صلى الله عليه وآله على الاثنى عشر عليهم السلام .

(٢) أسلاف الإمامية تسميةٌ أطلقها الدكتور عبدالله فياض على الإمامية في عصور الأئمة وقبل تبلور التسمية بـ «الإمامية» و«الاثنى عشرية» بعد عصر الإمام الحسن العسكري، وفي عصر الغيبة كما سيذكر هو بنفسه.

(٣) سعيد بن يسار، كوفي ثقة من أصحاب الصادق عليه السلام . معجم رجال الحديث ٩: ١٤٨.

(٤) المرجئة يطلق على طائفة تؤخر علياً عليه السلام من الدرجة الأولى إلى الرابعة. راجع شرح أُصول الكافي ١١: ٤٥٢.

(٥) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي عليه السلام، ولما كان اجتماعهم في قرية حرورا قرب الكوفة، سمّاهم عليه السلام حرورية. المصدر السابق.

فرقة قدرية[1]، وسميتم «الترابية» و«شيعة عليّ»».

ونفيد من النصوص السابقة أنّ الفرقة الموالية للصادق كانت في حياته تسمى بالترابية أو شيعة عليّ ولم تسم بالإمامية.

ويبدو أنّ اسم « الرافضة » قد أُطلق في حياة الصادق على الشيعة الموالية له، وترد أخبار مختلفة عن معنى « الرافضة » وعمّن أطلق ذلك الاسم على الشيعة.

ويشير أحد تلك الأخبار إلى أنّ المغيرة بن سعيد المقتول سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧ م هو الذي أطلق اسم الرافضة على القائلين بإمامة جعفر بن محمّد الصادق.

يقول سعد الأشعري: « فلمّا توفّي أبو جعفر (الباقر) عليه السلام افترقت فرقته فرقتين: فرقة منها قالت: بإمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن ابن حسن بن عليّ بن أبي طالب.... وكان المغيرة بن سعيد قال بهذا القول لمّا توفّي أبو جعفر محمّد بن علي وأظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشيعة شيعةُ جعفر بن محمّد ورفضوه ولعنوه، فزعم أنّهم رافضة، وأنّه هو الذي سمّاهم بهذا الاسم ...».

---

(١) القدرية: هم الجبرية الذين ذهبوا إلى أنّ أفعال العباد خيرها وشرّها صادرة عنه تعالى. المصدر السابق.

ويخالف أبو الحسن الأشعري[1] الرأيَ السابقَ بخصوص تسمية الرافضة فيقول: « وإنّما سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر».

أمّا الشهرستاني[2] فله رأي آخر حول الموضوع نفسه. ويقول إنّ « زيد بن عليّ» كان يقول: يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم ... ولمّا سمعتْ شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنّه لا يتبرّأ من الشيخين رفضوه... فسُمّيتْ رافضة».

وللشيخ المفيد رأي آخر في سبب تسمية الشيعة بالرافضة؛ أورده مسنداً بحديث نُسِبَ إلى الإمام الصادق قوله ـ عندما اشتكى إليه أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي[3] الذي قال: « فإنا قد نُبِزْنا نَبْزاً انكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلتْ به الولاةُ

---

(١) أبو الحسن علي الأشعري: (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ): متكلّم من الأئمة، كان معتزلياً ثمّ جاهر بخلافهم، ولد في البصرة وتُوفّي ببغداد. من مؤلّفاته «الإبانة عن أصول الديانة» و « مقالات الإسلاميين». انظر الأعلام ٤: ٢٦٣.

(٢) الشهرستاني: أبو الفتح محمّد (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م): متكلّم من فلاسفة الإسلام ومؤرّخي الأديان. اشتهر بكتابه « الملل والنحل»، استعرض فيه المذاهب الدينية والفلسفية التي عرفها من المدرسة الأشعرية. انظر: المنجد في الأعلام: ٣٣٧.

(٣) يحيى بن القاسم الأسدي: أبو بصير، قال النجاشي ـ من أكابر علماء الإمامية في الرجال: ثقة، وجيه، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ... » كوفي، تابعي، (ت ١٥٠هـ)، انظر: معجم رجال الحديث ٢١: ٧٩ ـ ٩٠.

دماءنا في حديث رواه فقهاؤهم هؤلاء. قال: ـ فقال: الرافضة ؟

قلت: نعم

قال: لا والله ماهم سمَّوكم بل الله سماكم...».

وعلّلَ الإمامُ لأبي بصير ذلك بأن بني اسرائيل رفضوا فرعون ولحقوا بموسى « فأوحى اللهُ إلى موسى أن أثبتْ لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد نحلتهم، ثمّ ذخر الله هذا الاسم حتى سمّاكم به إذ رفضتُم فرعون وهامان وجنودهما واتبعتم محمّداً وآل محمّد...».

ونخرج من كلّ ما قيل عن الرافضة بالنتائج التالية:

أوّلاً ـ إنّ خصوم الشيعة من أهل السنّة هم الذين سمّوهم بالرافضة لأسباب تتعلق بموقفهم من خلافة الشيخين، ويؤيد ذلك ما أورَدَتْه المصادر، وما قاله أبو بصير في شكواه للإمام الصادق المذكور في أعلاه.

ثانياً ـ إنّ هدف « المفيد » من إيراد الحديث السابق الاستناد عليه في عقد مقارنة بين مصائب الشيعة التي حلّتْ بهم على يد خصومهم وبين أصحاب النبيّ موسى على يد فرعون، حذو القذة بالقذة، وذلك لأنّ أُولئك وهؤلاء في نظر المفيد تعرّضوا للإيذاء بسبب طاعتهم لله كما رسمها موسى لأصحابه في سالف الزمان ومحمّد وآل محمد لمواليهم في دولة الإسلام، وقد دأب علماء

الشيعة على عقد أمثال المقارنة المذكورة حين تحين المناسبة لها، فابن قولويه[1] مثلاً شبّهَ مقتل الحسين بمقتل يحيى بن زكريا، كما بيّنا سابقاً، وسنعرض لإيراد أمثال هذه المقارنات في أمكنتها من هذا البحث.

ثالثاً ـ إنّ الرواية التي تَنْسِبُ للمغيرة تسميةَ الشيعة بـ «الرافضة» ضعيفة ولا تصمد للنقد؛ لأنّ رفض الشيعة المعتدلين للمغيرة أمر طبيعي لأنّه من الغلاة، فلا موجب لحنق الشيعة من تسميةٍ أطلقها عليهم أحدُ الغلاة الخارجين عن الدين في نظرهم؛ لأنهم خرجوا من حدِّ الإمامة إلى الربوبية[2].

ولا موجب أيضاً لأن يستحلَّ ولاةُ السلطان دماءَ الشيعة، على

---

(١) ابن قولويه: جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى القمّي، أبو القاسم، (ت ٣٦٨هـ) قال عنه النجاشي: من ثقات أصحابنا، وأجلّائهم في الحديث والفقه، من أشهر كتبه «كامل الزيارات» انظر: معجم رجال الحديث ٥:٧٦.

(٢) قد يكون هذا أحد أنواعِ الغلوّ، وأمّا أن يكون المغيرة أحد الذين أخرجوا الأئمة من حدِّ الإمامة إلى الربوبية فذلك أمرٌ مستغربٌ، وبحاجة إلى تحقيق، خصوصاً إذا ما لوحظ أنّ المغيرة كان زيدياً، وقال بغيبة محمّد بن عبد الله «ذو النفس الزكية»، والزيديّة ـ سواءاً من كان معهم في البداية قائلاً بإمامة الصادق صلوات الله عليه ثم خرج عنها أو من وجد فيما بعد أو حتى من قبل ـ لم يعرف عن أحدٍ منهم بما فيهم متقدّميهم القولُ بهذا النوعِ من الغلوّ السبئي.

حدٍّ قول « أبي بصير»، إذا كانت التسمية لا علاقة لها بالخلاف المذهبي والمسّ بسيرة الشيخين.

ويظهر أنّ كلمة « الشيعة » مجرّدةً كانت تُطْلَق أيضاً على المُوالين للإمام الصادق في عهده، ويدلّ على ذلك ما رواه الكشّي[1] من أنّ « عمرو بن زيد »[2] قال: « دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فحدّثني مسليّاً في فضائل الشيعة... »، وقال « أبان بن تغلب»[3] المعاصر للإمامين الباقر والصادق لزميلٍ له: « تدري من الشيعة ؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذوا بقول عليّ، وإذا اختلف الناس عن عليّ أخذوا بقول جعفر بن محمّد».

ويؤكِّد هذا ما سبق أن بيّناه وهو أنّ أنصار الصادق ومواليه لم

---

(١) الكشّي: أبو عمرو محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي، وهو من طبقة ثقة الإسلام الشيخ الكليني، صاحب كتاب الرجال، ثقة، بصير بالرجال والأخبار...
أُنظر: معجم رجال الحديث ١٨: ٦٧.

(٢) روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وروى عنه ابن محبوب: معجم رجال الحديث ١٤: ١٤٥.

(٣) قال النجاشي: « أبان بن تغلب بن رباح (رياح) أبو سعيد البكري الجريري، مولى بنى جرير بن عبادة...، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي علي بن الحسين، وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم. (توفي ١٤١هـ)، أُنظر: معجم رجال الحديث ١: ١٣١.

يُسمَّوا بـ« الإمامية » في عهده.

ولما كان هـؤلاء يـعتقدون بـإمامة الأئـمة المـعصومين حسب التسلسل الذي تبنَّتْه الشيعة الإمامية حين سُمِّيتْ بهذا الاسم فـيما بعد، آثرنا أن نطلق عليهم اسم « أسلاف الإمامية»، يضاف إلى ذلك أن أخذ أُولئك الشيعة بقول جعفر بن محمّد دون غيره من أولاد عليّ، يعني أنّهم يعتنقون المذهب الجعفري، والجعفرية والإمـامية الاثـنا عشرية أصبحوا فيما بعد شيئاً واحداً.

ويبدو أنّ اصطلاح « شيعة » مضافةً إلى إمام معين و « الشيعة » مجرّدة كانا هما المستعملين دون الإمامية للدلالة على مـوالي آل البيت أثناء إمامة موسى الكاظم (ت: ١٨٣هـ).

زار الكاظم ـ بعد وفاة الصادق ـ أحد مواليـه فـقال: « شـيعتك وشيعة أبيك »، وبعد وفاة الكاظم ظهر الواقفة الذين أنكـروا إمـامة الرضا عليه السلام، قال الكشّي: « كان بدو الواقفة أنّه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة[1] لزكاة أموالهم وما كان يـجب عـليهم فـيها، فحملوه الىٰ وكيلين لموسى عليه السلام بالكوفة... وكـان مـوسى عليه السلام فـي الحبس فاتّخذا بذلك دوراً وعقدا العقود... فلمّا مات موسى فانتهى الخبر إليهما، أنكرا موته وأذاعا في الشيعة أنّه لا يموت لأنّه القائم،

---

(١) الأشعث اسم رجل، ومنه الأشاعثة، والهاء للنسب: الصحاح ١: ٢٨٥.

فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة... حتى كان موتهما أوصيا بدفع ذلك المال إلى ورثة موسى عليه السلام فاستبان للشيعة أنّهما... »

وبعد موت الكاظم سُمِّي القائلون بإمامته، وإمامة عليّ بن موسى من بعده « القطعية » « لأنّها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة عليّ ابنه بعده ولم تشكّ في أمرها ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأوّل».

ويتضح من النصّ السابق أنّ أنصار الكاظم ومواليه لم يعرفوا بالإمامية عند وفاته.

ونفيد من كلّ ما سبق ذكره أنّ اصطلاح «الإمامية» ما كان معروفاً حينذاك بين الاصطلاحات المذكورة، وأنّ تلك الاصطلاحات جميعها تعني شيئاً واحداً لأنّها كانت تطلق على الشيعة أسلاف الإمامية أوالجعفرية أوالقطعية بعد وفاة الكاظم، وهم شيعة آل البيت الذين ساقوا الإمامة الى جعفر الصادق وابنه موسى من بعده وعليّ بن موسى بعد أبيه، ويقصد بآل البيت ـ في نظر هؤلاء حصراً ـ الأئمة المعصومون من ولد الحسين دون غيره من آل عليّ. وهذا ما قصده « النوبختي »[1] في أعلاه بقوله: « إنّها مضت

---

(١) الحسن بن موسى النوبختي: أبو محمّد، متكلّم، فيلسوف، كان إمامياً ←

على المنهاج الأوّل » أي تبنّتْ سلسلة الأئمة الذين عرفوا فيما بعد بالأئمة الاثني عشر المعصومين.

وبعدما قدمت سأحاول في ما يلي أن أقترح بداية لظهور مصطلح «الإمامية» وإطلاقه على جماعة من الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر إماماً، تسعة منهم من ولد الحسين وآخرهم المهدي المنتظر:

لقد وُصِفَ جماعةٌ من الشيعة قبل حصول الغيبة سنة ٢٦٠هـ بأنّهم « إماميون » منهم: علي بن إسماعيل التمّار[١] الذي عدّه الشيخ الطوسي[٢] (ت: ٤٦٠هـ) « أوّل من تكلّم علىٰ مذهب الإمامية»،

← حسن الاعتقاد « المبرّز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها » يُنسب إليه كتاب « فرق الشيعة»، انظر: معجم رجال الحديث ٦: ١٥٤.

ويرى السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي أنّ كتاب « فرق الشيعة » ليس للنوبختي وإنّما هو مأخوذٌ من كتاب «المقالات ـ للأشعري». أُنظر: تراثنا: ٤٨، العدد الأوّل ـ السنة الأُولى ١٤٠٥هـ.

(١) علي بن إسماعيل التمّار: أبو الحسن، مولى بني أسد، كوفي سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل والنظام، له مجالس وكتب، منها كتاب الإمامة [الكامل]، انظر: معجم رجال الحديث ١٢: ٢٩٩.

(٢) الشيخ الطوسي: محمّد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) قال عنه النجاشي: جليلٌ في أصحابنا، ثقة، عين ...، وقال السيّد ←

وعليٌّ هذا كان معاصراً لهشام بن الحكم[1] الذي توفّي سنة (١٩٩هـ)

← الخوئي: «أسّس الشيخ ـ قدس الله نفسه ـ في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مدرسةً ما أعظمها، وأجلَّ شأنها، فقد تخرّج عليه عدد كثير من الفقهاء والمجتهدين، ومن العلماء المفسرين والمتكلّمين، وبلغ ـ قدَّس الله نفسه ـ من العلم، والفضل، مرتبةً كانت آراؤه وفتاواه تُعدّ في سلك الأدلّة على الأحكام، ولذلك عبّر غير واحد من الأعلام عن العلماء بعده إلىٰ زمان ابن ادريس بالمقلّدة، وهذه المدرسة المباركة تتخرّج عليها العلماء، جيلاً بعد جيل إلىٰ زماننا هذا... وإني لم أظفر في علماء الإسلام من هو أعظم شأناً منه، فقد كتب في الفقه، والأُصول، والكلام، والتفسير، والرجال، وكتبه تتناولها الأيدي، ويستفاد منها إلى اليوم، فحقاً قيل له: شيخ الطائفة، وزعيمها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء...»، من أشهر كتبه: تهذيب الأحكام في الحديث، والفهرست في الرجال. أُنظر: معجم رجال الحديث ١٦: ٢٥٧ ـ ٢٦٢.

(١) هشام بن الحكم: أبو محمّد، مولىٰ كندة، وكان ينزل في بني شيبان بالكوفة، مولده ومنشأه بواسط (ت ١٧٩هـ)، عدّه المفيد رحمه الله من الاعلام الرؤساء، المأخوذ عنهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام، الذين لا مطعن عليهم، ولا طريق إلىٰ ذم واحد منهم، لقي الصادق والكاظم عليهما السلام، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر، ورفعه الصادق عليه السلام في الشيوخ وهو غلام، وقال: «هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده»، وقوله عليه السلام: «هشام بن الحكم رائد حقنا، وسائق قولنا، المؤيّد لصدقنا، والدافع لباطل أعدائنا». انظر: معجم رجال الحديث ٢٠: ٢٩٧ ـ ٣٢٣، كتاب هشام بن الحكم، عبد الله نعمة.

علىٰ أشهر الروايات. ومنهم محمّد بن خليل بن جعفر المعروف بالسكاك[1] صاحب هشام بن الحكم وتلميذه، وكان محمّد المذكور إمامياً، له كتاب في التشبيه.

وإذا صحّ أنّ وفاة هشام بن الحكم كما ذكرنا يظهر أنّ هناك جماعة عرفوا بالإمامية في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة، ولكننا نرجّح أنّ مصطلح « إمامية » لم يكن معروفاً في ذلك الحين، وأن الطوسي وابن داود[2] الحلّي (من علماء القرن السابع) أطلقا علىٰ (علي التمّار) و (السكّاك) المذكورين في أعلاه كلمه «إمامي»؛ لأنّهما كانا شيعيين من موالي أهل البيت، أو لأنّ اصطلاح «إمامي» و « شيعي » تعني في عهدهما شيئاً واحداً.

وكان حبيب بن أوس أبو تمام الطائي[3] إمامياً وله في أهل البيت

---

(١) قال النجاشي: « محمّد بن الخليل، أبو جعفر السكّاك: بغدادي، يعمل السكك صاحب هشام بن الحكم، وتلميذه، أخذ عنه، له كتب، منها: كتاب في الإمامة ... »، معجم رجال الحديث ١٧: ٨٠.

(٢) ابن داود الحلّي: الحسن بن علي بن داود الحلّي، تقي الدين، عالم فاضل، محقّق متبحّر من تلامذة المحقق الحلّي والسيّد جمال الدين بن طاووس، له نحو ثلاثين مصنّفاً في علومٍ متعدّدة وله كتاب في الرجال ولد عام ٦٤٧هـ. انظر: معجم رجال الحديث ٦: ٣٤.

(٣) حبيب بن أوس، أبو تمام الطائي، قال النجاشي: « كان إمامياً، وله شعر في ←

مدائح كثيرة، ويقول النجاشي[1] عند ترجمته لعلي بن عبيد الله بن حسين بن علي أنّه: «كان أزهد آل أبي طالب وأعبدهم في زمانه، واختصّ بموسىٰ والرضا عليهما السلام واختلط بأصحابنا الإمامية...».

ولمّا كانت وفاة الرضا سنة ٢٠٣هـ، يبدو لأوّل وهلة أنّ جماعةً من الشيعة عُرفوا بالإمامية، كانت موجودة في بداية القرن الثالث للهجرة. والذي أراه أنّ نصّ النجاشي هذا يصدق عليه ما قلناه في أعلاه عن النصين اللذين أوردهما الطوسي والحلّي.

ويؤيِّدُ ما قاله سعد الأشعري حول انقسام الشيعة إلىٰ خمس فرق بعد وفاة عليّ الرضا عليه السلام لم يكن بينها فرقة تسمّىٰ الإمامية، وأنّ من بين تلك الفرق «فرقة قالت: الإمام بعد عليّ بن موسىٰ ابنه محمد بن عليّ... واتبعوا الوصيّة والمنهاج الأوّل من لدن النبيّ صلى الله عليه وآله»؛ إنّ

← أهل البيت كثير، وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله، أنّه رأىٰ نسخةً عتيقةً، قال: لعلّها كتبت في أيامه، أو قريباً منه، وفيها قصيدة يذكر فيها الأئمة، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أبي جعفر الثاني عليه السلام [الإمام الجواد محمّد بن علي الرضا عليهما السلام] لأنّه تُوفّي في أيامه...». أنظر: معجم رجال الحديث ٥: ١٩٦.

(١) النجاشي: أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الصيرفي أبو الحسين أو أبو العباس، ثقة، صدوق اللسان عند المخالف والمؤالف، له كتاب في الرجال وكان خرّيت هذه الصناعة، انظر: معجم رجال الحديث ٢: ١٤٠، ١٦٦، ١٧٦.

سعداً الأشعري وصف الفرقة الشيعية التي قالت بإمامة محمّد بن عليّ الجواد (ت: ٢٢٠هـ) بأنّها اتبعت الوصية والمنهاج الأوّل، ويعني ذلك أنّ أُولئك الشيعة تبنّوا سلسلة الأئمة التي تبنّتها الإمامية حين عُرِفتْ بهذا الاسم فيما بعد، فاولئك ـ والحالة هذه ـ شيعة يمكن تسميتهم أسلاف الإمامية أو الجعفريّة أو القطعية، ولكنّهم حتىٰ وفاة الجواد لم يُسمَّوا بالإمامية بعد.

وبعد وفاة الجواد نزل أصحابه «الذين ثبتوا علىٰ إمامته إلى القول بإمامة ابنه ووصيّه عليّ بن محمّد... فلم يزالوا كذلك حتىٰ توفّي عليّ بن محمّد...»، ولمّا كانت وفاة عليّ بن محمّد المعروف بالهادي سنة ٢٥٤هـ، فإنّ الشيعة القائلين بإمامته لم يعرفوا بالإمامية بعد، ولمّا كان الهادي يقع ضمن سلسلة الأئمة الاثني عشر، وأنّه وصيّ أبيه، فإنّ شيعته هم الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية دون أن يسمّوا بذلك الاسم في عهده.

وبعد وفاة عليّ الهادي انتقلت الإمامة إلىٰ ابنه الحسن المعروف بالعسكري، يقول سعد الأشعري: «وقال سائر أصحاب عليّ بن محمّد بإمامة ابنه الحسن بن عليّ...»، ولما كانت وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ، فإنّ شيعته حتىٰ ذلك التاريخ لم يسمّوا بالإمامية.

ولما توفّي العسكري لم يُر له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر، فافترق أصحابه من بعده خمس عشرة فرقة.

ويجعل النوبختي عدد فرق الشيعة التي ظهرت بعد وفاة العسكري أربع عشرة فرقة وكانت الفرقة الأُولىٰ من بين تلك الفرق ـ علىٰ رواية الأشعري ـ والثانية عشر ـ عند النوبختي هي «الإمامية».

يقول سعد الأشعري: ففرقة منها وهي المعروفة «بالإمامية» قالت: لله في أرضه بعد مضيّ الحسن بن عليّ حجةٌ علىٰ عباده وخليفة في بلاده قائم بأمره من ولد الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ الرضا، آمرٌ، ناهٍ، مبلّغ عن آبائه، مودع عن أسلافه، ما استُودِعُوه من علوم الله وكتبه وأحكامه وفرائضه وسننه عالم بما يحتاج إليه الخلق من أمر دينهم ومصالح دنياهم، خلف لأبيه، ووصيّ له، قائم بالأمر بعده، هادٍ للأُمّة مهدي على المنهاج الأوّل والسنن الماضية من الأئمة الجارية في من مضىٰ منهم، القائمة في من بقي منهم، إلىٰ أن تقوم الساعة... ولو كان في الأرض رجلان كان أحدهما الحجّة، ولو مات أحدهما لكان الباقي منهما الحجّة، ما اتصل أمر الله ودام نهيه في عباده... وذلك أنّ المأثور عن الأئمة الصادقين ممّا لا دفع بين هذه العصابة من الشيعة الإمامية، ولا شكّ فيه عندهم... ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجّة من عقب الإمام،

الإمام الماضي قبله، ولو خلت ساعة لساخت الأرض ومن عليها، فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن عليّ، مقرون بوفاته، موقنون بأنّ له خلفاً من صلبه... وأنّه الإمام من بعد أبيه الحسن... وأنّه في هذه الحالة مستتر خائف مغمور، مأمور بذلك، حتى يأذن الله... فيظهر ويعلن أمره».

ويستمر الأشعري في حديثه عن غيبة الإمام الثاني عشر، ويسند تلك الغيبة بقول للإمام عليّ عليه السلام مفاده «أنّ الله لا يخلي الأرض من حجّة له على خلقه، ظاهراً معروفاً أو خافياً مغموراً، لكي لا يبطل حجّته وبيناته»[1].

ويبيّن أنّ أخباراً مماثلة وردت عن الأئمة الآخرين. ولا يبيح الأشعري للعباد «أن يبحثوا عن أُمور الله ويقفوا أثر ما لا علم لهم به، ويطلبوا إظهاره ...»، وإن فعلوا ذلك ارتكبوا الأُمور المحرّمة عليهم، وإن طلب الناس إظهار ما ستره الله عنهم، يكونون كمن أعان علىٰ سفك دم الإمام المهدي ودماءِ شيعته، ويقول: «لا يجوز لنا ولا لأحدٍ من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله»،

وينهي الأشعري حديثَه عن معتقدات فرقة الإمامية بغيبة المهدي

---

(١) وهذا ممّا ترويه الزيديّة وتعتقده، راجع عدّة الأكياس ٢: ١١٨، الأحكام ٢: ٤٦٧، وأُنظر: نهج البلاغة ٤:٢٧، من كلام له عليه السلام لكميل.

بقوله: «فهذه سبيل الإمامة وهذا المنهاج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإمامية المهتدية... وعلى ذلك كان إجماعنا إلىٰ يوم مضى الحسن بن عليّ عليه السلام».

ويوجد تشابه كبير جداً بين رواية الأشعري ورواية النوبختي عن غيبة الإمام المهدي التي اعتقدت به فرقة من الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ، وسُمّيت من أجل ذلك بالإمامية.

ونفيد من كلّ ما سبق:

أوّلاً: إنّ سعداً الأشعري والنوبختي عنيا « بالإمامية » الجماعة الشيعية التي أنهتْ سلسلة أئمتها بالإمام القائم، أي الحجّة صاحب الزمان التي خفيتْ علىٰ الناس ولادته، وأُخْمِلَ ذكرُه، ولم يُعرفْ إلّا إنّه إمام ابن إمام، وبالرغم من ذلك فإنّ الأشعري استثنىٰ بعض ثقات الشيعة من الجهل بأمر ذلك الإمام، فيقول: «ولابدّ مع هذا الذي ذكرناه ووصفنا استتاره وخفاءه من أن يعلم أمره وثقاته وثقات أبيه وإن قلّوا، لأنّ الإشارة بالوصية من إمام إلىٰ إمام بعده لا تصح ولا تثبت إلّا بشهود عدول من خاصّة الأولياء ...».

ومن الجدير بالذكر أنّ عدد الأئمة بلغ اثني عشر إماماً بعد غيبة الإمام الثاني عشر وهو المهدي، لذلك أصبح الشيعة الإمامية يوصفون بـ(الاثني عشرية).

ثانياً: يظهر أنّ الأشعري ـ وهو من المعاصرين للغيبة؛ لأنّه توفّي سنة ٣٠١هـ كما أسلفنا ـ حدّد سلطة العقل والرأي في اختيار الأئمة بما فيهم الإمام الغائب، واعتمد بصورة أساسية في هذا الموضوع علىٰ دليل النقل.

ولا يظنّ أنّ الدليل العقلي المؤيّد بعلم الكلام بخصوص اختيار الإمام وغيبته أخذ يحتلّ مركزاً أكبر في عقيدة الإمامية فيما بعد، كما يظهر من كتابات الشيخ الطوسي في كتابيه الموسومين بـ«الغيبة»، و«تلخيص الشافي»[1] الوارد ذكرهما فيما سبق، بل هو مشاهد منذ القرن الأوّل في أتباع الائمة عليهم السلام.

ثالثاً: لقد فنّد النوبختي معتقدات جميع الفرق الشيعية بعد وفاة

---

(١) الشافي في الإمامة: للشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ عليّ بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦) ـ أخ الشريف الرضي جامع نهج البلاغة ـ كتبه رداً على الجزء الذي خصصه القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي (قاضي القضاة ت ٤١٥) للإمامة، وهو الجزء العشرون من كتابه الكلامي الكبير (المغني في التوحيد والعدل)، وقد طبع كتاب الشافي في الإمامة في أربع مجلّدات بتحقيق وتعليق السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ومراجعة السيّد فاضل الميلاني في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م، وأعادت مؤسسة الصادق في طهران طباعته (تصويراً) ونشره سنة ١٤١٠هـ، ويعتبر كتاب الشافي في الإمامة من أهم الكتب الكلامية التي تناولت موضوع الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية.

الإمام الحادي عشر، وأعلن صواب فرقة « الإمامية » الذين سلكوا وحدهم ـ علىٰ رأيه ـ سبيل الإمامة، واتبعوا المنهاج الواضح لاعترافهم باتمام سلسلة الإمامة بالإمام الغائب.

ويظهر أنّ الاعتراف بغيبة الإمام الثاني عشر ـ التي حصلت بعد ٢٦٠هـ ـ أصبح محور التشيع عند الإمامية، وقد أورد النعماني[1] (من علماء القرن الثالث) في كتابه الموسوم بـ«الغيبة » مجموعة من الأحاديث في إثبات الغيبة، فروى أنّ الإمام الصادق قال: « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من زعم أنّه إمام وليس بإمام، ومن زعم في إمام حقّ أنّه ليس بإمام وهو إمام، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً».

قال محمّد بن تمام: « قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ فلانا يقرئك السلام، ويقول لك: اضمن لي.

---

(١) النعماني: محمّد بن إبراهيم بن جعفر، أبو عبد الله الكاتب النعماني المعروف بابن زينب، عظيم القدر، شيخ من أصحابنا، كثير الحديث، قدم بغداد، وخرج إلىٰ الشام ومات بها، له كتبٌ... أُنظر: معجم رجال الحديث ١٥: ٢٣١.

ولم تكن قضية التأليف في الغيبة أمراً جديداً طرأ بعد الغيبة، بل إنّ الشيعة كانت قد بدأت في التأليف في الغيبة من قبل ذلك العهد وخصوصاً في عهد الإمام الصادق.

فقال: أمن موالينا؟

قلت: نعم، قال: أمره أرفع من ذلك.

قال: قلت: إنّه رجل يوالي عليّاً ولم يعرف من بعده من الأوصياء.

فقال: ضال.

قلت: فأقرّ: بالأئمة جميعاً وجحد الآخر.

قال: كمن أقرّ بعيسىٰ وجحد محمّداً، أو أقرّ بمحمّد وجحد عيسىٰ، نعوذ بالله من جحد حجّة من حججه...».

روى الإمام الصادق أنّ عليّاً عليه السلام قال: «اعلموا! أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله عزّ وجلّ، ولكنّ الله سيُعْمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم، واسرافهم علىٰ أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجّة لساخت بأهلها، ولكنّ الحجّة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وله منكرون...»، ويروي النعماني حديثاً تنبأ فيه الإمام عليّ بغيبة الحجّة، وما يحدث بعد ذلك من تغلّب الأشرار علىٰ الشيعة، ثمّ يقول: « وفي هذا الحديث عجائب وشواهد علىٰ حقيقة ما تعتقده الإمامية وتدين به والحمد لله ».

... ويبدو أنّ الشيعة الإمامية قبيل نهاية القرن الثالث للهجرة أصبحوا متميزين عن غيرهم من الشيعة، وأنّهم أخذوا يخطئون

الفرق الشيعية الأُخرىٰ[1].

قال النجاشي: إنّ الحسن بن موسى النوبختي المبرز علىٰ نظرائه في زمانه قبل الثلثمائة وبعدها كتب كتباً عديدة منها كتاب «الردّ علىٰ فرق الشيعة ما خلا الإمامية» ويسمّى الإمامية بـ(الاثني عشرية) أيضاً.

قال الشريف المرتضىٰ[2]: «قال الشيخ[3] ـ أيده الله ـ وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا ـ وهو ٣٧٣هـ ـ إلّا الإمامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن[4]،

---

(١) وهذه طبيعة كلّ مذهب علىٰ كلّ حال.

(٢) الشريف المرتضىٰ: علي بن الحسين بن موسىٰ بن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن موسى الكاظم، أبو القاسم، المرتضىٰ، علم الهدىٰ (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ)، أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً، متقدّم في العلوم، متكلّم، شاعر، أديب، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، متوحّد في علوم كثيرة، مجمع علىٰ فضله، بلغت كتبه ورسائله المائة ...

أُنظر: معجم رجال الحديث ١٢: ٤٠٠، مقدّمة تحقيق كتابه شرح جُمَل العلم والعمل: ٥ ـ ٢٢، أعيان الشيعة ٨: ٢١٣، الأعلام ٤: ٢٧٨.

(٣) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي.

(٤) في الأصل: «ابن الحسن»: الفصول المختارة ٣٢١، المجلّد الثاني من مصنّفات الشيخ المفيد الصادرة من المؤتمر العالمي بمناسبة ذكرىٰ ألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٣هـ - قم.

المسمّىٰ باسم رسول الله، القاطعة علىٰ حياته وبقائه إلىٰ وقت قيامه بالسيف».

ويقول الشهرستاني في معرض كلامه عن الشيعة الاثني عشرية: «إنّ الذين قطعوا بموت موسىٰ الكاظم وسمّوا قطعية، ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا: الامام بعد موسى الكاظم ولده عليّ الرضا... ثمّ بعده محمّد التقي الجواد... ثمّ بعده عليّ بن محمّد النقي ومشهده بقم[1]، وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه محمّد القائم المنتظر... وهو الثاني عشر، وهذا طريق الاثني عشرية في زماننا هذا».

وغلب علىٰ أُولئك الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر إماماً ـ آخرهم القائم المنتظر ـ اسم الإمامية وهم مدار بحثنا هنا، وترد كلمة الإمامية في النصوص مجرّدة مرّة، ومقرونة بكلمة «شيعة» مرّة أُخرىٰ، فإذا عرض ابن النديم[2] لأبي النضر محمّد بن مسعود[3]

---

(١) مشهده بمدينة سامرّاء في العراق وليس في قم.

(٢) ابن النديم: محمّد بن إسحاق يعقوب النديم (ت بعد ١٠٠٠) [م] أديب من أهل بغداد، كان كُتُبِيّاً كأبيه فعرف بالورّاق، اشتهر بكتابه « الفهرست » أُنظر: المنجد في الأعلام: ١٥.

(٣) محمّد بن مسعود بن محمّد العياشي (أبو النضر) بالضاد، قال النجاشي عنه ←

يصفه بأنّه «من فقهاء الشيعة الإمامية» وينعت ابن النديم أبا علي بن أحمد الجنيد[1] بأنّه من أكابر الشيعة الإمامية.

ويصف ابن النديم أيضاً علي بن أحمد الكوفي[2] بأنّه من الإمامية أفضلهم، ويقول ابن الأثير[3] في حوادث سنة ٤٦٤هـ وتوفي فيها «في شهر رمضان أبو يعلى محمّد بن الحسين بن حمزة

← ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة... وكان في أوّل أمره عاميّ المذهب وسمع حديث العامة فأكثر منه، ثمّ تبصّر وعاد إلينا»، كانت داره مرتعاً للشيعة وله أكثر من مائتي مصنّف أُنظر: معجم رجال الحديث ١٨: ٢٣٧.

(١) ابن الجنيد: محمّد بن أحمد بن الجنيد، أبو علي الكاتب الإسكافي، قال عنه العلّامة: كان شيخ الإمامية، جيّد التصنيف، حسنهُ، وجه في أصحابنا، ثقة، جليل القدر، صنّف فأكثر، ومن كتبه تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، نحواً من عشرين مجلّداً.». أُنظر: معجم رجال الحديث ١٥: ٣٣٢.

(٢) علي بن أحمد أبو القاسم الكوفي ت ٣٥٢هـ: قال الشيخ عنه: «كان إمامياً مستقيم الطريقة، وصنّف كتباً كثيرة سديدة، منها: كتاب الأوصياء...، ثمّ خلط وأظهر مذهب المخمسة [مذهب التخميس أحد مذاهب الغلاة وأحد آرائهم] وصنّف كتباً في الغلوّ والتخليط ...»، وقال عنه ابن الغضائري: «... كذّاب غال، صاحب بدعة ... » أُنظر: معجم رجال الحديث ١٢: ٢٦٩.

(٣) ابن الأثير: (محمّد بن محمّد) (١١٦٠ ـ ١٢٣٤م): مؤرّخ كبير، أخو السابق من آثاره الكامل في التاريخ، أُسُد الغابة في معرفة الصحابة... أُنظر: المنجد في الأعلام: ٤.

الجعفري[1] فقيه الإمامية » وعندما يتكلّم العلّامة الحلّي[2] عن السيّد المرتضى يقول: « وبكتبه استفادت الإمامية منذ زمانه إلىٰ زماننا وهو سنة ثلاثة وتسعين وستمائة ... »، ويقول الطوسي: «إنّ علي بن الحسن[3] كان قريب الأمر إلىٰ أصحابنا الإمامية القائلين بالاثني عشر...».

ومن الجدير بالذكر أنّ النعماني ـ وهو من الشيعة الإمامية المعاصرين لغيبة الإمام الثاني عشر ـ كان يطلق مصطلح (الشيعة) مجرّداً ويقصد به الشيعة الإمامية حصراً، وذلك أنّه يصف بالمصطلح المذكور الشيعة الاثنىٰ عشريّة القائلين بالغيبة، وهؤلاء ـ كما بيّنا

---

(١) محمّد بن الحسن [لا الحسين] بن حمزة الجعفري: أبو يعلى، خليفة الشيخ أبي عبد الله بن النعمان المفيد، والجالس مجلسه، متكلّم، فقيه، قيّم بالأمرين جميعاً، له كتب، ت ٤٦٣هـ ... أُنظر: معجم رجال الحديث ١٦: ٢٢٤.

(٢) العلّامة الحلّي: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ)، جمال الدين أبو منصور، فاضل، عالم، علّامة العلماء، شيخ الطائفة وعلّامة وقته، انتهت رئاسة الإمامية إليه، انظر: معجم رجال الحديث ٦: ١٧١.

(٣) علي بن الحسن بن علي بن فضّال: كوفي، عُدّ في بعض كتب الرجال من أصحاب الامام الهادي عليه السلام، وعاصر الغيبة لبرهة معتدٍّ بها، كان فطحياً، فقهياً، محدِّثاً ... ، أُنظر: معجم رجال الحديث ١٢: ٣٥٨.

سابقاً ـ هم الشيعة الإمامية دون غيرهم من فرق الشيعة.

فالنعماني في معرض كلامه عن إمكان ربط الغيبة بزمن معين أو عدمه، يقول: « فإنّ قولهم عليهم السلام الذي يروى عنهم في الوقت إنّما هو علىٰ جهة التسكين للشيعة والتقريب للأمر عليها إذ كانوا قد قالوا إنّا لا نوقّت ...».

روى النعماني أيضاً أنّ أحدهم قال: « سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول: كأنّي بكم تجولون جولان الإبل، تبتغون مرعى ولا تجدونها يا معشر الشيعة ...»، ومن المعلوم أنّ الحالة التي وصفت لا تنطبق إلّا على الشيعة الإمامية، وذلك عند ابتلائهم بغيبة الإمام الثاني عشر، ويقصد النعماني أصحابه الإمامية ـ بخطابه التالي ـ دون أن يسمّيهم باسمهم، وذلك أنّ كلمة الشيعة الواردة في الخطاب المذكور تنصرف إليهم.

يقول النعماني: «ولابدّ من الإيقان بما ورد عن الأئمة عليهم السلام من أنّه لابدّ من كون هذه الغمة ثمّ انكشافها عند مشيئة الله لا مشيئة خلقه واقتراحهم، جعلنا الله واياكم يا معشر الشيعة المؤمنين المتمسكين بحبله المنتهين إلىٰ أمره ممّن ينجو من فتنة الغيبة ...».

ومن الواضح أنّ المقصود بالشيعة الواردة بالنصّ هم الإمامية؛ لأنّهم ينفردون من بين فرق الشيعة الأُخرىٰ بالابتلاء بالغيبة كما بيّنا سابقاً.

ونلخّص ممّا فصّلناه في هذا الفصل بالقول: إنّ مصطلح «الإماميّة» لم يصبح علماً لفرقةٍ من فرق الشيعة إلّا بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين، وأنّ تلك الغيبة تعدّ الأساس الذي بنيت عليه فرقة «الإمامية»، وهذا ما عناه ابن الجوزي[1] بقوله: والإمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين»[2].

---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي أبو الحسن الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ)، علّامة في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، من آثاره: «المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم» و «تلبيس إبليس» وغيرها، أُنظر: المنجد في الأعلام: ٦، مقدّمة الشيخ محيي الدين محمّد بعيون لتلبيس إبليس.

(٢) تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة: ٧٣ ـ ٨٥.

أئمة أهل البيت عليهم السلام في كتب الزيديّة:

وهذه مقتطفات من أقوال الزيديّة في أئمة أهل البيت عليهم السلام (الأئمة الاثني عشر)،

فعن السجّاد عليّ بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام يقول الحسين ابن محمّد بن أحمد (بدر الدين): «زين العابدين عليّ بن الحسين السبط عليهم السلام.

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (يولد للحسين ابنٌ يقال له عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيّدُ العابدين»[1].

ويقول عن الباقر محمّد بن عليّ عليه السلام: «الباقر محمّد بن علي زين العابدين عليهم السلام.

روينا أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عاش إلىٰ أن أدرك باقر علم الأنبياء محمّد بن عليّ، فقال له جابر: يا محمّد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصاني أن أُبلّغك عنه السلام، وجابر يومئذ شيخ كبير أعمىٰ»[2].

(١ و ٢) ينابيع النصيحة: ٢٧٠.

ويترجم صاحب (تراجم رجال شرح الأزهار) ـ أهمّ كتب الفقه الزيدي المعاصر ـ للإمام الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بقوله:

«محمّد بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي الحسيني أبو جعفر (الباقر) سُمّي به لتبقّره في العلم، قال الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من يمشي على الأرجل

مولده بالمدينة ثالث صفر سنة ٥٧هـ، وكان عمره يوم قتل الحسين ثلاث سنين، حدّث عن أبيه وخلق[١]، وأدرك جابر بن عبد الله وروى عنه، وعنه أولاده، وجابر الجعفي روى عنه سبعين ألف حديث، وكان يقول ـ في أخيه زيد ـ: لقد أُوتي زيدٌ علينا من العلم بسطة[٢]، وفي تاريخ وفاته اختلاف أصحُّها، أنّه توفّي سنة ١١٨هـ، ومات بالجحفة، ونقل إلى المدينة ودُفِنَ بالبقيع بقبّة فاطمة والعبّاس وأبيه عليّ والحسن بن عليّ، خرّج له أئمتنا جميعهم والمحدِّثون»[٣].

وجاء في ترجمة الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في كتب الزيديّة:

---

(١) ترى الإمامية أنّه عليه السلام لم يحدّث عن غير أبيه.

(٢) هذا يخالف رأي الإماميّة، إذ لا يوجد أعلم من الإمام الباقر عليه السلام في زمانه.

(٣) تراجم الرجال المذكورين في شرح الأزهار ١: ٣٥.

«جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، أبو عبد الله الهاشمي الحسيني المدني أحد الأعلام، ولد سنة ٨٠هـ، حدّثَ عن أبيه الباقر وجدّه من قبل أمّه القاسم بن محمّد بن أبي بكر وعطاء ونافع وآخرين[١]، وعنه مالك والسفيانان وآخرون، وثّقه الشافعي وابن معين، وعن أبي حنيفة: ما رأيتُ أفقه منه، قال أبو حاتم: ثقةٌ لا يُسأل عن مثله، وقال القطّان: مجالِدٌ أحبُّ إليَّ منه[٢]، قال الذهبي: هذه من زلقات القطّان، بل أجمع أهل هذا الشأن: أنّ جعفراً أوثق من مجالد، وشنّع السيّد صارم الدين على القطّان في ذلك فقال:

رام يحيى بن سعيد ... لك يا جعفر وهما
وأتى فيك بوصفٍ ... ترك الآذان صمّاء

توفّي سنة ١٤٨هـ، وكان سنّه ٦٨ سنة ودفن في البقيع في قبّة أهل البيت»[٣] وجاء في معرض حديثٍ عارضٍ للسيّد مجد الدين المؤيدي في كتابه (لوامع الأنوار) عن البخاري وصحيحه يذكر بعض مثالب «البخاري»:

«... وكيف تجنّب الإمامَ الصادق بن الإمامِ الباقر بن رسول

---

(١) ترى الإمامية أنّه عليه السلام لم يحدّث عن غير أبيه.

(٢) وهذا عجيب!! ومن هو مجالد حتّى يقاس بحجّة اللّه في الأرض وأعلم أهل زمانه الإمام الصادق عليه السلام؟! ومن هو القطّان حتّى يستدلّ برأيه؟!

(٣) تراجم الرجال المذكورين في شرح الأزهار ١: ١٠.

الله ﷺ، مع أنّ أعلام الإسلام وجميع أهل بيت النبوّة الكرام من عصره إلىٰ آخر الأيّام مقتدون بذلك الإمام مهتدون بهديه ؟

فابن رسول الله هو العالم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه، وصاحب بخارىٰ مع ذلك يتطفّل علىٰ أتباعه، ويتسرّق من أصحابه وأشياعه»[1].

وتترجم الزيديّة للإمام الرضا ـ الإمام الثامن حسب النصّ عليه عند الإمامية الاثني عشرية ـ والذي تعتبره الزيديّة واحداً من أئمتها القائمين:

«... عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فإنّه زوّجه المأمون ابنته أم حبيب، فلا يلتبس علىٰ الناظر، وعليّ بن موسى أمّه أمّ ولد أسمها سلامة، وقيل تكتم، وكان أسود اللون يكنّى أبا الحسن ويلقّب الرضا، ولد سنة إحدىٰ وخمسين، وقيل ثلاث وخمسين ومائة، كان من الفضل والعلم والزهد والعبادة بحيث لم يكن في عصره مثله.

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون قد حضّ المأمون على أن يبايع عليَّ بن موسىٰ بولاية العهد، وقال له: يجمع بهذه البيعة الفرق، وتؤلف بين القلوب، وتقضي حقّ الرسول ﷺ وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل المأمون رجاء بن الضحّاك وياسر الخادم الىٰ

---

(١) لوامع الأنوار ١: ٣٤٨.

عليّ بن موسى لإشخاصه، فحمل مكرّماً ووصل إلى المأمون والمأمون بمرو، ولمّا قرب منه خرج المأمون فتلقّاه وأكرمه وحمل بين يديه الأموال وأنزله بأحسن منزل، وأمر المأمون بخواص الأولياء فأعلمهم أنّه نظر في ولد العبّاس بن عبد المطلب وولد عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنهم فلم يجد في وقته أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسىٰ، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وخطب بعض الخطباء علىٰ بعض المنابر العباسية فقال: اللهمّ أصلح وليَّ عهد المسلمين عليَّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ، ستة آباءٍ هم ما هم، أشرف من شرب صوب الغمام، واختار له المأمون لباس الخضرة، وقال: هو لون الجنّة ولباس أهلها، فجعلت الأعلام والألوية خضراً، وكتب بالتخضير إلى الآفاق، وأعطى الجند رزق سنة وذلك في يوم الإثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدىٰ ومائتين، فلمّا عقد المأمون لعليٍّ بن موسىٰ قلق لذلك العبّاسيّون، وعادى المأمون قوّاد خراسان والعبّاس بن المأمون على الخصوص، وعابوا الخضرة وباعوا السواد، فنادى المأمون عند ذلك بالرحيل إلى العراق، وكان الرضا علىٰ يقين من أنّ هذا الأمر لا يتمّ، ويقال أيضاً: إنّ المأمون لم يكن مريداً لهذا وإنّما أراده عليه الفضل بن سهل.

وروىٰ أبو بكر الصولي عن عبد الله بن أبي سهل بن نوبخت أنّه

قال: والله ما أراد المأمون بما فعل إلّا أن يستأنس القوم بعد وحشتهم، فيراهم الناس وقد دخلوا مداخلهم، لأنّ الرشيد أوحشهم في أيّامه فاستخفوا وكان الناس يتمسّحون بهم إذا رأوهم، فإذا رأىٰ الناس من بعضهم ما ينكرون خفّ ما كان لهم في قلوبهم، ثمّ إنّ الفضل بن سهل قتل غيلةً بسرخس في الحمّام، فاستعظم المأمون ذلك وقتله، فلمّا صاروا إلىٰ طوس متوجّهين إلى العراق توفّي الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا بعنبٍ كان قد أكثر منه[1]، ويقال إنّه كان مسموماً، وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين، وصلّى عليه المأمون ودفن إلى جنب الرشيد هارون بن محمّد، وفي ذلك يقول دعبل بن علي الخزاعي:

قبران في طوس خير الناس كلهم
وقبر شرِّهم هذا من العِبَرِ
ماينفع الرجس من «قبر»[2] الزكيِّ وما
على الزكيّ بقرب الرجس من ضررِ»[3]

---

(١) لا يعتقد المحقّقون وأصحاب السير من كتّاب الاثني عشرية خاصّة بموت الإمام الرضا عليه السلام للإكثار من العنب، وإنّما يرجعون ذلك إلىٰ أنّ العنب كان مسموماً.

(٢) لعلّها قُرْب.

(٣) مطلع البدور ٤: ١٨٤ ـ ١٨٥.

ويترجم الحسين بن بدر الدين (٦٦٣) للإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«الإمام الرضا عليّ بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر عليهم السلام، روينا عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (ستقتل بضعة منّي بخراسان مازارها مكروب إلّا نفّس الله كربته ومذنب إلّا غفر الله ذنبه»، وعن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: « ستلقى [بضعة] مني بخراسان [!!] لا يزورها مؤمن إلّا أوجب الله له الجنّة وحرّم جسده على النار»، وعن الباقر عليه السلام أنّه قال: «من زار قبر ابني بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن الرضا عليّ بن موسىٰ عليهما السلام أنّه قال: «ألا وإنّي مقتول بالسمّ ظلماً ومدفون في موضع غربة، مَن شدَّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر ذنبه».

وكلّ هذه الأخبار قاضية على عليّ بن موسى الرضا، إذ هذه الأمارات كلّها فيه، فإنّ المأمون انكحه ابنته متحيّلاً قتله، ثمّ دسَّ له السُمَّ فقتله، به، ثمّ أظهر الجزع عليه ودفنه بطوس في أرض خراسان، والأمر فيه ظاهر مشهور وقبره بطوس مزور»[1].

---

(١) ينابيع النصيحة: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، عدّة الأكياس في شرح معاني الاساس ٢: ٣٧٤.

ويترجم ابن أبي الرجال (١٠٩٢هـ) للإمام التاسع من أئمة أهل البيت المنصوص عليهم عند الإمامية الاثني عشرية بقوله:

«محمّد بن عليّ بن موسى الرضا، هو أبو جعفر الثاني الملقّب بالجواد وبالتقي أيضاً، وأمّه أمّ ولد يقال لها الخيزران من مولّدات المدينة، ولد في النصف من شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومائة، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، وزوّجه المأمون ابنته أُمّ الفضل، وكان الرشيد يُجري علىٰ موسىٰ بن جعفر في كلّ سنة ثلاثمائة ألف درهم، وأنّ له في كلِّ شهر عشرين ألف درهم، فقال المأمون لمحمّد ابن عليّ بن موسىٰ: لأزيدنك إلىٰ مرتبة أبيك وجدِّك، فأجرى له ذلك ووصله بألف ألف درهم، وتوفّي سنة عشرين ومائتين، وقيل: سنة تسع عشرة ومائتين لخمسٍ خلون من ذي الحجة، قال ابن مضر البخاري: سقاه المعتصم السمّ، ويقال: أُمّ الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها، ودفن عليه السلام ببغداد في مقابر قريش إلىٰ جنب جدّه موسىٰ الكاظم»[1].

(١) مطلع البدور ٤: ١٨٤.

ملامح وحدويّة:

وواحدية الفرقتين في النشأة والمنبع يكاد يكون أمراً تسالمت عليه مصادر الفريقين:

فالشيخ المفيد ـ من الإمامية ـ يرىٰ أنّ السمة بالتشيّع ـ كما وصفه ـ أنّها تجب « للإمامية والزيديّة الجارودية من بين سائر فرق الأُمة، لانتظامهم بمعناها وحصولهم علىٰ موجبها »[1].

وهذا هو نفس رأي المنصور بالله عبد الله بن حمزة ـ من الزيديّة ـ حيث يرى أنّ « العمدة في التشيّع مذهب الزيديّة وعدلية الإمامية »[2].

بل إنّ الأمر تعدّىٰ الفرقتين ليصبح مسلَّماً عند غيرهم من أصحاب الفرق الأخرىٰ، ولا أدلّ علىٰ ذلك من قول « الجاحظ »[3]:

---

(١) أوائل المقالات: ٣٧.

(٢) الشافي ١: ١٣٩.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقّب بالجاحظ (٢٥٥هـ).

« إعلم رحمنا الله وإياك أنّ الشيعة رجلان: زيدي ورافضي، وبقيتهم بدد لا نظام لهم... »[١].

ويقصد بالرافضة الإمامية[٢].

ويرى علي أحمد الرازحي ـ أحد باحثي الزيديّة المعاصرين ـ أنّ الزيديّة والإمامية فرقة واحدة، وأنّ القول بافتراقهما إنّما هو « ادّعاء »[٣].

ويعتقد السيّد بدر الدين الحوثي ـ أحد مراجع الزيديّة المعاصرين ـ التقاربَ بين الزيديّة والإمامية الجعفرية، بل الاتفاق بينهم في الأُصول المهمة[٤]، ويجمع السيّد بدر الدين الحوثي بعضاً من المسائل التي اتفق أو تقارب فيها الزيديّة والإمامية في كتيبه (الزيديّة في اليمن).

والتقارب بينهما عند الدكتور ناجي حسن: « قُرْبٌ بيِّن، وانسجامٌ متناهٍ في كثير من أُصول معتقداتهم »[٥].

ويسرد عدداً من القضايا، للتدليل علىٰ صحة ما يذهب إليه،

---

(١) رسائل الجاحظ: ١٧٩ (الرسائل الكلامية ـ من كتاب استحقاق الإمامة).

(٢) المصدر نفسه: ١٩٩.

(٣) الزيديّة في اليمن: مقدّمة الرازحي للكتاب.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الدعامة: ٢٠.

من أجل درك العلاقة الوثيقة بينهما، وقبل سردها يذكر ما ذهب إليه عند قوله:

« تضمّ الشيعة فرقتين رئيسيتين يجتمع تحت وارف أفيائها غالبية الأتباع، وهما الإمامية والزيديّة...

ولمّا كانت ينابيع مودّتهما واحدة وصفاء نهجهما ظاهراً، صار ذلك أدعىٰ لوثوق العلاقة بينهما، وأشمل لضمان انسجامهما ويظهر ذلك في كثير من أُصول معتقداتهم وآرائهم، حتىٰ تكاد تنطبق انطباقاً تاماً لا فسحة فيه.

فالإمامية تذهب إلىٰ القول بإمامة عليّ بن أبي طالب بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، وتنفي خلافة كلّ الذين تقدّموه في هذا المنصب، لأنّ النبيّ ﷺ نصَّ عليه وعيّنه، وإلى هذا القول تذهب الجارودية من الزيديّة، حين قالت: بأنّ النبي ﷺ نصَّ علىٰ عليٍّ وعيّنه، ومن الواجب تسليم الأمر له، ولمّا كانت الإمامة تشكّل القاعدة الأساسية والركن الذي قام عليه التشيّع، دخل الزيديّة تحت لواء الشيعة لانتظامهم بمعناها، وعدم خروجهم عنها.

وتنكر الإماميّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وتابعتها الجارودية حين قالت بخطأ خلافة أبي بكر وعمر، وأنكرت خلافة عثمان، كما أنكرت القاسمية من الزيديّة تقديم الخلفاء الثلاثة على عليّ.

وتعتقد الإمامية بأفضلية عليّ، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وإلىٰ هذا القول تذهب الزيديّة.

وعند الإماميّة أنّ الإمام لابدّ أن يكون أفضل الخلق وأعلمهم بالأحكام، وهو عين ما تقول به المطرفية من الزيديّة[1].

وحكمت الإمامية علىٰ قاتل عليّ بأنّه كافر خالد في نار جهنم، وشاركتها الزيديّة فيما ذهبت إليه.

واتفقتا علىٰ أنّ الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفّار ملعونون بحربهم عليَّ بن أبي طالب وأنّهم في النار مخلّدون.

وتعتقد الإمامية كافة برجعة الإمام الثاني عشر إلى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويشاركهم في هذا القول الجارودية من الزيديّة، لكنّ الخلاف بين الفريقين أنّ الإمام عند الإماميّة قد اختفىٰ، في حين تعتقد الزيديّة بقتله.

واتفقتا علىٰ أنّ صفات الله هي عين ذاته، لا تزيد ولا تنقص، فالله

---

(١) وليست المطرفية وحدها هي التي ترىٰ ذلك فالهادي وأبو طالب ـ من أئمة الزيديّة ـ يريان ذلك وغيرهما كذلك. أُنظر: الدعامة: ١٠٥، مسألة في النبوة والإمامة ضمن كتاب المجموعة الفاخرة: ٤٨.

حيّ بنفسه لا بحياة زائدة عن ذاته، وأنّه قادر بنفسه، وترى الزيديّة أنّ الله عالم بعلم قديم، وبه تقول الإمامية، وهما يقولان بأنّ القرآن محدثٌ.

وينفي كلٌّ من الإمامية والزيديّة رؤية الله في الدنيا والآخرة.

وتذهب الإمامية إلىٰ أنّ الله كريم، فقد خلق العباد، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأحسن إليهم، وهو لم يكلف أحداً فوق طاقته، ولا يعذِّب إلّا لفعلٍ قبيح، وهو مطابق لمبدأ الوعد والوعيد الذي تقول به الزيديّة، وتعتقد الإمامية بظهور المعجز علىٰ يد الإمام، وأنّ ذلك لا يخالف العقل ولا الكتاب ولا السنّة، وشاركهم في هذا القول الزيديّة في اليمن[1]»[2].

ويعلّق السيد بدر الدين الحوثي على ناجي حسن ـ عندما يقول: «والإمامية تعتقد بأنّ الله قادر على العدل، كما أنّه قادر علىٰ خلافه، إلّا أنّه لا يفعله، وهذا دليل قدرته وعظمته، ويخالفهم الزيديّة في ما

---

(١) هنالك شواهد في القول بظهور المعجز ـ ككرامة للإمام ـ عند الزيديّة؛ منها ما رووا في كرامات الهادي يحيى بن الحسين وكرامات المنصور بالله عبد الله بن حمزة وكرامات زيد بن علي وغيرهم، العقد الثمين: ١٢٢، أوائل المقالات: ١٧٧ نقلاً عن الشامل ليحيى بن حمزة، والكتب التي تعرّضت لسير أئمة الزيديّة كالحدائق الوردية، والتحف، وغيرهما.

(٢) الدعامة: ٢٢.

يذهبون إليه، فهم يرون أنّ الله لا يوصف بالقدرة على أن يظلم ويجور ولا يقال لا يقدر» ـ، بقوله: «هذا غير صحيح، بل مذهبهم في هذا كمذهب الإماميّة، أنظر الشافي للمنصور بالله والأساس».

وعندما يقول الدكتور ناجي حسن: « واتفقت الإمامية على أنّ الإسلام غير الإيمان وذلك أنّ كلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمن، وخالفهم الزيديّة الذين لم يفرّقوا بين إيمان المرء وإسلامه»، يعلّق عليه السيد بدر الدين بقوله: «وهذا غلط، بل هم في هذا والإمامية سواء»[1].

واعتماد الدكتور ناجي حسن على قول الزيديّة بإمامة المفضول مع وجود الأفضل الذي يعلّق عليه السيد بدر الدين بأنّه محلّ خلاف بين الزيديّة ـ كدليل على محاولة الزيديّة بذلك إضفاء الشرعية على خلافة جميع الذين تقدّموا عليّ بن أبي طالب في الخلافة؛ يعلّق عليه السيد بدر الدين الحوثي بقوله: «هذا غلط على الزيديّة فمذهبهم أنّها لا تصح ولاية من تقدّم أمير المؤمنين وانظر كتبهم»[2].

ويرى سماحة السيّد بدر الدين الحوثي عدم الإجماع الذي ادّعاه الدكتور ناجي حسن عند الزيديّة على جواز إمامة المفضول

(١) المصدر نفسه.
(٢) الدعامة: ٢٣.

كتابخانه تخصصي تاريخ اسلام و ايران ١٣٧٤ تاسيس

مع وجود الأفضل[1].

ويرىٰ كذلك أنّ مذهب (أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني) في أنّ الأفضل هو أولى بالإمامة، هو مذهب القاسم الرسي، والذي صرّح به في مجموعه[2].

وكدلالةٍ علىٰ أصالة المنبع وواحديّته لدى الفرقتين، يأتي دور التعميد الفقهي للرجوع إلىٰ المذهب الإمامي الاثني عشري متمثلاً في إمامه، ومثله الأعلى الإمام الصادق جعفر بن محمدٍ عليه السلام، في قول صاحب (شرح الأزهار) العلّامة ابن مفتاح:

«والأئمة المشهورون من أهل البيت بكمال الاجتهاد والعدالة، سواءً كانوا ممّن قام ودعا كالهادي والقاسم، أم لا، كزين العابدين والصادق وغيرهم* أولى من تقليد غيرهم عندنا»[3].

---

(١) الدعامة: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(*) قد بات واضحاً في أدبيات السياسة في الفكر المعاصر، أنّ القيام بالأدوار الهامة الاجتماعية والسياسيّة لا ينحصر بما كان معلناً على السطح، بل إنّ أخطر الأدوار والأنشطة تؤسس ويقام بها تحت السمط ومن وراء ستار الخفاء، وهذا ما كان في استراتيجية زين العابدين والباقر والصادق وغيرهم من ائمة أهل البيت عليهم السلام

ومن ثمّ لم تجد السلطة الأُموية والعباسية بُداً من تصفيتهم واغتيالهم؛ لتشكيلهم الخطر الأكبر عليها من خلال أُسلوب الحرب الباردة.

ويؤكّد هذا الأمر السيّد الفضيل بقوله: «.. إنّ الزيديّة لا تعتقد بأنّ الإمام زيد بن عليّ أولىٰ بالتقليد من غيره كالإمام جعفر الصادق مثلاً»[1].

(٣) شرح الأزهار ١: ١٥.

(١) الزيديّة نظرية وتطبيق: ١٣.

العصمة عند الزيديّة والإماميّة:

العصمة إحدىٰ مميّزات الخطّ الشيعي والولائي، وهي تثبت «ذاتاً» للهوية الشيعية، وهي قبل كلٍّ هذا « رمزٌ » للارتباط والعلاقة الطُولية بالله خالق الكون الذي عصمَ الأنبياءَ والهداةَ.

كما أنّ العصمةَ « رمزٌ » متأصِّل الجذور في الدلالة علىٰ الانتماء القرآني للشيعة، حيث إنّ القول بـ « العصمة » لأهل البيت عليهم السلام هو القول باقتران العترة والكتاب اللذين لن يفترقا.

وبذلك تكون العصمة إحدىٰ الركائز الأساسية في تكوين التفكير الشيعي.

ومن هنا يأتي القول: بأنّ «الزيديّة » و « الإمامية » متفقتان في « أبجديّات » هذه العصمة، لتبقى مسألة « عصمة آحاد آل البيت » محوراً لدائرة نقاش أوسع من هذه الأطروحة التوحيدية.

وتوثيقاً « لنظرية العصمة » عند الزيديّة، يقول الحسين بن محمّد ابن أحمد:

« أمّا الفصل الأوّل وهو في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام، فالذي يدل علىٰ ثبوتها الكتاب والسنّة والإجماع، أمّا الكتاب: فقول الله سبحانه في إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ﴾[1]، ولا خلاف بين علماء الإسلام في إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام، وأنّ قوله ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ﴾ استثناء أخرج به الظالمين بعد إجابة الدعوة عن استحقاق الإمامة، وإذا ثبت ذلك فقد جعل الله الإمامة في من لم ينتظم في سلك الظالمين من ولد إبراهيم عليه السلام، ولم تقع العصمة في من علمنا من ولد إبراهيم عليه السلام إلّا في محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فثبت بذلك إمامتهما على القطع »[2].

ويستعرض مجد الدين المؤيدي رأي « يحيىٰ بن حمزة » في رجحان تقليد أهل البيت عليهم السلام علىٰ غيرهم، فينقل:

«قال الإمام يحيى: المسلك الأوّل ـ ماورد من جهة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الثناء عليهم، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر المشهور « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به»، وفي رواية « بهما » وفي رواية «بهم» «لن تضلّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترني أهل بيتي، إنّ اللطيف

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) ينابيع النصيحة: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض» وهذا الخبر يدلّ أنّ التمسّك بالعترة كالتمسّك بالكتاب العزيز ...».

ويردف:

«المسلك الثاني: أنّه قد قام البرهان الشرعي علىٰ أنّ إجماعهم حجّة قاطعةٌ، وإذا كان الأمر كما قلنا، فلا يأمن من قلّد غيرهم أن يكون مخالفاً لهم في إجماعهم، ولا يكون آمناً الخطأ بخلاف غيرهم من علماء الأُمّة، فهذا أمر غير حاصل في حقهم ...»[1].

ويذكر محمّد بن أحمد بن الحسن الديلمي وجه استدلال الزيديّة بالآية الشريفة ﴿... قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ... ﴾[2] بقوله: «إنّه قد وقع الإجماع من علماء الأُمّة علىٰ إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام، وأنّ قوله ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ استثناءٌ لإخراج الظالمين بعد إجابة الدعوة، ولم تقع العصمة في من علمنا من ولد إسماعيل إلّا لمحمّد وعليٍّ وفاطمة وابنيهما ـ صلوات الله عليهم ـ، فإذن قد صحّت الإمامة لهما بدعوة إبراهيم على القطع، شفعنا ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالذِينَ آمَنُوْا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَتُهم بِإِيمَانٍ

---

(١) لوامع الأنوار ٢: ٨١ ـ ٨٢.

(٢) البقرة: ١٢٤.

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [1]» [2].

والجميل في هذا النصّ هو قول الديلمي: بأنّ العصمة لم تقع في من علمنا من ولد إسماعيل إلّا لمحمّد وعليّ وفاطمة وابنيهما، ولكنّ « العصمة » قد وقعت في من علمهم الإمامية وكثيرٌ من أهل السنة للأئمة الإثنى عشر عليهم السلام!! فلِمَ يُقتصر في الاستدلال بالآية على إمامة الحسنين عليهما السلام فقط، والمجال ـ ما زال ـ واسعاً للاستدلال بها على عصمة التسعة من أولاد الحسين عليه السلام، مادام المبنى متّفِقاً عند صاحب الاستدلال ـ على الأقلّ ـ وعند الإمامية وهو «العصمة»؟!، بل وعند الزيديّة أنفسهم والذين يقولون بوقوع العصمة لأهل البيت بشكل جامع وواسع.

ويقول السيّد مجد الدين المؤيدي بعد إيراده لحديث (فتح خيبر) وفضيلة أمير المؤمنين عليه السلام يومَه ـ مشيراً إلى القول بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ـ: « والأمر فيه أجلىٰ من النهار، والحديث دليلٌ علىٰ فضل عليٍّ وعصمته، والقطع علىٰ مغيبه، وأنّه أحقّ الأُمّة بمقام أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم » [3].

---

(١) الطور: ٢١.

(٢) قواعد عقايد آل محمّد: ٣٠٦.

(٣) لوامع الأنوار ١: ١١٢.

ويتوسّع «الشرفي» أكثر عندما يبحث في الأدلّة على الإمامة بعد الحسين عليه السلام، ونَصّ بحثه:

«قالت العترة عليهم السلام والشيعة: والإمامة بعد الحسين عليه السلام في سائر العترة عليهم السلام فقط دون غيرهم من سائر الناس، وقال سائر الفرق: بل وفي غيرهم علىٰ اختلاف الآراء، كما مرّ من حكاية أقوالهم في ذكر المنصب.

قلنا: الإمامة اختصاص من الله سبحانه لبعض من الخلق معيّن موصوف معلوم لهم، لتثبت به الحجّة ويحصل المقصود من قيامه كما قد تكرّر ذكره، ولم يرد ذلك إلّا في العترة عليهم السلام، ولا دليل عليها ـ أي الإمامة ـ في غيرهم كما مرّ ذكره.

ولنا تأكيد لقولنا: الكتاب، والسنّة، والإجماع، وحجّة العقل:

أمّا الكتاب: فقوله تعالىٰ في إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

ووجه الاستدلال بها: إنّه قد وقع الإجماع علىٰ إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام إلّا من استثناه الله تعالىٰ من أهل الظلم من ذريّته، ولم تقع العصمة بعد أهل الكساء إلّا لجماعة العترة عليهم السلام من جملة ولد إبراهيم عليه السلام، فكانوا أهلاً للإمامة بتأهيل الله لهم.

وهذه الآية دالّة علىٰ إمامة العترة عليهم السلام كما هي دالّة أيضاً علىٰ

إمامة عليّ والحسنين عليهم السلام؛ لأنّه قد ثبت أنّ الأفضل أولىٰ بالإمامة من المفضول.

فإن قيل: إنّ جماعة الأُمة أيضاً معصومة فهلّا كانت الإمامه فيهم كافّة؟

قلنا: إنّما كانت جماعة الأُمة معصومة لدخول العترة عليهم السلام في جملتهم؛ لما تقدّم ذكره في إجماعهم من الحجّة علىٰ ذلك، ولما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

فإن قيل: فيلزم من هذا أن يجب أن يكون الإمام معصوماً ولم يشترطوا ذلك؟

قلنا: لا يلزم ذلك؛ لأنّ المعصوم لا طريق إليه إلّا الوحي، ولم يرد الوحي بعصمة رجل بعينه بعد أهل الكساء عليهم السلام[1]، فلو شرطت العصمة لبطلت الإمامة أصلاً والله العالم.

ولنا من الكتاب أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

---

(١) للإمامية أحاديث كثيرة متواترة بالنصّ على الأئمة الاثني عشر وعصمتهم عليهم السلام، وعند الفريقين نصوص متواترة على المهدي المنتظر عجّل اللّه فرجه الشريف.

مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُم وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[1]، أي: ولاةً وحكّاماً على الناس كما كان الرسول كذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[2].

وهاتان الآيتان مختصّتان بالعترة عليهم السلام، والسابق بالخيرات: هو الإمام الشاهر سيفه في جهاد أعداء الله*.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوَا أَطِيعُوْا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]، والمراد بأُولي الأمر: هم الذين قد علمتموهم بصفاتهم التي لا تخفىٰ عليكم علىٰ لسان نبيّكم، لأنّ الله سبحانه لا

---

(١) الحج: ٧٧، ٧٨.

(٢) الطور: ٣٢.

(*) هكذا عند الزيدية، وأمّا عند الإمامية الاثنا عشرية: السابق بالخيرات هو الإمام المزود بالعصمة من اللّه، والمنصوص عليه بالوحي، وهو الذي يقوم بالبرنامج الإلهي الذي يعهد إليه في ليلة القدر من كلّ عام، سواء كان ضمن أنشطة التدبير الخفي كالذي قام به الخضر كما قصّه لنا القرآن من سورة الكهف، أو بتدبير معلن، ومشاهد هذا بوضوح في سيرة الامام علي بن أبي طالب والحسنين عليهم السلام.

(٣) النساء: ٥٩.

يأمر إلّا بطاعة معلومة كما كانت طاعة الله وطاعة رسوله معلومة.

وروى الإمام الناصر عليه السلام عن جعفر بن محمد عليهما السلام لمّا سأله أبو مريم عن ذلك فقال: «هم عليّ والحسن والحسين وذريتهما عليهم السلام»، ذكر ذلك أبو القاسم البستي في كتابه (الباهر).

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى الله عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١).

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده إلىٰ جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «هي ولايتنا أهل البيت لا ينكرها أحد إلّا ضالٌّ، ولا ينقص عليّاً إلّا ختّال».

وأمّا السُنّة: فمنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي أبداً... الخبر»، تمامه: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض».

وأولاد الحسنين هم عترته كما مرَّ تحقيقه، والخبر مفيد للإمامة، لأنّ المعنىٰ أنه صلى الله عليه وآله وسلم ترك في أُمّته من يقوم مقامه في ما تحتاج إليه الأُمّة، وأنّ الله سبحانه قد أخبره أنّ العترة لا تفارق الكتاب إلى يوم القيامة، ففيه دلالةٌ علىٰ عصمة العترة عليهم السلام وعلىٰ إمامتهم، لأنّه لا معنىٰ

---

(١) يوسف: ١٠٨.

لتركهم في أُمّته إلّا لكونهم قائمين مقامه في معنىٰ الإمامة، وكونهم شهداء علىٰ الناس، وعلىٰ أنّه لا تخلو الأرض من مجتهدٍ منهم صالح للإمامة لئلّا تبطل حجج الله سبحانه.

ولقوله ﷺ: « لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض » وهو ـ أي هذا الخبر ـ متواتر مجمع علىٰ صحّته عند المخالف والمؤالف، ولو كانت الإمامة جائزة في غير العترة عليهم السلام لبطل معنىٰ هذا الخبر.

وقوله ﷺ: « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنّما قاتل مع الدجّال ».

وهذا الخبر أيضاً لا خلاف في صحّته بين علماء آل رسول الله ﷺ وشيعتهم وأهل التحقيق من غيرهم.

وبيان الاستدلال بهما: أنّهما نَصٌّ في وجوب تقديم العترة عليهم السلام علىٰ جميع الناس في جميع أُمور الدين، ومن جملتها الإمامة، بل هي معظم الدين وأكبره، ولأنّ الإمام يهدي أمّته إلى الرشاد كالسفينة فهم الهادون والمتَّبعون، ولو كانت الإمامة في غيرهم لكانوا تابعين لذلك الغير منقادين له، ولم يكونوا كسفينة نوح، بل يكون ذلك الغير كسفينة نوح، وبطل معنى الخبر »[1].

---

(١) عدة الأكياس في شرح معاني الأساس ٢: ١٨٥ ـ ١٨٨.

وهذا النصّ فيه بعض الآراء العقائدية التي تحتاج إلىٰ وقفات متعدّدة للتأمّل والتحقيق!

فلماذا هذا التعميم للعترة عليهم السلام والشيعة ؟

أو ليس الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام من العترة؟ ولم يصحّ عنهما القول بأنّ الإمامة بعد الحسين عليه السلام في سائر العترة!، إلّا في كتب من كانوا في جانبٍ آخر عنهم إن لم يكونوا في مواجهتهم !!

وكذلك تعميم « الشيعة» .

أوليست الاثنا عشرية من الشيعة ؟[1] ولم يقل واحدٌ منهم بأنّ الإمامة بعد الإمام الحسين عليه السلام في سائر العترة !!

ومسألة أنّ الإمامة اختصاص من الله سبحانه، ولم يرد ذلك إلّا في العترة، التي بني عليها الشرفي نظريته في عموم الإمامة لسائر العترة، بحاجةٍ إلىٰ تحديد مفهوم العترة أوّلاً، وعلىٰ فرض كون جميع أبناء الحسن والحسين عليهما السلام مقصودين بمصطلح العترة فسيحصل التعارض بين أقوالهم في مسألة تعميم العترة إلىٰ كلّ أبناء الحسن

---

(١) من القائلين بأنّ الإمامية الاثني عشرية ـ من الشيعة ـ من الزيديّة : الإمام أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، / الملل والنحل : ٤٠، والسيّد بدر الدين الحوثي، تحرير الأفكار : ١٤٣، والديلمي، قواعد عقائد آل محمّد : ١٨٥، وغيرهم من علماء وأئمة الزيديّة. بل إنّ هذا الأمر ـ شيعية الإمامية الاثني عشرية ـ لا يبعد أن يكون من البديهيات.

والحسين عليه السلام، وحينما لا نستطيع أن نرجّح قولاً على قولٍ إلّا بمرجّح، وهل هناك مرجِّحٌ أرجحُ من «العصمة» إن ثبت لفريق منهم، كما هي الحقيقة في ثبوتها للأئمة الاثني عشر عليهم السلام؟!

إلّا أنّ المشكلة محلولةٌ سلفاً، حيث إنّ العترة محصورون في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام كما دلّت عليه التحقيقات المتعدّدة[1].

وأمّا ادّعاءُ أنّ جماعة الأُمّة معصومة فهي مسألة خطيرة للغاية!![2]، وما الحاجة إذاً إلىٰ بحث مسألة «القيادة» وحصرها في أهل البيت عليهم السلام مادامت الأُمة معصومة؟!

والقولُ بأنّ الامام لا يجب أن يكون معصوماً بتقديم «أن الوحي طريق المعصوم، ولم يأتِ الوحي بعصمة رجلٍ بعينه بعد أهل الكساء»، قفزةٌ هائلة على كلِّ مقدّمات بحث العصمة العقلية والنقلية، وتجاوزٌ سريعٌ علىٰ هذه المقدّمة الضرورية جدّاً لتثبيت النتيجة التي لن تقعَ إلّا مصادرةً.

وبما أنّ الكلام يجرّ الكلام وقانون تداعي المعاني يحثّ الخطر في هذا البحث، ليس من الضير أن تُعرض وجهة نظر الإمامية في

---

(١) نفحات الأزهار ٢: ٢٤٧ ـ ٣٠٣، الثقلان الكتاب والعترة، كلمة حول حديث الثقلين، دلائل الصدق ٢: ٤٧١ ـ ٤٨٠ و ٤٨٥ ـ ٤٩٤.

(٢) بل أنّها مخالفة لما تقول به الزيديّة نفسها. أُنظر: الشافي لعبد الله بن حمزة ٤: ٩٥.

استدلالهم علىٰ عصمة الإمام:

يقول الشيخ المفيد: «فإن قيل: هل يشترط في الإمام أن يكون معصوماً أم لا؟

فالجواب: يشترط العصمة في الإمام كما يشترط في النبيّ عليه السلام.

فإن قيل: ما الدليل علىٰ أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً؟

فالجواب: الدليل علىٰ ذلك من وجوه:

الأوّل: إنّه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدّده، وننقل الكلام إليه ويتسلسل أو يثبت المطلوب.

الثاني: إنّه لو فعل الخطيئة، فامّا أن يجب الإنكار عليه أو لا، فإن وجب الانكار عليه سقط محلّه من القلوب ولم يتّبع، والغرضُ من نصبهِ اتّباعُه، وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر، وهو باطل.

الثالث: إنّه حافظ للشرع، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه الزيادة فيه والنقصان منه»[1].

والزيديّة تروى تلك الأحاديث التي تصبّ من مصبّ الاستدلال على عصمة أهل البيت عليهم السلام الكلية، كحديث السفينة. يروي «المرشد بالله»:

---

(١) النكت الاعتقادية: ٣٩ ـ ٤٠.

«وبه قال أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمّد بن علي بن الحسن الحسني بقراءتي عليه بالكوفة، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن عبد الرحمن بن أبي السرى البكائي، قال: حدثنا علي بن العباس بن الوليد البجلي، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمّد الكلابي، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أبي حمّاد عن أبي سلمة الصائغ، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق»[1].

وحديث الثقلين:

ففي رواية أبي خالد الواسطي: « حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ ـ رضي الله عنهم ـ قال: لمّا ثقل رسول الله ﷺ في مرضه والبيت غاصّ بمن فيه قال: «ادعو اليّ الحسن والحسين» فدعوتهما، فجعل يلثمهما حتىٰ أغمي عليه، قال: فجعل عليّ عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله ﷺ، قال: ففتح عينيه فقال: «دعهما يتمتعان منّي، وأتمتّع منهما فإنّه سيصيبهما بعدي أثرة»، ثمّ قال: (يا أيها الناس إنّي خلفتُ فيكم كتاب الله، وسنّتي وعترتي أهل بيتي فالمضيّع لكتاب الله كالمضيّع لسنتي، والمضيّع لسنّتي كالمضيّع

---

(١) الأمالي ١: ١٥٤.

لعترتي، أما إنّ ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)»[1].

وينقل حديث الثقلين القاسمُ بن محمّد: « وفي الجامع الكافي قال: قال الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام: فما أجمعت عليه الأُمّة من الفرائض فإجماعهم الحجّة علىٰ اختلافهم، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما كان ليجمع أُمتي علىٰ ضلالة، وما اختلفوا فيه من حلال، أو حرام، أو حكم، أو سنة، فدلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك قائمة، لقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض».

فهذا موضع الحجّة منه عليهم، وهذا خبر مشهور تلقّته الأُمة من غير تواطؤ »[2].

كما ويرويه «الشجري».

«(وبه) قال: أخبرنا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الرحيم بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن جعفر بن حيّان، قال: حدّثنا عبيد بن محمّد بن صبيح الزيات، قال: حدّثنا عبّاد بن يعقوب، قال: حدّثنا علي بن هاشم، عن عبد الملك

---

(١) مسند الإمام زيد: ٣٦١.

(٢) الاعتصام ١: ١٣٣.

ابن أبي سليمان، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يا أيّها النّاس إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض)»[1].

ويورده «الشهيد المحلّي»:

«ومن كتاب المناقب لابن المغازلي، وقد أخبرنا به الفقيه الأجل العالم الزاهد بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأكوع رحمه الله، يرفعه بإسناده إلى المصنّف وهو القاضي العدل الخطيب أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد الجلابي المعروف بابن المغازلي الشافعي رحمه الله، روى بإسناده عن ابن امرأة زيد بن أرقم، قال: أقبل نبيّ الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتىٰ نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بالروحات فقمّ ما تحتهن من شوك، ثمّ نادى الصلاة جامعة، فخرجنا إلىٰ رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ، إنّ منّا لمن يضع رداءه علىٰ رأسه وبعض علىٰ قدمه من شدّة الرمضاء، حتىٰ انتهينا إلىٰ رسول الله ﷺ فصلّىٰ بنا الظهر، ثم انصرف إلينا فقال:

«الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله

---

(١) الأمالي ١: ١٥٥.

من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضلّ ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد، أيّها الناس فإنّه لم يكن النبيّ من عمره إلّا نصف من عمر من قبله، وإنّ عيسىٰ بن مريم لبث في قومه أربعين سنة وإني قد أشرعت في العشرين، ألا وإنّي يوشك أن أُفارقكم، ألا وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فهل بلغتكم فماذا أنتم قائلون»؟

فقام من كلّ ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنّك عبد الله ورسوله، قد بلّغت رسالاته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتىٰ أتاك اليقين، فجزاك الله عنا خير ما جزىٰ نبيّاً عن أمّته.

فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأن الجنّة حقّ وأنّ النار حقّ، وتؤمنون بالكتاب كلّه»؟

قالوا: بلىٰ.

قال: (فإنّي أشهد أن قد صدقتم وصدّقتموني، ألا وإنّي فرطكم وأنكم [أنتم] تبعي، توشكون أن تردون عليَّ الحوض فأسألكم حين تلقونني عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما».

قال: فاعيل علينا ماندري ما الثقلان؟ حتىٰ قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي وأُمّي أنت يا نبيّ الله ما الثقلان؟

قال: «الأكبر منهما كتاب الله، سببٌ طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا ولا تولوا ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلتي واستجاب دعوتي فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، فإنّي قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي وعدوُّهما لي عدوٌّ، ألا فإنّها لم تهلك أُمة قبلكم حتىٰ تتديّن بأهوائها، وتظاهر علىٰ نبوّتها، وتقتل من قام بالقسط».

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها، وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، من كنت وليه فهذا وليه، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه) قالها ثلاثا»[1].

ويروي الهادي يحيىٰ بن الحسين حديث «الأمان»:

«قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أحبنا أهل البيت أحدٌ فزلّت به قدم إلّا ثبتته قدم حتىٰ ينجيه الله يوم القيامة»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وهوى»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض والنجوم أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتىٰ أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء

---

(١) الحدائق الوردية ١: ٦ ـ ٧.

ما يوعدون»[1].

ويرويه «أبو طالب» ـ كما ينقل عنه المحلي ـ:

«يرفعه إلىٰ حنش الكناني، قال: سمعتُ أبا ذرٍ يقول وهو آخذ بباب الكعبة: أيّها الناس من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك»[2].

وعند تفسير الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]، يروي علي بن الحسين بن محمّد صاحب كتاب «المحيط بالإمامة»، كما ينقل عنه القاسم بن محمد:

«قال: حدّثني السيّد أبو الحسن عليّ بن أبي طالب الحسني، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم علي بن محمّد الأيوازي، قال: أخبرنا السيد الثائر في الله جعفر بن محمّد، قال: أخبرنا الناصر للحق، قال: أخبرنا بشر بن عبد الوهّاب، قال: حدثنا عبد الله بن موسى العبسي، قال: أخبرنا عمران أبو عمر الأزدي، عن عطيّة بن سعد العوفي، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية:

---

(١) الأحكام ٢: ٥٥٥.

(٢) الحدائق الوردية ١: ٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في نبيّ الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساءٍ وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا»، قال وأُم سلمة علىٰ باب البيت قالت: يا رسول الله: وأنا؟ قال: «أنتِ إلى خير»[1].

وتنظر الإمامية الاثنا عشرية إلىٰ مسألة قانون العصمة نظرةً عقلية وذلك من زاوية اللطف:

« وهذا اللطف لا يتمّ إلّا بوجود رئيس أو رؤساء لا يَدَ علىٰ أيديهم، ترجع إليه أو إليهم الرئاسات، ولا يكون كذلك إلّا بكونه معصوماً، لأنّا قد بيّنا وجوب استصلاح كلِّ مكلّف غير معصوم بالرئاسة، فاقتضىٰ ذلك وجوب رجوع الرئاسات إلىٰ رئيس معصوم، وإلّا اقتضىٰ وجود ما لا يتناهىٰ من الرؤساء، أو الإخلال بالواجب في عدله تعالىٰ، وكلاهما فاسد »[2].

ويعرّف مفيد الشيعة «الشيخ المفيد» العصمة تلك ـ مستدلاًّ عليها ـ بقوله:

«العصمة من الله تعالى لحججه: هي التّوفيق واللّطف والاعتصام

---

(١) الاعتصام ١: ٦٦.

(٢) تقريب المعارف: ١٥٠.

من الحجب بها عن الذنوب والغلط في دين الله تعالىٰ، والعصمة [تفضّل من الله] تعالىٰ علىٰ من علم أنّه يتمسّك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة علىٰ القبيح، ولا مضطرّة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالىٰ أنّه إذا فعله بعبدٍ من عبيده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كلّ الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والأخيار، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾[1] الآية، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[3].

والأنبياء والأئمّة عليهم السلام من بعدهم معصومون في حال نبوّتهم وإمامتهم من الكبائر كلّها والصغائر، والعقل يجوّز عليهم ترك مندوب إليه علىٰ غير التعمّد للتقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترَضٍ إلّا أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب، والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها»[4].

---

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) الدّخان: ٣٢.

(٣) ص: ٤٧.

(٤) تصحيح الاعتقاد: ١٢٨ ـ ١٢٩.

النصّ عند الزيديّة والإماميّة:

وتشاركُ الإماميةَ الاثني عشرية الزيديةُ في القبول بالنصّ كأصلٍ كلّي للإمامة، مع عدم الأخذ بالنظر أيّهما الأصل الكلّي في القبول بالنصّ ؟ أهو القول بإمامة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أم القول بإمامة أهل البيت كعنوانٍ عام وبوتقةٍ كبرىٰ تنصهر فيها ـ بشكلٍ أو بآخر ـ كلّ الدعاوى بإمامة أهل البيت عليهم السلام ؟

ويمكن القول بأنّ الهادي يحيى بن الحسين قد جمع هذين العنوانين أو القولين في الأصل الكلّي، حيث قال:

«... فإذا فهم ذلك، وكان في ضمير قلبه كذلك، وجب عليه أن يعرف ويفهم، ويعتقد ويعلم، أنّ ولاية أمير المؤمنين وإمام المتقين عليّ بن أبي طالب ـ رحمة الله عليه ـ واجبة علىٰ جميع المسلمين، فرض من الله ربّ العالمين، ولا ينجو أحدٌ من عذاب الرحمن، ولا يتمّ له اسم الإيمان، حتى يعتقد ذلك بأيقن الإيقان؛ لأنّ الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1]، فكان ذلك أمير المؤمنين ـ رحمة الله عليه ـ دون جميع المسلمين، إذ كان المتصدّق في صلاته، المؤدّي لِما يقرّبه من ربّه من زكاته، وفيه ما يقول الرحمن فيما نزل من واضح القرآن ﴿والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَعِيمِ ﴾[2]، فكان السابق إلى ربّه غير مسبوق، وفيه ما يقول تبارك وتعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3]، فكان الهادي إلى الحقِّ غير مهدي، والداعي إلى الصراط السوي، والسالك طريق الرسول الزكي، ومن سبق إلى الله وكان الهادي إلىٰ غامض أحكام كتاب الله فهو أحقُّ بالإمامة؛ لأنَّ أسبقهم أهداهم، وأهداهم أتقاهم، وأتقاهم خيرهم، وخيرهم بكلّ خير أولاهم، وما جاءَ له من الذكر الجميل في واضح التنزيل فكثيرٌ غير قليل، وفيه ما أنزل الله علىٰ رسوله بغدير خم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[4]، فوقف ﷺ وقطع

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الواقعة: ١٠ ـ ١٢.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) المائدة: ٦٧.

سيره، ولم يستجز أَن يتقدّم خطوة واحدة، حتى ينفذ ما عزم به عليه في عليٍّ عليه السلام، فنزل تحت الدوحة مكانه وجمع الناس، ثم قال: «أيّها الناس ألستُ أولىٰ بكم من أنفسكم»؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

فقال: «اللهم اشهد»، ثمّ قال: «اللهم اشهد»، ثمّ قال: «فمن كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره».

وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»، وفي ذلك دليل علىٰ أنّه قد أوجب له ما كان يجب لهارون مع موسىٰ ما خلا النبوّة.

وهارون (صلّى الله عليه) فقد كان يستحقّ مقام موسى عليه السلام، وكان شريكه في كلّ أمره، وكان أولى الناس بمقامه، وفي ذلك ما يقول موسىٰ عليه السلام حين سأل ذا الجلال والإكرام، فقال: ﴿وَاجْعَلْ لي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثيراً * ونَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرَا﴾، فقال الله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُوْتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[1] فأعْطاه الله سؤله في إشراكه لهارون في أمر موسىٰ، فمن أنكر أن يكون عليّ أوْلى الناس

---

(١) طه: ٢٩ ـ ٣٠.

بمقام الرسول ﷺ فقد ردّ كتابَ الله ذي الجلال والإكرام والطول، وأبطل قول ربِّ العالمين، وخالف في ذلك ما نطق به الكتاب المبين، وأخرج هارون من أمر موسىٰ كلّه، وأكذب رسول الله ﷺ في قوله وأبطل ما حكم به في أمير المؤمنين، فلابدّ أن يكون من كذّب بهذين المعنيين في دين الله فاجراً، وعند جميع المسلمين كافراً.

حدّثني أبي، عن أبيه أنّه سُئل عن إمامة عليّ بن أبي طالب (رحمة الله عليه) أفرض هي من الله ؟

فقال: كذلك نقول وكذلك يقول العلماء من آل الرسول عليه وعلىٰ آله السلام، قولاً واحداً لا يختلفون فيه، لسبقه إلىٰ الإيمان بالله، ولمّا كان عليه من العلم بأحكام الله، وأعلم العبادِ بالله أخشاهم لله، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١)، فأخشاهم أهداهم، وأهداهم أتقاهم، وقد قال الله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلىٰ الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَايَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٢)، وقال تبارك وتعالىٰ:

---

(١) فاطر: ٦٨.

(٢) يونس: ٣٠.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَـئِكَ المُـقَرَّبُونَ فِـي جَـنَّاتِ النَّـعِيمِ﴾[1]، فأسبَق المؤمنين إلىٰ ربِّه أولاهم جميعاً به، وأدناهم إليه وأكـرمهم عليه، وأكثر العباد على الله أولاهم بالإمامة في دين الله، وهذا بيّن والحمد لله لكلّ مرتاد طالب في عليِّ بن أبي طالب ـ رحمة الله عليه ـ لا يجهله إلا متجاهل جائر ولا ينكر الحقّ فيه إلّا ألدُّ مكابر ...

فإذا فهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام واعتقدها، وقال في كلّ الأُمور سرّاً وعلانيةً بها، وجب عليه التفضيل والاعـتقاد، والقـول بـإمامة الحسن والحسين الإمامين الطاهرين، سبطي الرسـول المـفضّلين، اللذين أشار إليهما الرسـول ودلّ عـليهما، وافـترض الله سـبحانه حبّهما، وحبّ من كان مثلهما في فعلهما من ذريتهما، حين يـقول الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَىٰ﴾[2]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

ويقول في جدّهما وأبيهما وأُمّهما وفيهما: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْـرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُـفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ـ إلىٰ قوله ـ

---

(١) الواقعة: ١٠ ـ ١٢.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) التوبة: ١١٩.

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (١).

وفيهما ما يقول الرسول ﷺ: «كلّ بني أُنثىٰ ينتمون إلىٰ أبيهم إلّا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما»، فهما ابناه وولداه بفرض الله وحكمه، وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالىٰ في إبراهيم صلّى الله عليه: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ (٢)، فذكر أنّ عيسى من ذريّة إبراهيم، كما مُوسَى وهارون من ذريته، وإنّما جعله الله ولده وذريته بولادة مريم، وكان سواء عنده سبحانه في معنىٰ الولادة والقرابة ولادة الابن وولادة البنت، إذ قد أجرى موسى وعيسى مجرى واحداً من إبراهيم صلّىٰ الله عليه.

ويقول الرسول ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

ويقول الرسول ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض».

ويقول ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها

---

(١) الانسان: ٥ ـ ٢٩.

(٢) الانعام: ٨٤، ٨٥.

نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى».

ويقول ﷺ: (ما أحبّنا أهل البيت أحدٌ فزلّت به قدم إلّا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة».

وفيهم يقول: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتىٰ أهل السماء ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبَ أهل بيتي من الأرض، أتىٰ أهل الأرض ما يوعدون»[1].

ويرى الهادي يحيى بن الحسين أنّ من لم يقل بالنصّ في الإمامة قد «ضلّ عن الحقّ وتكمّه فيه»، ويرىٰ أنّ النصّ ـ الذي تثبت به الإمامة للإمام ـ «حكم الله وتقليده»[2].

ونفس هذه التصريحات ـ أو قريبٌ منها ـ هي التي تعتقدها الإمامية الاثنا عشرية في الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

يقول الشيخ المفيد: «فإن قيل: من إمام هذه الأُمّة بعد رسول الله ﷺ؟

فالجواب: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فإن قيل: بما علمتم أنّه الإمام؟

---

(١) الأحكام ١: ٣٦ ـ ٤١.

(٢) مسألة النبوّة والإمامة (ضمن المجموعة الفاخرة): ٤٦ ـ ٤٧.

فالجواب: علمنا بالنصّ المتواتر من الله ـ عزّ وجلّ ـ ومن رسول الله ﷺ »[1].

ويقول الشيخ أبو الصلاح الحلبي (٤٤٧هـ)، بعد نقل النصوص الجلية من القرآن والسنّة علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام:

«وهذه الأقوال بصريحها مفيدة استخلافه عليّاً عليه السلام علىٰ أُمّته، ودالّة علىٰ إمامته، فيجب القطع لها علىٰ صحّة ما نذهب إليه»[2].

ونفس المسألة ـ النصّ علىٰ الإمام ـ هي عقيد الإمامية الاثني عشرية في أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّها تجعل النصَّ علىٰ الإمام مبنياً علىٰ عصمته لعقيدتها بالعصمة للإمام.

يقول المحقّق الحلّي (٦٧٦هـ) في الطريق إلىٰ تعيين الإمام: «وقد اختلف في ذلك فقالت الإماميّة: لا طريق إلىٰ تعيينه إلّا النصّ والمعجز»[3].

وقد نذكرهما معاً « العصمة والنصّ».

يقول الشريف المرتضى:

« اعلم أنّ من صفات الإمام أن يكون معصوماً عن كلّ قبيح

---

(١) النكت الاعتقادية: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) تقريب المعارف: ١٩٣.

(٣) المسلك في أُصول الدين: ٢١٠.

منزّهاً من كلّ معصية، وممّا يجب كونه عليه أن يكون منصوصاً علىٰ عينه بنصٍّ منه تعالىٰ أو بأمره »[1].

وحتّىٰ هذه المرحلة والزيديّة والإمامية الاثنا عشرية مشتركتان في القول بالأصل الكلّي في الإمامة، سواءً جعلناه: إمامة أمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليه السلام، أو جعلناه: إمامة أهل البيت كعنوانٍ عامّ.

ومن بعد تلك المرحلة ـ مرحلة النصّ علىٰ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والنصّ على أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ـ تتخذ القضية مساراً آخر، سواءً على صعيد تفسير النصّ أو تقسيمه، أو على صعيد التنصيص علىٰ أعيان الأئمة، ومساراً آخر في تقسيم الإمامة نفسها.

يقول السيّد أبو طالب:

«... إنّ الإمامة تنقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: طريق ثبوته والعلم به النصّ المتناول للغير على وجه [يفضي] إلى المراد به عند ضرب من الاستدلال والاستنباط، كنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وهذا القسم لا يحتاج فيه إلىٰ اعتبار المنصب، وإنّما يحتاج فيه إلىٰ مراعاة النصّ المتناول للغير، لأنّ النصّ قد أغنانا عن طلب المنصب.

والقسم الثاني: طريق ثبوته ومعرفته للدعوة مع اجتماع

---

(١) الذخيرة: ٤٢٩.

الأوصاف المخصوصة في الداعي، وهذا القسم لابدّ فيه من اعتبار منصب مخصوص، وهو أن يكون الداعي إلىٰ إمامته، والتزام طاعته، من ولد الحسن والحسين عليهما السلام أباً وأُمّاً، أو من قبل الأب.

والذي يدلّ علىٰ أنّ المنصب ما ذكرناه، أنّ الدلالة قد دلّت علىٰ أنّ الإمامة لابدّ فيها من [منصب] مخصوص »[1].

ثمّ يبسط ـ بعد ذلك ـ الحديث في ذلك المنصب المخصوص ويدافع عنه ويحاول إثباته[2].

وتتوسّع النظرية أكثر من ذلك حتى تصبح « خلافاً » بين الشيعة في الإمامة بعد الحسن والحسين عليهما السلام، كما يقول الإمام عبد الله بن حمزة[3].

ثمّ صارت نظرية عموم النصوص علىٰ إمامة أهل البيت عليهم السلام لذرية الحسن والحسين عليهما السلام « نصّاً » في المتون الكلامية عند الزيديّة فبعد ذكر «ثلاثة» من شروط الإمامة عند الزيديّة، يقول «الشرفي» في (شرح الأساس) الذي يعدّ مصدراً مهمّاً من مصادر علم الكلام والعقيدة عند الزيديّة:

---

(١) الدعامة: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الدعامة: ١٧٨.

(٣) العقد الثمين: ١٧.

« والرابع: ما ذهب إليه العترة والجمهور من غيرهم وهو المنصب، فلا تصحّ الإمامة في أيِّ رجلٍ حرٍّ من الناس، بل لابدّ لها من منصب مخصوص من الناس...

قالت العترة عليهم السلام جميعاً وشيعتهم: وهو ـ أي المنصب المشترط في الإمام ـ الوصي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والحسنان ـ أي الحسن والحسين ـ ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذريتهما ـ أي أولادهما عليهم السلام ـ »[1].

وأمّا على صعيد النصّ على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام فالزيديّة لا تراه نصّاً في العصمة والإمامة، بل قد لا تقبله، أو أنّها تتقبّله بتفسيرٍ آخر، حيث تراه مبشّراً أو حاكياً عن عدم انقطاع عقب أهل البيت إلىٰ انقطاع التكليف، حيث يروي عبد الله بن حمزة ـ كما ينقل عنه القاسم بن محمّد ـ:

«حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن الحسن الحسني، قال: سألتُ أبا الحسن عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام عمّا يقال في بني الأفطس، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ أخرج من إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم الخليل اثني عشر سبطاً»، ثمّ عدَّ الاثني عشر من ولد إسرائيل،

---

(١) عدّة الاكياس في شرح معاني الأساس ٢: ١٢١، شفاء صدور الناس: ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

فقال عليه السلام: «ريلون بن يعقوب، وسباحير بن يعقوب، ويوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب، ويعلا بن يعقوب، وددن ولاوي بن يعقوب، وشمعون بن يعقوب، ويهوذى بن يعقوب، ولوذ بن يعقوب، واستنيرر بن يعقوب، والثاني عشر روبيل بن يعقوب».

كما ذكره في التفسير لفوايد الإكسير لمحمّد بن إدريس، قال: فعد الاثني عشر هكذا.

وكذا أخرج من ولد الحسن والحسين عليهما السلام اثني عشر سبطاً، ثم عدّ ذلك الاثني عشر من ولد الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: أمّا الحسن بن عليّ فانتشر منه ستّة أبطن، وهم: بنو الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ أمير المؤمنين عليهم السلام، وبنو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ أمير المؤمنين عليهم السلام، وبنو إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ أمير المؤمنين عليهم السلام، وبنو الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وبنو داود بن الحسن بن الحسن ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وبنو جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فَعَقِبُ الحسن من هذه الستة الأبطن لا ينقطع منهم أبداً.

ثمّ عدَّ ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام، فقال: بنو محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين، وبنو عبد الله بن عليّ بن الحسين بن

عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وبنو عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وبنو زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وبنو الحسين الحليم الأصغر بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وبنو عليّ بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فهذه ستّة أبطن من ولد الحسين عليه السلام وستّة أبطن ولد الحسن تقدّم ذكرها، لا ينقطع عقبهم إلى انقطاع التكليف وهم بمنزلة [أسباط] بني إسرائيل »[1].

ولكنّ الظاهر أنّ قسماً من الزيديّة المتقدّمين كانوا يرون النصّ علىٰ اثني عشر بدون تعيينٍ لهم منطبقاً علىٰ عددٍ من الأئمة عيّنوهم فيما بعد[2].

كما ويلاحظ على النصّ الذي نسب إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّ بقاء هذه الذرّية وعدم انقطاعها لا ربط بينه وبين مسألةٍ خطيرة كالإمامة، بينما يُلاحظ في النصوص التي جاءت حول « الاثني عشر » أنّها تعلّق عليهم آمال الأُمة، وتتحدّث عن حفظ الدين بهم![3] وعن عدم

---

(١) الإعتصام ٥: ٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٢) الأساس في عقائد الأكياس، بحث الإمامة.

(٣) جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، وجاء عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: « لن يزال هذا الدين قائماً إلىٰ اثني ←

زوال الأمر ماداموا.. إلىٰ غير ذلك من التعابير التي لا يمكن بسهولة تفسيرها ببقاء النسل الشريف !!

ويلاحظ كذلك أنّ « الحساب » لم يتمّ بصورة ذكية في تفسير الحديث المنسوب إلى الرضاعليه السلام؛ إذ إنّ من المفروض أن يكون الحسن والحسين وأبوهما عليهم الصلاة والسلام من ضمن الاثني عشر، وعندها سيصبح المجموع مع « الستّة والستة » خمسة عشر لا اثنا عشر !!

وهذا النصّ علىٰ الأئمة الاثني عشر ـ الذي لا تراه الزيديّة؛ لأنّ مسألة الإمامة ممّا تعمّ بها البلوىٰ، فلو كان ثابتاً لاشتهر لعموم الابتلاء به ـ قد اشتهر بشكلٍ ملفتٍ للنظر حتى أصبح علماً علىٰ طائفةٍ من طوائف المسلمين وهم الشيعة الإمامية « الاثنا عشرية »، ورواه عددٌ كبير من علماء أهل السنّة.

يروي أحمد والجوهري وأبو يعلى: «حمّاد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله [بن مسعود] وزاد فيه: قال: كنّا جلوساً عند عبد الله يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد

← عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»، ونصوصٌ أُخرى تفوق هذين الحديثين بأضعاف أضعاف، أُنظر: كنز العمّال ١٢: ٢٧، وغيرها من المصادر.

الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك أمر هذه الأُمّـة مـن خليفةٍ بعده ؟

فقال له عبد الله: ما سألني عنها أحدٌ منذ قدمت العراق، نعم سألنا رسول الله ﷺ فقال: (اثنا عشر عدّة نقباء بني اسرائيل)»[1].

ويروي الطبراني وابن حجر الهيتمي وغيرهما:

«عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر أُمّتي صالحاً حتىٰ يمضي اثنا عشر خليفة كـلّهم مـن قريش»[2].

ويروي الحاكم النيسابوري: «عن يونس بن أبي يعفور، عن عون ابن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: كنتُ عـند رسـول الله ﷺ وهـو يخطب وعمّي جالسٌ بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر أُمّتي صالحاً حتىٰ يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[3].

وخطوة أُولى نحو تعيين هؤلاء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام يأتي في كتب السنّة: «عن عباية بن ربعي، عن جـابر، قـال: قـال رسـول

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٩٨، مستدرك الحاكم ٤: ٥٠١، مسند أبي يعلى الموصلي ٨: ٤٤٤، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٩٧، مستدرك الحاكم ٣: ٦١٨، مجمع الزوائد ٥: ١٩٠، فتح الباري ٨: ١٥١.

(٣) مجمع الزوائد ٥: ١٩٠ مستدرك الحاكم ٣: ٦١٧.

الله ﷺ: «أنا سيّد النبيين، وعليّ سيّد الوصيين وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ، وآخرهم القائم المهدي»[1].

ويقترب الهادي يحيى بن الحسين من هذه الخطوة عندما يقول:

«فكلّ من قال بإمامة أمير المؤمنين ووصيّه، فهو يقول بالوصية على أنّ الله عزّ وجلّ أوصى بخلقه على لسان النبيّ إلى عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وإلىٰ الأخيار من ذرية الحسن والحسين، أولهم عليّ بن الحسين وآخرهم المهدي ثمّ الأئمة فيما بينهما»[2].

ثمّ يأتي التصريح بعصمتهم في المصادر السنيّة من الأحاديث النبوية، كدلالة أُخرىٰ على مبنى « العصمة » في الإمام عند الإمامية الاثني عشرية:

«عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[3].

حتى يصرّح علماء أهل السنّة بذلك الاشتهار كما ينقل القندوزي:

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٢٩١.

(٢) كتاب فيه معرفة الله عز وجل من العدل والتوحيد و:٢٢١ (المجموعة الفاخرة).

(٣) إعلام الورى باعلام الهدى ٢: ١٨١، ينابيع المودة ٣: ٢٩١.

« قال بعض المحقّقين: إنّ الأحاديث الدالّة علىٰ كون الخلفاء من بعده ﷺ إثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، علم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاءِ من بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأنّ النبيّ ﷺ قال: «كلّهم من بني هاشم» في رواية عبد الملك، عن جابر، واخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجّح هذه الرواية؛ لأنّهم لا يُحسِّنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسيّة لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وحديث الكساء، فلابُدَّ مِنْ أن يُحْمَلَ هذا الحديث علىٰ الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ؛ لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متّصلاً بجدّهم ﷺ وبالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيّد هذا المعنىٰ ـ أي أنّ مراد النبيّ ﷺ الأئمة الاثنا عشر من

أهل بيته ـ ويشهد ويرجّحه حديثه الثقلين، والأحاديث المتكثرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها.

وأمّا قوله ﷺ: «كلّهم تجتمع عليه الأُمّة» في رواية جابر بن سمرة، فمراده ﷺ أنّ الأُمّة تجتمع علىٰ الإقرار بإمامة كلّهم وقت ظهور قائمهم المهدي ـ رضي الله عنهم ـ»[1].

وتتمشّى مسألة النصّ علىٰ الأئمة الاثني عشر ـ عامّاً وخاصّاً ـ عند أهل السنّة، لِتُرى في الشِعر، قال ابن طولون (ت ٩٥٣):

«... وقد أشار إليهم، في ضمن قصيدة الإمام أبو الفضل يحيىٰ بن سلامة الحصفكي فقال:

أسألُ عن قلبي وعن أحبابه
ومنهمُ كلٌّ مُقرٍّ يجْحدُ
وهل تُجيبُ أعظُمٌ باليةٌ
وأرسمٌ خاليةٌ ما يُنْشَدُ
تقاسموا يوم الوداعِ كبدي
فليسَ لي منذُ تولّوا كبدُ
على الجفونِ رحلوا، وفي الحشا
تقلّبوا، وماءَ عيني وَرَدوا

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

وأدمُـــعي مســـفوحةٌ وكـبدي
مـــقروحةٌ، وغـــلّتي لا تـبرد
وعَـــبْرتي وافـــيةٌ ومُـــقْلتي
دامـــيةٌ، ونَـــوْمُها مشـــرَّدُ
أيـقنتُ لمّـا أن حـدا الحـادي بـهم
وَلمْ أمُتْ أنّ فـــؤادي جـــلمَدُ
كـنت عـلى القُـرْبِ كـئيباً مـغرماً
صـبّاً، فـما ظـنّك بـي إذ بَـعُدوا
هُـمُ الحـياةُ أغـرَبُوا أَمْ أشأمُـوا
أَمْ أتـــهموا أَمْ أيـمنُوا أم أنـجدُا
لِـــيَهْنِهِمْ طـــيبُ الكَـرَى فـإنَّهُ
حـــظُّهُمُ، وحَـظّ عَـيْني السَـهَدُ
هُـــمُ تَـوَلَّوا بـالفُؤادِ والكَـرَى
فأيْـنَ صـبري بـعدَهم والجَـلَدُ
لولا الضَّـنَا جـحدتُ وَجْـدِي بِـهِمُ
لكـــن نُـحُولي بـالغَرامِ يشْـهَدُ
للهِ مـــا أجْـوَرَ حُكّـامَ الهَـوى
مَـنْ لم يُـظَلَّم فـيه فَـهْوَ مُسْـعَدُ

لَـيْسَ عـلى المُـتْلَفِ غُـرْمٌ عِـندَهم
ولا عـــلى القـاتِلِ ظُـلْماً قَـوَدُ
هـيهاتَ مـمزوجٌ بـلحمي ودمـي
حُـــبّهمُ وهـو الهُـدَى والرَشَـدُ

* * *

حـــيدرةٌ والحَسَـــنانِ بَـــعْدَهُ
ثُـــمَّ عـــلي وابـــنُه مـــحمّدُ
وجـعفر الصـادقُ وابـنُ جَـعفرٍ
مـــوسى، ويـتلوهُ عـليٌّ السـيّدُ
أعـني الرِّضَـا، ثُـمَّ ابنه مـحمّدٌ
ثُـــمَّ عـــليٌّ وابـــنُه المسـدَّدُ
الحســـنُ التـالي ويـتلُو تِـلْوَهُ
مـــحمّدُ بـن الحسـنِ المُـعْتَقَدُ

* * *

قـــومٌ هـــمُ أئـمتي وَسَـادتي
وإنْ لحـــاني مَـــعْشَرٌ وفَـــنَّدُا
أئـــمةٌ أكـــرِمْ بـــهم أئـــمّةً
أســـماؤُهم مسـرورةٌ لا تُـطْرَدُ

هُـــمْ حُـجَجُ اللهِ عَـلى عِـبَادِهِ
وهـــم إليـــه مـنهجٌ وَمـقْصَدُ

* * *

وليُّكـمْ فـي الخُـلْدِ حـيٌّ خَـالِدٌ
والضِـدُّ فـي نـارِ اللَّـظى مُـخَلَّدُ
ولستُ أهـواكُم بـبُغضي غـيرَكم
إنِّـي إذاً أَشْـقَى بكـم لا أَسْـعَدُ
فـلا يَـظُنَّ رافـضيٌّ أنـني
وافـقْتُهُ أوْ خَـارِجيٌّ مُـفْسِدُ !
مـحمّدٌ والخُـلفاءُ بـعدَه
أفـضلُ خـلقِ الله فـيما أجـدُ
هـم أسَّسـوا قـاعِدَة الدّيـنِ لنـا
وهُـمْ بَـنَوْا أرْكـانَه وشَـيَّدُوا !!

...

والشـافعيُّ مَـذْهَبِي مـذهبُهُ
لأنَّـه فـي قـولِه مُـؤَيَّد!»[1]

---

(١) الأئمة الاثنا عشر: ٣٩ ـ ٤٣.

كما نقل هذه القصيدة للحصفكي (ت عام ٥٥٣هـ) سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) أيضاً[١].

وقال ابن طولون في حصر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام:

عليك بالأئمة الاثني عشر
من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو ترابٍ حسن حسينُ
وبغض زين العابدين شَيْنُ
محمّد الباقر كم علمٍ درىٰ
والصادقُ ادعُ جعفراً بين الورى
موسىٰ هو الكاظم وابنه عليٌّ
لقّبه بالرضا وقدره عليٌّ
محمد التقيٌّ قلبه معمورُ
على النقيٌّ درُّه منثور
والعسكري الحسن المطهّرُ
محمّد المهدي سوف يظهر[٢]

---

(١) تذكرة خواص الأئمة: ٣٦٥.

(٢) الأئمة الاثنا عشر: ١١٨.

بل وتكبر القضية أكثر من ذلك بكثير حتى تخرج عـن الدائـرة الإسلامية لتوجد تلك النصوص عند الديانات السماوية الأُخـرى وفي الكتب الإلهية السابقة أيضاً.

ففي العهد القديم، جاءَ في سفر التكوين قول (الربّ) لإبراهيمعليه السلام ما نصّه بالعبريّة: « وي لِيشْماعيل بيرَخْتي أوتو وي هفريتي أوتـو وي هِرْبيتي بِمِئوْد مِئود شنيم عَسارنسيئيم يوليد وي نِـتتيو لِگـوي گدول»[1].

وتعني حرفيّاً: « وإسماعيل أُباركه، وأُثَمِّره، وأكثّره جدّاً جدّاً، اثنا عشر إماماً يلد، وأجعلهُ أُمّةً كبيرةً».

ويعلّق الأستاذ الواسطي على ذلك:

«أشارت هذه الفقرة إلى أنّ المباركة، والأثمار، والتكـثير إنّـما يكون في صلب إسماعيل عليه السلام، و « شنيم عسار » تعني « اثنا عشر »، ولفظة « عسار » تأتي في « العدد التركيبي إذا كان المعدود مذكّراً»، والمعدود هنا « نسيئيم » وهو مذكر وبصيغة الجمع لاضافة الـ(يم) في آخر الاسم، والمفرد « ناسي » وتعني إمام، زعيم، رئيس.

وأمّا قول (الربّ) لإبراهيم عليه السلام في الفقرة نفسها أيضاً: « وي نتتيو

---

(١) العهد القديم، سفر التكوين ١٧: ٢٠، ص٢٢ ـ ٢٣ نقلا عن كـتاب أهـل البيت في الكتاب المقدس: ١٠٥..

گوى گدول»، نلاحظ أنّ «في نتتيو» مكوّنة من حرف العطف (في)، والفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب)، والضمير «يو» في آخر الفعل «نتتيو» يعود على إسماعيل عليه السلام، أي وأجعله، وأمّا كلمة (كوي) فتعني: «أُمّة، شعب»، و «كدول» تعني: «كبير، عظيم» فتصبح (وأجعله أُمّة كبيرة).

فيتّضح من هذه الفقرة أن التكثير والمباركة إنّما هما من صلب إسماعيل عليه السلام، ممّا يجعل القصد واضحاً في الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام باعتبارهم امتداداً لنسل إسماعيل عليه السلام، ذلك لأنَّ الله ـ تعالى ـ أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج ومعه امرأته «سارة» و «لوط» مهاجرين إلى حيثُ أمرهم الله ـ تعالى ـ، فنزلوا أرض فلسطين.

ووسّع الله تعالى على إبراهيم عليه السلام في كثرة المال، فقال «ربِّ ما أصنع بالمال ولا ولد لي»، فأوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه: «إنّي مكثرٌ ولدك حتى يكونوا عدد النجوم». وكانت «هاجر» جاريةً لسارة، فوهبتها لإبراهيم عليه السلام، فحملت منه، وولدت له إسماعيل عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام يومئذٍ ابن «ست وثمانين» سنة.

والقرآن الكريم يشير إلىٰ هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم عليه السلام بالدعاء إلى الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوادٍ

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرم رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1].

فالآية الكريمة تؤكّد أنّ إبراهيم عليه السلام قد أسكن بعضاً من ذريّته ـ وهو إسماعيل عليه السلام ومَن ولد منه ـ في مكة، ودعا الله تعالىٰ أن يجعل في ذريّته الرحمة والهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب الله لدعوته بأن جعل في ذريّته محمّداً صلى الله عليه وآله واثنى عشر إماماً بعده.

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: (نحن بقيّة تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا)»[2].

ويقرّ ـ بمجيء هذا المفهوم « الاثني عشري » في الكتب السماوية السابقة ـ أهل السنّة، يقول ابن كثير:

«وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: إنّ الله تعالى بشّر إبراهيم بإسماعيل، وأنّه ينمّيه ويكثّره ويجعل من ذريّته اثني عشر عظيماً.

ثم يقول:

---

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) نُقِلَ ماورد في الأصل العبري من التوراة والتعليق عليها من مقال للأُستاذ أحمد الواسطي في مجلّة « التوحيد»، إصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد ٥٤: ١٢٧ ـ ١٢٨.

«قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشَّر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرّر أنّهم يكونون مفرّقين في الأئمّة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا.

وغلط كثير ممّن تشرّف بالإسلام من اليهود، فظنّوا أنّهم الذين تدعو إليهم فرقة الرّافضة فاتبعوهم»[1].

النصوص عند الاثني عشريّة:

والإمامية الاثنا عشرية ـ مع قولها بكون أحاديث «الثقلين» و«السفينة» و «الأمان» وغيرها نصٌّ على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأخذها تلك الأحاديث أدلّةً للقول بالعصمة ـ تستدلّ أيضاً بالنصوص في تعيين الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، وهذه النصوص من مسلّمات مذهب الإمامية الإثني عشريّة.

يروى ابن بابويه:

«... فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، ومن الأئمة من ولد عليٍّ بن أبي طالب؟

قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ سيّد العابدين في زمانه عليٍّ بن الحسين، ثمّ الباقر محمّد بن عليّ،

---

(١) البداية والنهاية ٦: ٢٨٠.

وستدركه يا جابر فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر ابن محمّد، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر، ثمّ الرضا عليّ بن موسى، ثمّ التقي محمّد بن عليّ، ثمّ النقي عليّ بن محمّد، ثمّ الزكيّ الحسن بن عليّ، ثمّ ابنه القائم بالحقّ مهدي أُمّتي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي... »[1].

والعجيب هو هذا الاتّفاق والتضافر بين أهل السنّة والإمامية الاثني عشرية على هذه النصوص!! والذي جعل الطبرسي يقول:

«إعلم: أنّ الخبر إذا رواه المعترف بصحّته، الدائن بصدقه، ووافقه في ذلك المنكر لمضمونه، الدافع لما اشتمل عليه، فقد أسفر فيه الحقّ عن وجه الدلالة، لاتّفاق المتضادّين في المقالة، إذ لو كان باطلاً لما توفّرت دواعي المنكر له في نقله وهو حجّة عليه، بل كانت منه الدواعي متوفّرة في دفعه على مجرى العرف والعادة، لا سيّما وقد سلم من نقل معارضة تسقط الحجّة به، أو دعوىٰ تكافئه في الظاهر فتمنع من العمل عليه والاعتقاد به، وإذا كانت الأخبار الواردة في أعداد الأئمة عليهم السلام بهذه الصفة فقد وجب القطع بصحّتها»[2].

(١) كمال الدين: ٢٥٨.

(٢) إعلام الورى ٢: ١٥٧.

كتابخانه تخصصي تاريخ اسلام وايران ١٣٧٤

ويقول: بعد نقل مجموعة من تلك النصوص:

«وإذا كانت الفرقة المخالفة قد نقلت ذلك ـ كما نقلته الشيعة الإماميّة ـ ولم تنكر ما تضمّنه الخبر فهو أدلّ دليل على أنّ الله تعالى هو الذي سخّرهم لروايته، إقامة لحجّته، وإعلاءاً لكلمته، وما هذا الأمر إلّا كالخارق للعادة، والخارج عن الأُمور المعتادة، ولا يقدر عليه إلّا الله تعالى الذي يذلّل الصعب، ويقلّب القلب، ويسهّل العسير، وهو على كلّ شيء قدير»[1].

(١) إعلام الورى ٢: ١٦٥.

المهدي عليه السلام القضيّة الكونيّة:

تشكّل قضية الإمام المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ المسار الأخير لحركة جميع المذاهب الإسلامية، بل وتعتبر نهاية عهود الظلم وعصور الظلام عند الأديان السماوية الأُخرىٰ أيضاً.

فلا غرو أن تحفل بها كتب المسلمين وغيرهم.

والشيعة بشكل خاصّ لها احتفاءٌ بقضية الإمام المهدي بروابط وثيقة ووكيدة، قد يكون سبب منشأها هو الاعتقاد المتكامل بحقّ أهل البيت عليهم السلام في الإمامة والخلافة منذ البداية وحتى النهاية.

فالمهدي (من عترة الرسول)، ومن (وُلْد فاطمة) على حدٍّ تعبير الأحاديث المتواترة عند الشيعة والسنّة[1].

---

(١) انظر: سنن ابن ماجة ٢: ٥٣١، سنن أبي داود ٤: ٨٧ ـ ٨٨، الجامع الكبير للترمذي ٤: ٨٥، إعلام الورى ٢: ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الإرشاد ٢: ٣٤٦، تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب: ٨٨، لوامع الأنوار ١: ٥٨ ـ ٦٤، عدّة الأكياس ٢: ٣٨٠.

←

وممّا جاء عن الإمام المهدي عليه السلام في كتب الزيديّة، كما عن الهادي يحيى بن الحسين برواية الضهري، عن ابن يوسف، عن محمّد ابن الهادي يحيى بن الحسين:

«باب القول في ما ذكر عن المهدي عليه السلام»:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: نرجو أن يكون الله قد قرّب ذلك وأدناه، وذلك أنا نرى المنكر قد ظهر والحقّ قد درس وغير، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اشتدى أزمة تنفرجي»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أكون في شدّة أنتظر رخاء أحبّ إلى من أن أكون في رخاء أنتظر شدّة».

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: الفرق ما بين الآخرة والدنيا زوال ما في الدنيا وتنقله وفناؤه ودوام ما في الآخرة وثباته وبقاؤه، فكلّ مافي الدنيا فزائل وما في الآخرة فدائم، وكأنّي بالفرج

← للتوسّع في الحديث عن المهدي راجع: الإمام المهدي عند أهل السنّة لمهدي فقيه إيماني، المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي عن مركز الرسالة، بحثٌ حول المهدي للشهيد الصدر، وغيرها من عشرات المصادر.

قد أقبل، وبالنعيم قد أطل، وبالنصر قد نزل، فقد تراكمت الفتن وجل ما نحن فيه من تعطيل الكتاب والسنن، وظهور السفاح، وخمول النكاح، وظهور الرويبضة من الناس، وشرب الخمور، وارتكاب الشرور، وأكل الربا، وقبول الرشى، والجري في ميادين الهوى، وجور السلطان، ونهج الشيطان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قد نرى وننظر ذلك كلّه في دهرنا هذا الذي قد أخرنا له وأبقينا إليه، فكأنّي ببعسوب الدين قد ضرب بدينه وجأر إلى ربّه، فأجاب الله دعوته، ورحم فاقته، وكشف غمته، وأنزل نصرته، وأظهر حكمه، وانتعشه بعد هلاكه، وأحياه بعد وفاته، وقوّاه بعد ضعفه برجل من أهل بيت نبيّه، فيظهره في بعض أرضه، ويقيم به عموم الدين، ويعز به المؤمنين، ويقل الكافرين، ويذلّ الفاسقين، ويحكم بكتاب ربّ العالمين، يمكن الله له في أرضه وطأتَه، ويظهر كلمته، ويعز دعوته، ويشبع به البطون الجائعة، ويكسو به الظهور العارية، ويقوي به ضعف المستضعفين، ويزيل به ظلم الظالمين، ويردّ به الظلامات، وينفي به الفاحشات، ويطفئ به نار الفسق، ويعلي به نور الحقّ، ويؤيّده بالنصر، وينصره بالرعب، ويعز أولياءه ويذلّ أعداءه، فكلّ ما ملك من الأرض بلداً دعاه الغضب لربه إلى طلب غيره، حتى يملك البلاد كلّها، ويطأ الأُمم بأسرها بعون الله وتوفيقه ونصره وتأييده، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، لا

تأخذه في الله لومة لائم، يجتمع إليه أعوانه، ويلتئمُ إليه أنصاره من مناكب الأرض كلّها، كما يجتمع قزع الخريف في السماء، هاه هاه كأنّي به يقدم الألوف، ويجدع من أعدائه الأنوف، ويخوض الحتوف، يفض الصفوف بعساكر كبيرة الغوايل، فيها حماة الليوث القواتل، تطير بالضرب ذوات الأنامل ويغري بالبيض شهب المحافل، حتى إذا تنازل [الفرسان]، وظهرت دعوة الرحمن، ودعي إلى الحقّ كلّ إنسان، وتناوش الأقران، واختضب المران، وحمي الطعان، وطاح الهام، واختلط الأقوام، وقهر الإسلام، وظهرت دعوة محمّدﷺ ونصر هنالك المؤمنون، وخذل الكافرون ومن بغي عليه لينصرنه الله، إنّ الله لقوي عزيز؛ فحينئذٍ يتمّ نصر الله للمحقين، ويصحّ خذلانه وهلاكه للفاسقين، ويجتث الله أصل أئمة الجور الضالين، ويحيي الله ببركة الطاهر المهدي دعوى الحق، ويعلن كلمة الصدق، ويمن بذلك ويتفضل به عليه ويحسن تأييده وتوفيقه فيه.

قال:

كريم هاشمي فاطمي جامع القلب
رؤوف أحمدي لا يهاب الموت في الحرب
ترى أعداؤه منه حذار الحتف في الكرب
شجاع يتلف الأرواح في الهيجاء بالضرب

رحيم بأخي التـقوى شـديد بأخـي الذنب
حكيم اوتيّ التقوى وفصل الحكم والخطب
بعـدل القـائم المهـدي غـوث الشـرق والغـرب

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عـليه: بـلغنا عـن زيـد بـن عليّ عليه السلام أنّه قال: «نحن الموتورون، ونحن طلبة الدم والنفس الزكية من ولد الحسن والمنصور مـن ولد الحسـن، كأنّـي بشـيبة النـفس الزكية[1] وهو خارج من المدينة يريد مكة، فإذا قتله القوم لم يـبق لهم في الأرض ناصر ولا في السماء عاذر، وعند ذلك يـقوم قـائم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ملجئاً ظهره إلى الكعبة، بين عينيه نور ساطع لا يعمى عنه إلّا أعمىٰ القلب في الدنيا والآخرة»، قال: فقال أبو هاشم بيّاع الرمان: يا أبا الحسين وما ذلك النور؟ فقال: عدله فـيكم وحـجّته علىٰ الخلايق».

قال: وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «تكردس الفـتن فـي جرائيم العرب حتى لا يقال الله، ثمّ يبعث الله قوماً يـجتمعون كـما يجتمع قزع الخريف، فهنالك يحيي الله الحقّ ويميت الباطل»[2].

---

(١) قتل النفس الزكية من المشتركات بين الزيـديّة والإمـامية فـي حـوادث الظهور، أُنظر: الكافي ٨: ٢٥٨.
(٢) الأحكام ٢: ٤٦٨ ـ ٤٧٠.

الانتظار:

وتعتبر مسألة الانتظار لهذا الفرج الإلهي العظيم قضية هامة في آيديولجيا التصوّر الإسلامي لنهاية العالم.

فالمسلمون ينتظرون.

وأهل الديانات الأخرى ينتظرون.

الشيعة تنتظر.

والسنّة تنتظر.

ويحيى بن الحسين الهادي يقول في:

«باب القول في انتظار امام حقّ:

المنتظر للحقّ والمحقّين كالمجاهد في سبيل ربّ العالمين، وفي ذلك ما بلغنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من حبس نفسه لداعينا أهل البيت أو كان منتظراً لقائمنا كان كالمتشحط بين سيفه وترسه في سبيل الله بدمه»[1].

وقد أولى أئمةُ أهل البيت عليهم السلام مسألةَ الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ عناية خاصة فعرّفوا الناس بإمامهم، وأخبروهم بما يجري عليه، وأوصوهم بانتظاره، ودرّبوهم تدريباً

---

(١) الأحكام ٢: ٥٠٢.

روحياً وعمليّاً على الارتباط الوثيق به.

نفس العمل الذي قاموا به من أجل ربط شيعتهم بكلِّ أئمة أهـل البيت الطاهرين.

روى الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزّاز القمي[1] في (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثنى عشر) بإسناده عن الكميت أنّه قال: «دخلتُ على سيِّدي أبي جعفر محمّد بن علي الباقر، فقلت: يا بن رسول الله، إنّي قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذنُ لي في إنشادها؟

فقال: «أيّام البيض»؟!

قلت: فهو فيكم خاصة.

قال: «هات».

فأنشأت أقول:

أضحكني الدهرُ وأبكـاني ... والدهرُ ذو صـرفٍ وألوانِ

لتسعةٍ بالطفِّ قد غـودروا ... صاروا جميعاً رهن أكفانِ

فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله عليه السلام، وسمعتُ جارية تبكي من وراء الخباء، فلمّا بلغتُ إلى قولي:

وسـتّةٌ لا يُـتجارى بـهم ... بـنو عـقيلٍ خـير فـرسانِ

---

(١) أبو القاسم علي بن محمّد بن علي الخزاز القمي الرازي، من علماء القـرن الرابع.

ثـم عـليٌّ الخـير مـولاهمُ ذكـــرهمُ هـيَّجَ أحـزانـي

فبكى ثمّ قال عليه السلام: «مامن رجل ذكرنا أو ذُكرنا عنده يخرج من عينيه ماءٌ ولو مثل جناح البعوضة إلّا بنى الله له بيتاً في الجنّة، وجعل ذلك الدمع حجاباً بينه وبين النّار»، فلمّا بلغتُ إلى قولي:

من كان مسروراً بما مسّكم أو شـامتاً يـوماً مـن الآنِ
فـقد ذللـتم بـعد عـزٍّ فـما أدفع ضيماً حـين يـغشاني

أخذ بيدي ثُمَّ قال: «اللهم اغفر للكميت ما تقدَّم من ذنـبه ومـا تأخّر»، فلمّا بلغتُ إلى قولي:

متى يقوم الحقُّ فيكم متى يقوم مـهديُّكم الثـاني ؟؟

قال: «سريعاً إن شاء الله سريعاً»، ثمّ قال: «يا أبا المسـتهلّ: إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين؛ لأنّ الأئمة بعد رسـول الله اثـنا عشر، الثاني عشر هو القائم».

قلت: يا سيدي؛ فمن هؤلاء الاثنا عشر ؟

قال: «أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وبعده الحسن والحسين، وبعد الحسين عليّ بن الحسين، وبعده أنا، ثمّ بعدي هذا ووضع يده على كتف جعفر».

قلت: فمن بعد هذا؟

قال: «ابنه موسى، وبعد موسى ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه محمّد، وبعد محمّد ابنه عليّ وبعد علي ابنه الحسن [وبعد الحسن ابنه محمّد] وهو أبو القاسم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ويشفي صدور شيعتنا».

قلتُ: فمتى يخرج يا بن رسول الله ؟

قال: «لقد سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «إنّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلّا بغتة)»[1].

وولادة الإمام المهدي عليه السلام عام ٢٥٥ للهجرة كانت ميلاد نور لكلّ أتباع محمّد ﷺ، وتلك الولادة المباركة ـ رغم ما اعتورتها من ملابسات صعبة وارتقاب ارهابي عباسي خطير ـ عمّت أخبارها وتضافرت، حتى إنّ أولى الناس بالإمام المهدي الثاني عشر عليه السلام ـ وهم أتباعه من الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ لم يكونوا الوحيدين العارفين بميلاده.

فأهل السنّة أيضاً علموا بذلك واعتقدوه، ومن أجلة علمائهم القائلين بميلاده:

عليّ بن محمّد بن محمّد الشيباني (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، وغيره كثير.

---

(١) كفاية الأثر: ٢٤٨.

وقد أتى ثامر هاشم العميدي على مائة وثمانية وعشرين عالماً من علماء السنّة الذين قالوا بميلاده، وأضاف بعضهم إلى ذلك القول بمهدويته[1].

وممّا ورد في كتب السنّة من الأحاديث في الإمام المهدي عليه السلام، هذا الحديثُ الذي نقله « المقدسي »، عن سنن الإمام أبـي عـمرو عثمان بن سعيد المقري: « عن عليّ عليه السلام... ثمّ يسير بالجيوش حتى يصير بوادي القرى، في هدوءٍ ورفق، ويـلحقه هـنالك ابـن عـمّه الحسنيّ، في اثنا عشر ألف فارس، فيقول له: يا بن عمّ أنا أحقُّ بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن، وأنا المهديّ.

فيقول له المهديّ عليه السلام: بل أنا المهديّ.

فيقول له الحسني: هل لك من آية فأبايعك ؟

فيوميءُ المهدي عليه السلام إلى الطير فيسقط على يده.

ويغرس قضيباً في بُقعة من الأرض، فيخضرُّ ويورق.

فيقول له الحسنيّ: يا بن عمٍّ هيَ لك »[2].

والحديث فيه دلالة واضحة على أنّ اسم أب المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ هو «الحسن»، كما هي عليه عـقيدة الشـيعة

---

(١) دفاع عن الكافي ١: ٥٦٩ ـ ٥٩٢.

(٢) عقد الدرر: ١٣٨.

الإماميّة الاثني عشرية.

ووردت الدلالة على أنّه من ولد الحسين بن عليّ عليه السلام في كتب السنّة أيضاً، لا كما يتصوّرُ البعضُ بأنَّ ذلك من مختصّات الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فقد أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٥١٧هـ) في «صفحة المهدي»، والحافظ أبو عبد الله نعيم بن حمّاد (ت ٢٢٩هـ)، والحافظ أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في معجمه، كما ينقل عنهم « المقدسي »: «عن عبد الله بن عمرو... قال: يخرج المهدي من ولد الحسين، من قبل المشرق، لو استقبلته الجبالُ لهدمها، واتَّخذ فيها طرقاً»[1].

وبعد كلّ النصوص التي وردت في أنّ المهديّ هو محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام ما يزال هناك من يشكّك في هذا الأمر، وبناءً على شبه واهية كدعوىٰ عمّه جعفر بن علي الهادي بعدم وجوده، وعلى هذا يعلّق الشيخ المفيد بقوله:

«وما أرى المتعلّق في إنكار وجود ولَد الحسن بن عليّ بن محمّد عليهما السلام ـ وقد قامت بيّنة العقل والسمع به، ودلّ الاعتبار الصحيح على صواب معتقده ـ بدفع عمّه لذلك مع دواعيه الظاهرة كانت إليه، بحوز تركة أخيه دونه، مع جلالتها وكثرتها وعظم خطرها، لتعجّل

---

(١) عقد الدرر: ٢٢٣.

المنافع بها، والنهضة بمآربه عند تملّكها، وبلوغ شهواته من الدنيا بحوزها، ودعوى مقامه الّذي جلَّ قدره عند الكافة، باستحقاقه له دون من عداه من الناس، وبخعت الشيعة كلّها بالطاعة له بما انطوت عليه من اعتقادها لوجوبه له دون من سواه، وطمعه بذلك في مثل ما كان يصل إليه من خمس الغنائم التي كانت تحملها شيعته إلىٰ وكلائه في حياته، واستمرارها على ذلك بعد وفاته، وزكوات الأموال، لتصل إلى مستحقّها من فقراء أصحابه ـ إلّا كتعلّق أهل الغفلة من الكفّار في إبطال عمّه[1] أبي لهب دعوتَه وجحد الحقّ في نبويّة، والكفرِ بما جاءَ به، ودفع رسالته، ومشاركته أكثر ذوي نسبه من بني هاشم وبني أُميّة لعمّه في ذلك، واجتماعهم علىٰ عداوته، وتجريدهم السيف في حربه، واجتهادهم في استئصاله ومتّبعيه على ملّته.

هذا مع ظهور حجّته[2]، ووضح برهانه في نبوّته، وضيق الطريق في معرفة ولادة الحجّة بن الحسن على جعفر وأمثاله من البعداء عن علم حقيقته.

ومن صار في إنكار شيء أو إثباته أو صحّته أو فساده إلى مثل

---

(١) أي عمّ النبيّ ﷺ.

(٢) أي النبي ﷺ.

التعلّق بجعفر بن علي في جحد وجود خلف لأخيه، وما كان من أبي جهل وشركائه من أقارب النبيّ ﷺ وجيرانه وأهل بلده والناشئين معه في زمانه والعارفين بأكثر سرِّ أمره وجهره وأحواله في دفع نبوّته وإنكار صدقه في دعوته، سقط كلامه عند العلماء ولم يحدَّ في جملة الفقهاء، وكان في أعداد ذوي الجهل والسفهاء»[1].

وتعتبر عقيدة «الغيبة» في حق الإمام المهديّ عليه السلام من البديهيّات في فكر الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

والعجيب أن تكون تلك العقيدة مسرحاً للتشكيك عند البعض رغم ورودها في كتب السنّة النبوية، كما عن البرزنجي الشافعي: «عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: لصاحب هذا الأمر ـ يعني المهدي عليه السلام ـ غيبتان أحدهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره»[2].

وحديثاً واحداً من مئات الأحاديث التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في الإخبار عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام: ما رواه الحسن ابن محبوب الزرّاد، عن إبراهيم الخارقي، عن أبي بصير، عن أبي

---

(١) الفصول العشرة: ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) الإشاعة: ٩٣.

عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لقائم[1] آل محمّد عليهم السلام غيبتان واحدة طويلة والأُخرىٰ قصيرة.

قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأُخرى، ثمّ لا يكون ذلك ـ يعني ظهوره ـ حتى يختلف ولد فلان، وتضيق الحلقة، ويظهر السفياني، ويشتدّ البلاء، ويشمل الناس موت وقتل، ويلجأون منه إلى حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وتوسّع البحث الكلامي في الغيبة ـ نظراً لنموّها كإشكالية عند الفريق المقابل ـ ممّا حدا الإماميّة إلىٰ أن تشبع القضية بحثاً ثبوتاً وإثباتاً، ومن ذلك ما يورده الطبرسي فيقول: «الفصل الأوّل: في ذكر الدلالة علىٰ إثبات غيبته عليه السلام وصحة إمامته من جهة الأخبار التي تقدَّم ذكرها، وذكر أحوال غيبته.

تدلّ على إمامته عليه السلام ما أثبتناها من أخبار النصوص، وهي على

---

(١) من أسماء المهدي عليه السلام ـ عند الزيديّة ـ قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، انظر: الأحكام ٢: ٤٧٠، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وسمّي بالقائم لقيامه بالحقّ»، انظر: كشف الغمة ٢: ٤٦٥، والذي سمّاه بالقائم هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير للحافظ أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠). أُنظر: الغدير ١: ٢١٤ ـ ٢١٦، وسمّاه بذلك الإمام عليّ عليه السلام، انظر: كنز العمّال ١٤: ٥٩٥.

(٢) إعلام الورى ٢: ٢٥٩.

ثلاثة أوجه:

أحدها: النصّ على عدد الأئمة الاثني عشر، وقد جاءت تسميته عليه السلام في بعض تلك الأخبار، ودلّ البعض على إمامته بما فيه من ذكر العدد من قبل أنّه لا قائل بهذا العدد في الأمّة إلّا من دان بإمامته، وكلّ ما طابق الحقّ فهو حقّ.

والوجه الثاني: النصّ عليه من جهة أبيه خاصّة.

والوجه الثالث: النصّ عليه بذكر غيبته وصفتها التي يختصّها، ووقوعها على الحدّ المذكور من غير اختلاف، حتّى لم يخرم منه شيئاً، وليس يجوز في العادات أن تولد جماعة كذباً يكون خبراً عن كائن فيتّفق لهم ذلك على حسب ما وصفوه.

وإذا كانت أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة عليه السلام، بل زمان أبيه وجدّه، حتى تعلّقت الكيسانية بها في إمامة ابن الحنفية، والناووسية والممطورة في أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام[1]، وخلّدها

---

(١) قال عبد الله بن حمزة: وقد شاركهم (الإمامية الاثني عشرية في القول بالغيبة) بعضنا معشر الزيديّة في دعوىٰ غيبة الإمام كالمغيرية في دعواهم غيبة محمّد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام، والطالقانية في دعوىٰ غيبة محمّد ابن القاسم صاحب الطالقان عليه السلام، واليحيوية أصحاب يحيى بن عمر عليه السلام، والحسينية في دعوى غيبة الحسين بن القاسم عليه السلام، كلّ هؤلاء من خلصان فرق الزيديّة إلّا المغيرية ... أُنظر: العقد الثمين: ٢١٧.

المحدّثون من الشيعة في أُصولهم المؤلّفة في أيّام السيّدين الباقر والصادق عليهما السلام، وآثروها عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، صحّ بذلك القول في إمامة صاحب الزمان عليه السلام بوجود هذه الصفة له، والغيبة المذكورة في دلائله وإعلام إمامته، وليس يمكن لأحد دفع ذلك.

ومن جملة ثقات المحدِّثين والمصنّفين من الشيعة: الحسن بن محبوب الزرّاد، وقد صنّف كتاب المشيخة الذي هو في أُصول الشيعة أشهر من كتاب المزسي وأمثاله، قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه بعض ما أوردناه من أخبار الغيبة، فوافق الخبر الخبر، وحصل كلُّ ما تضمّنه الخبر بلا اختلاف»[1].

المصلحة من المهدي حال الغيبة:

ومع تلك الأحاديث وذلك الإخبار المسبق من أهل البيت صلوات الله عليهم بالغيبة للثاني عشر من الأئمة عليهم السلام[2] فقد طرأت

---

(١) إعلام الورىٰ ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٢) فمن ذلك قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «... هذا إبّانُ ورودِ كلِّ موعودٍ، ودنوٍّ من طلعة ما لا تعرفون ألا وإنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليَحُلَّ فيها ربقاً، ويُعْتِقَ فيها ←

الشبهة على تفكير البعض في خصوص هذه الحادثة، ومشكلة الشبهة أنّها تبدأ استفساراً، ثمّ تترقّى إلى أن تصبح استغراباً حتى تصير في نهاية المطاف انكاراً!

وحينها تعتبر شبيهة بالحقّ وتسمّى ـ حينئذٍ ـ بالشبهة[1]، وفي خصوص قضية الإمام « الغيبة » أنّها بدأت شبهةً عند غير الاثني عشرية الإمامية، ثمّ كبرت وفرّخت شُبهاً أُخرى، كان من ضمنها « عدم وجود المصلحة من الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته».

ويناقش علماء الإمامية هذه الشبهة وغيرها نقاشاً موضوعياً مُمتعاً حقّاً!!

وحول هذه الشُبهة بالذات يعرض الشيخ المفيد شبهة خصوم الإمامية والمتلخصة في القول: «بعدم المصلحة من إمامة المهدي

← رقّاً، ويصدَع شعباً، ويشعب صدعاً، في سُتْرةٍ عن الناس لا يُبْصِر القائف أثره ولو تابع نظره ...».

وقد أقرّ ابن أبي الحديد بأنّ هذه الكلمات في المهديّ من آل محمّد عليهم السلام، إلّا أنّه حاول أن لا تكون كلمة « السُرّة » بمعنى الغيبة وأن تكون هذه الكلمات في أمر الغيبة !!

انظر: نهج البلاغة: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، شرح نهج البلاغة ٩: ١٢٨.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « وإنّما سمّيت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ » نهج البلاغة: ٨٢.

حال غيبته»، هكذا:

«إنّ الإمامية تناقض مذهبها في إيجابهم الإمامة، وقولهم بشمول المصلحة للأنام بوجود الإمام وظهوره وأمره ونهيه وتدبيره، واستشهادهم على ذلك بحكم العادات في عموم المصالح بنظر السلطان العادل وتمكّنه في البلاد والعباد.

وقولهم مع ذلك: إنّ الله تعالى قد أباح للإمام الغيبةَ عن الخلق وسوّغ له الاستتار عنهم، وأنّ ذلك هو المصلحة وصواب التدبير للعباد...»[1].

ويقدِّم مقدِّمةً ضافيةً لردّ هذه الشبهة متعرّضاً فيها لتبيين علّة من دخلتْ عليه تلك الشبهة بأنّها: «إنّما استولت عليه لبُعده عن سبيل الاعتبار ووجوه الصلاح وأسباب الفساد، وذلك أنّ المصالح تختلف باختلاف الأحوال، ولا تتفق مع تضادّها، بل يتغيّر تدبير الحكماء في حسن النظر والاستصلاح بتغيّر آراء المستصلحين وأفعالهم وأغراضهم في الأعمال...»[2].

ثم يخلص إلى ردّ الشبهة بعد تهيئة تلك المقدّمة اللازمة للإفهام، فيقول:

---

(١) الفصول العشرة: ١١٣.

(٢) الفصول العشرة: ١١٤.

«فإنّ الشبهة الداخلة على خصومنا في هذا الباب، واعتقادها أنّ مذهب الإمامية في غيبة إمامها مع عقدها في وجوب الإمامة متناقِضٌ حسبما ظنّوه في ذلك وتخيّلوه، لا يدخل إلّا على عميً منهم مضعوف بعيد عن معرفة مذهب سلفه وخلفه في الإمامة[1]، لا يشعر بما يرجع إليه في مقالهم به:

وذلك أنّهم بين رجلين:

أحدهما: يوجب الإمامة عقلاً وسمعاً، وهم البغداديّون من المعتزلة وكثير من المرجئة.

والآخر: يعتقد وجوبها سمعاً وينكر أن تكون العقول توجبها،

---

(١) وهذا بعْد نظرٍ وعمقُ فكرة فريدان من نوعهما عند الشيخ المفيد رحمه الله. فالحقيقة أنّ كافة المذاهب ـ بما فيها الزيديّة ـ لو حقّقوا في مباني نظرية الإمامة عند الإمامية ـ ابتداءً بقولها في اللطف وترتّب العصمة عليه وانتهاءً باعتقادها بالنصّ المترتب بدوره على القول بالعصمة ـ لرأت أنّ انتقاداتها وإشكالاتها غير موضوعيّة، وغير قائمة على أُسس من المنهج الموضوعي للنقاش والبحث، ولا بُدّ لتلك الاشكالات ـ عند وضعها تحت المحك النقدي والبحث الموضوعي ـ أن تكون مترتبةً على مباني نظرية الإمامة عند الإمامية حتى تُؤتي ثمرها بشكل ناضج « فمجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه » على حدٍّ تعبير أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، راجع: (واستقرَّ بي النوى).

وهم البصريّون من المعتزلة وجماعة المجبّرة وجمهور الزيديّة[1]، وكلُّهم ـ وإن خالفَ الإماميةَ في وجوب النصّ على الأئمة بأعيانهم، وقال بالاختيار أو الخروج بالسيف والدعوة إلى الجهاد ـ فإنّهم يقولون: إنّ وجوب اختيار الأئمة إنّما هو لمصالح الخلق، والبغداديّون ـ من المعتزلة خاصّة ـ يزعمون أنّه الأصلح في الدين والدنيا معاً، ويعترفون بأنّ وقوع الاختيار وثبوت الإمامة هو المصلحة العامّة، لكنّه متى تعذّرَ ذلك بمنع الظالمين منه كان الذين إليهم العقد والنهوض بالدعوة في سعةٍ من ترك ذلك وفي غير حرجٍ من الكفِّ عنه، وأنّ تركهم له ـ حينئذٍ ـ يكون هو الأصلح وإباحة الله تعالى لهم التقية في العدول عنه هو الأولىٰ في الحكمة وصواب التدبير في الدنيا والدين[2].

وهذا هو القول الذي أنكره المستضعفون منهم على الإماميّة: في ظهور الإمام وغيبته، والقيام بالسيف وكفّه عنه وتقيّته، وإباحة شيعته عند الخوف على أنفسهم ترك الدعوة إليه على الإعلان، والإعراض عن ذلك للضرورة إليه، والإمساك عن الذكر له باللسان[3].

---

(١) المعالم الدينية: ١٣٠.

(٢) وهذا ما طبّقته «الزيديّة» عمليّاً في السبعة والثلاثين سنة الأخيرة.

(٣) وعلى هذا تُحمل الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في النهي ←

فكيف خفي الأمرُ فيه على الجهّال من خصومنا، حتّى ظنّوا بنا المناقضة وبمذهبنا في معناه التضادّ، وهو قولهم بعينه على السواء، لولا عدم التوفيق لهم وعموم الضلالة لقلوبهم بالخذلان، والله المستعان»[1].

وقبل هذا كلّه، حديث الثقلين المرويّ ـ بالتواتر ـ عن رسول الله ﷺ الذي يقتضي أن يكون أحد هؤلاء الأئمة من العترة باقياً، وحيث إن العترة قد علم انحصارها في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وعُلم التحاقُ أحدَ عشر منهم عليهم السلام بالرفيق الأعلى فلابُدّ أن يكون الثاني عشرَ منهم باقياً وحياً يرزق.

وحديث « الأئمة الاثني عشر » يقتضي ذلك أيضاً، بنفس المقدّمات التي استخدمت في « حديث الثقلين».

وتحوم حول سماء التفكير إثاراتٌ متداعية !!

ليكون مدارها هو الاستغراب من واقع الفكر الإسلامي الذي سمح ـ في بعض مناحيه ـ للسياسة الحاكمة في بعض العصور الإسلامية أن تزرع ما شاءت، وتبذرَ ما شاءت، وتحصد ما شاءتْ،

← عن ذكر اسم المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ في تلك الفترة الحرجة والمتأرجحة من التاريخ الإسلاميّ المضطرب.

(١) الفصول العشرة: ١١٧ ـ ١١٩.

وإلّا فكيف يسمع المسلمون نبيَّهم ورسولَهم يخبرهم عن غيبة إمامهم الثاني عشر عليه السلام، ويسمعون ثقْله وعترته يخبرون بذلك قبل ميلاده ومجيئه، ومع ذلك كلّه تكبر في أنفسهم هذه المسألة حتى تصبح مدعاةً إلى الاستهزاء بطائفةٍ مؤمنةٍ ـ مع الأسف ـ حفظت العهد ـ منذ صدر الإسلام وحتى اليوم ـ الذي قطعته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما»!!

الخاتمة !

وجدت « الزيديّة » في اليمن لتكون امتداداً شبه طبيعيٍّ لحالة الولاء العميق التي عاشها الإنسان اليمني نحو أهل البيت عليهم السلام، نحو عليٍّ وأبناء عليٍّ عليه السلام.

ثمّ جاءت مرحلة الإمامية الاثني عشرية ـ التي لم تكن موجودة بشكل واضح على الساحة، بل ويمكن القول بأنّها لم تستطع الدخول إلى اليمن في فتراتٍ متقدّمة، لظروفٍ خاصة عاشتها الخريطة السياسية والعقدية عند الأئمة الزيديّة خاصةً ـ لتلبي نداء الفطرة الشيعية التي بذرت من البداية في النفس اليمنية الرقيقة والليّنة.

وتواكبَ المذهبان في الانتصار للإنسان اليمني الشيعي، كلٌّ في مرحلة.

وقد حاولت هذه « القراءات » أن تقوم بعملية الترسيم الأولي لحركة هذا التواكب على المستوى النظري، أملاً في أن يأتي اليوم

الذي يحقّق هذا التواكب نصره الساحق على المستوى العملي.

فتتجاوز كلُّ عمليات الشغب والمصادرات، التي لا يستفيد منها ـ على أيّ حال ـ إلّا أُولئك الذين كرهوا اليمن في تشيّعها وإنسانها المؤمن الموالي العظيم.

والله من وراء القصد.

المراجع

القرآن الكريم: كتاب اللّه العزيز الحكيم.

(أ)

١ ـ الأئمة الاثنا عشر: محمّد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ منشورات الرضي ـ قم [تصوير عن دار صادر ـ بيروت].

٢ ـ أئمة اليمن: محمّد بن محمّد بن يحيى زبارة (ت ١٣٨١هـ) ـ الدار اليمنيّة للنشر والتوزيع ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م، ط/١.

٣ ـ الأحكام في الحلال والحرام: يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي [الإمام الهادي (ت ٢٩٨هـ)] ـ ط/١ ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: محمّد بن محمّد بن النعمان [المفيد] (ت ٤١٣هـ) ـ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ ط/١ ـ ١٤١٣هـ ـ قم.

٥ ـ الأساس في عقائد الأكياس: القاسم بن محمّد بن علي

(ت ١٠٢٩هـ) تحقيق ألبيرنصري نادر ـ دار الطليعة، ط/١ ـ ١٩٨٠م بيروت.

٦ ـ الإشاعة لاشتراط الساعة: محمّد بن رسول البرزنجي الشافعي (ت ١١٠٣هـ) ـ عبد الحميد أحمد حنفي ـ شارع المشهد الحسيني ـ ط/١ ـ ١٣٧٠هـ ـ القاهرة.

٧ ـ الأُصول من الكافي: محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩هـ) ـ تصحيح وتعليق علي أكبر الغفّاري ـ دار الأضواء ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ـ بيروت.

٨ ـ الاعتصام بحبل اللّه المتين: القاسم بن محمّد بن علي (ت ١٠٢٩هـ) مكتبة اليمن الكبرىٰ ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ـ صنعاء.

٩ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ـ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ ط/١ ـ ١٤١٧هـ ـ قم.

١٠ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ـ دار العلم للملايين ـ ط/٩ ـ ١٩٩٠م ـ بيروت.

١١ ـ أعيان الشيعة: محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) تحقيق وإخراج حسن الأمين ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ بيروت.

١٢ ـ الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: أبو طالب يحيىٰ بن الحسين الهاروني (ت ٤٢٤هـ) تحقيق وتعليق محمّد يحيى سالم عزّان ـ دار الحكمة اليمانية ـ ط/١ ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ـ صنعاء.

١٣ ـ إكمال الدين وتمام النعمة؛ الشيخ الصدوق، ط/١٤٠٥هـ ـ ١٣٦٣ ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

١٤ ـ أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدّس: كاظم النصيراوي، ط/١ ١٩٩٧م، مطبعة صدر.

١٥ ـ الأمالي: يحيى بن الحسين الشجري (ت ٤٧٩هـ) ـ عالم الكتب ـ ط/٣ ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ بيروت.

١٦ ـ الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية: الدكتور أحمد محمود صبحي ـ منشورات العصر الحديث ـ ط/١ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٧ ـ الإمام المهدي عند أهل السنّة: مهدي فقيه إيماني ـ مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة ـ ط/٢ ـ ١٤٠٢هـ ـ دار التعارف ـ بيروت.

١٨ ـ الأمويّون بين الشرق والغرب: الدكتور محمّد السيّد الوكيل ـ دار القلم / دمشق، الدار الشامية / بيروت ـ ط/١ ـ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م.

١٩ ـ الانتفاضات الشيعيّة عبر التاريخ: هاشم معروف الحسني ـ منشورات الشريف الرضي ـ ط/٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ قم.

٢٠ ـ أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين: الحسن بن بدر الدين الحسني (ت ٦٧٠) ـ مخطوط.

٢١ ـ أوائل المقالات: محمّد بن محمّد بن النعمان « المفيد » (ت ٤١٣) ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ ط/١ ـ ١٤١٣ هـ. ـ قم.

(ب)

٢٢ ـ بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي (١١١١هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م. بيروت ـ طبعة المكتبة الإسلامية ـ ط ٢ ـ ١٣٦٢هـ. ش ـ طهران.

٢٣ ـ البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق مكتب تحقيق التراث ـ دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ ط/١ ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م ـ بيروت.

٢٤ ـ البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري ١٤٠٨هـ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٥ ـ البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ، (ت ٨٤٠هـ). دار الحكمة اليمانية ـ صنعاء.

٢٦ ـ بحوث في الملل والنحل: جعفر السبحاني ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ ط ١ ـ ١٤١٦هـ. ـ قم.

٢٧ ـ البرهان على وجود صاحب الزمان: محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) ـ مكتبة نينوى ـ طهران.

٢٨ ـ البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان: علي بن حسام الدين « المتقي الهندي » (ت ٩٧٥هـ) تحقيق علي أكبر الغفّاري ـ ١٣٩٨هـ ـ طهران.

٢٩ ـ بلوغ المرام: حسين بن أحمد العرشي ـ دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

(ت)

٣٠ ـ تاريخ الإسلام: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ـ ط ٣ ـ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣١ ـ تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي...: صائب عبد الحميد ـ مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ ط /١ ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ـ بيروت.

٣٢ ـ تاريخ الإماميّة وأسلافهم من الشيعة...: الدكتور عبد الله فيّاض ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ ط /٣ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

ـ بيروت.

٣٣ ـ تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت ٢٨٤ هـ، دار صادر بيروت، نشر مؤسسة فرهنك أهل بيت عليهم السلام.

٣٤ ـ تاريخ اليمن السياسي: محمّد يحيى الحدّاد (ت ١٤٠٨ هـ) ـ منشورات المدينة ـ ط/٤ ـ ١٩٨٦م / ١٤٠٧هـ ـ بيروت.

٣٥ ـ التجديد في فكر الإمامة عند الزيديّة في اليمن: أشواق أحمد مهدي غليس ـ مكتبة مدبولي ـ ط/١ ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ـ القاهرة.

٣٦ ـ تحرير الأفكار: بدر الدين الحوثي، تحقيق السيّد جعفر الحسيني ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ ط/١ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ـ قم.

٣٧ ـ التحف شرح الزلف: مجد الدين بن محمّد المؤيّدي، تحقيق محمّد يحيى سالم عزّان وعلي أحمد الرازحي ـ مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية ـ ط/١ ـ ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٨ ـ تذكرة خواص الأئمة: يوسف بن قزغلي البغدادي « سبط ابن الجوزي » (ت ٦٥٤هـ) ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ـ النجف ـ العراق.

٣٩ ـ تراثنا ـ العدد الأوّل ـ ١٤٠٥هـ ـ نشرة فصلية تصدر عن

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. ـ قم.

٤٠ ـ تراثنا ـ العدد ١٧ ـ ١٤٠٩هـ ـ نشرة فصلية تصدر عن مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٤١ ـ تراثنا ـ العدد ٢٧ ـ ١٤١٢هـ ـ نشرة فصلية تصدر عن مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٤٢ ـ تراجم الرجال المذكورين في شرح الأزهار: أحمد بن عبد الله الجنداري ـ طبع مع الجزء الأوّل من شرح الأزهار، طبعة حجازي ـ ١٣٥٧ هـ. ـ القاهرة.

٤٣ ـ التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بـ« الملاحم والفتن »: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ ط/١ ـ ١٤١٦هـ. ـ قم.

٤٤ ـ تصحيح الاعتقاد: محمّد بن محمد بن النعمان « المفيد » (ت ٤١٣ هـ) تحقيق حسين درگاهي ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ ط/١ ـ ١٤١٣هـ.

٤٥ ـ تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ـ ط/١ ـ ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٤٦ ـ تقريب المعارف: أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ) تحقيق

فارس الحسّون ـ ١٤١٧هـ.

٤٧ ـ التوحيد: الشيخ الصدوق، تحقيق هاشم الحسيني الطهراني طبعة ١٣٨٧هـ. جماعة المدرسين ـ قم.

٤٨ ـ التوحيد ـ مجلة شهرية تصدر عن منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران ـ العدد ٥٤.

٤٩ ـ تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب: يحيى بن الحسين بن هارون (ت ٤٢٤هـ) برواية جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت ٥٧٣هـ) ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ ط/١ ـ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ـ بيروت.

(ث)

٥٠ ـ الثقلان الكتاب والعترة: محمّد حسين المظفّر ـ مؤسسة النعمان ـ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ـ بيروت.

(ج)

٥١ ـ الجامع الكبير: محمّد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط/٢ ـ ١٩٩٨م ـ بيروت.

(ح)

٥٢ ـ الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيديّة: حميد بن أحمد المحلّي (ت ٦٥٢هـ) ط / أوفست.

٥٣ ـ حوليات يمانية: تحقيق عبد الله محمّد الحبشي ـ دار الحكمة اليمانية ـ ط /١ ـ ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ـ صنعاء.

٥٤ ـ حياة الشيخ المفيد ومصنّفاته: محمّد رضا الأنصاري القمّي، عبد العزيز الطباطبائي ـ المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لتكريم وفاة الشيخ المفيد ـ الحوزة العلمية ـ ١٤١٣هـ.

(خ)

٥٥ ـ الخصال: الشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

(د)

٥٦ ـ دائرة المعارف الإسلاميّة: أصدرها بالعربية أحمد الشنتاوي وآخران ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٥٧ ـ دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة: حسن الأمين ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ط /٥ ـ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م. بيروت.

٥٨ ـ الدعامة في تثبيت الإمامة: يحيى بن الحسين الهاروني «أبو طالب» (ت ٤٢٤هـ) تحقيق الدكتور ناجي حسن ـ الدار العربية للموسوعات ـ ط/١ ـ ١٩٨٦م. بيروت طُبع خطأً باسم «الزيديّة» ونُسب للصاحب بن عبّاد.

وفي النسخة التي يمتلكها مركز الأبحاث العقائدية في قم تعليقاتٌ بخطّ السيّد بدر الدين الحوثي على الكتاب.

٥٩ ـ دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب وأثرها في العالم الإسلامي: الدكتور محمّد بن عبد الله بن سليمان السلمان ـ دار البخاري ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ـ ١٩٨٨ م ـ القصيم.

٦٠ ـ دفاع عن الكافي: ثامر هاشم حبيب العميدي ـ مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة ـ ط/١ ـ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.

٦١ ـ دلائل الصدق: محمد الحسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ) ـ دار المعلّم ـ ط/٢ ـ ١٣٦٩هـ ـ القاهرة.

(ذ)

٦٢ ـ الذخيرة في علم الكلام: علي بن الحسين الموسوي «الشريف المرتضى» (ت ٤٣٦هـ) تحقيق أحمد الحسيني ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم ـ

١٤١١هـ. ـ قم.

٦٣ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) ـ دار الأضواء ـ ط/٣ ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ بيروت.

(ر)

٦٤ ـ رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، عمرو بن بحر بن محبوب «الجاحظ» (ت ٢٥٥هـ) قدّم لها وبوبها وشرحها: الدكتور علي أبو ملحم ـ منشورات دار ومكتبة الهلال ـ ط/٣ ـ ١٩٩٥م ـ بيروت.

٦٥ ـ الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة: علي الحسيني الميلاني ـ ط/١ ـ ١٤١٨هـ. ـ قم.

٦٦ ـ روضة الواعظين: محمّد بن الفتال النيسابوري، (ت ٥٠٨ هـ)، تحقيق السيد محمّد مهدي الخرسان، منشورات الرضي ـ قم.

(ز)

٦٧ ـ الزيديّة: الدكتور أحمد محمود صبحي ـ منشأة المعارف بالإسكندرية ـ ١٩٨٠ م.

٦٨ ـ الزيديّة في اليمن: بدر الدّين الحوثي.
٦٩ ـ الزيديّة نظرية وتطبيق: على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين ـ جمعيّة عمّال المطابع التعاونية ـ ط/١ ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ـ عمان.

(س)

٧٠ ـ سنن ابن ماجة: محمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق صدقي جميل العطّار ـ دار الفكر ـ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ـ بيروت.
٧١ ـ سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق صدقي محمّد جميل العطّار ـ دار الفكر ـ ط/٢ ـ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م ـ بيروت.
٧٢ ـ سير أعلام النبلاء: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ ط/٢ ـ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ـ بيروت.
٧٣ ـ سيرة الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين: رواية علي بن محمّد بن عبيد الله العباسي العلوي (ت ٢٩٧هـ) تحقيق الدكتور سهيل زكّار ـ دار الفكر ـ ١٩٧٢م.
٧٤ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمّد ناصر الدين الألباني،

طبعة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٧٥ـ سنن الترمذي: محمّد بن عيسىٰ الترمذي، ت ٢٧٩هـ، تحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار الفكر ـ بيروت.

٧٦ ـ سنن الترمذي: محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمّد، طبع سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٧٧ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، (ت ٣٠٣هـ)، الطبعة الاولىٰ ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م، دار الفكر ـ بيروت.

(ش)

٧٨ـ شرح الأزهار: عبد الله بن مفتاح (ت ٨٧٧هـ) ـ مكتبة اليمن نشر مكتبة قمصان ـ صنعاء ـ اليمن.

٧٩ـ شرح أُصول الكافي، المولىٰ محمّد صالح المازندراني، طبع سنة ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٠ ـ شرح جمل العلم والعمل: علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضىٰ، تصحيح يعقوب الجعفري ط/٢، دار الأسوة.

٨١ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط/٢ ـ ١٩٦٥ م.

٨٢ ـ شفاء صدور الناس: أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي (ت ١٠٥٥هـ) ـ مخطوط.

٨٣ ـ الشيعة والتشيّع: محمّد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني (اوفست: الشريف الرضي) ـ ط/٢ ـ ١٤٠٥هـ ـ قم.

(ص)

٨٤ ـ الصحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار ـ دار العلم للملايين ـ ط/٤ ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م ـ بيروت.

٨٥ ـ صحيح البخاري: محمّد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول ١٤٠١ هـ، دار الفكر ـ بيروت.

٨٦ ـ صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت ٣٥٤، تحقيق شعيب الارناؤوط، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م، نشر مؤسسة الرسالة.

٨٧ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١هـ، دار الفكر ـ بيروت.

٨٨ ـ صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث: الدكتور محمّد عوض الخطيب ـ مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة ـ ط/٢ ـ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ـ قم.

(ع)

٨٩ ـ عدّة الأكياس في شرح معاني الأساس: أحمد بن محمّد بن صلاح الشرفي (ت ١٠٥٥هـ) ـ دار الحكمة اليمانية ـ ط/١ ـ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ـ صنعاء.

٩٠ ـ العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين: عبد الله بن حمزة «المنصور بالله» (ت ٦١٤هـ) ـ مخطوط.

٩١ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي (ق ٧) تحقيق: الدكتور عبد الفتّاح محمّد الحلو ـ مكتبة عالم الفكر ـ ط/١ ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ـ القاهرة.

٩٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(غ)

٩٣ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب: عبد الحسين أحمد الأميني (ت ١٣٩٠هـ) ـ دار الكتب الإسلاميّة ـ ط/٦ ـ ١٣٧٤هـ ش ـ طهران.

(ف)

٩٤ ـ الفتوح: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت حدود ٣١٤هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ ١٤٠٦هـ (نقلاً عن كتاب تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي لصائب عبد الحميد).

٩٥ ـ الفصول العشرة: محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي « المفيد » (ت ٤١٣هـ) تحقيق: فارس الحسّون ـ ط/١ ـ المؤتمر العالمي لألفية المفيد ـ ١٤١٣هـ. قم.

٩٦ ـ الفلك الدوّار: إبراهيم بن محمّد الوزير (ت ٩١٤هـ) تحقيق: محمّد يحيى سالم عزّان مكتبة التراث الإسلامي ـ صعدة، دار التراث اليمني ـ صنعاء ـ ط/١ ـ ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٩٧ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط/٢، دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

٩٨ ـ فتح الباري ـ شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني،

ت ٨٥٣هـ، الطبعة الثانية، دار المعرفة ـ بيروت.

(ق)

٩٩ ـ قادتنا كيف نعرفهم: محمّد هادي الميلاني (ت ١٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد علي الميلاني ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ ط ٢ ـ ١٤١٣هـ. ـ قم.

١٠٠ ـ قواعد عقائد آل محمّد عليهم السلام: محمّد بن أحمد بن الحسن الديلمي ـ مخطوط.

(ك)

١٠١ ـ الكافي «الروضة»: محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ـ تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ـ دار الأضواء ـ ط ٣ ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ـ بيروت.

١٠٢ ـ الكافي: محمّد بن يعقوب الكليني، ت ٣٢٩هـ، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، دار الكتب الإسلامية. ـ ايران.

١٠٣ ـ الكامل في التاريخ: عزالدين أبو الحسن علي بن الكرم «ابن الأثير» (ت ٦٣٠هـ) دار صادر ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ـ بيروت.

١٠٤ ـ كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك، ت ٢٨٧هـ،

تحقيق الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٠٥ - كشف الارتياب: محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) - ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٠٦ - كشف الغمّة في معرفة الأئمة: علي بن عيسىٰ الإربلي (ت ٦٨٧ هـ) - نشر مكتبة بني هاشم - تبريز.

١٠٧ - كلمة حول حديث الثقلين: محسن الخرّازي - نشر حبيب - ط ١ - ١٤١٨هـ.

١٠٨ - كنز العمّال: المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م - بيروت.

(ل)

١٠٩ - لوامع الأنوار: مجد الدين بن محمّد بن منصور المؤيّدي - مكتبة التراث الإسلامي - ط / ١ - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م - صعدة.

(م)

١١٠ - مائة عام من تاريخ اليمن الحديث: الدكتور حسين عبد الله العمري - دار الفكر - ط / ١ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م - دمشق.

١١١ ـ مؤلّفات الزيديّة: أحمد الحسيني ـ منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي. ـ قم.

١١٢ ـ مجمع الزوائد؛ نور الدين الهيثمي، الطبعة الاولىٰ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٣ ـ المجموعة الفاخرة: كتابٌ فيه مجموع من كتب الإمام الهادي: يحيى بن الحسين بن القاسم «الرسي» (ت ٢٩٨هـ) ـ مكتبة اليمن الكبرى.

١١٤ ـ المسلك في أُصول الدين: جعفر بن الحسن بن سعيد «المحقّق الحلّي» (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق، رضا الأستادي ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ ط ١ ـ ١٤١٤هـ ـ مشهد ـ إيران.

١١٥ ـ المستدرك على الصحيحين؛ الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف المرعشي دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٦هـ.

١١٦ ـ مسند أحمد بن حنبل، (ت ٣٤١هـ)، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

١١٧ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنىٰ، تحقيق حسين سليم أسد مطبعة دار المأمون.

١١٨ ـ مسند الإمام زيد: زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢هـ) رواية أبي خالد الواسطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٩ ـ مطلع البدور ومجمع البحور: أحمد بن صالح بن محمّد بن أبي الرجال (ت ١٠٩٢هـ) ـ مخطوط.

١٢٠ ـ المعالم الدينية في العقائد الإلهية: يحيىٰ بن حمزة «المؤيد بالله» (ت ٧٤٩هـ) تحقيق: سيّد مختار أحمد حشّاد ـ دار الفكر المعاصر ـ ط/١ ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ـ بيروت.

١٢١ ـ معاني الاخبار: الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، طبعة سنة ١٣٦١هـ ـ ش، انتشارات إسلامي.

١٢٢ ـ معجم رجال الحديث: أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ) ـ مركز نشر الثقافة الإسلامية ـ ط/٥ ـ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٢٣ ـ مقاتل الطالبيين؛ أبو الفرج الاصفهاني، تحقيق كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

١٢٤ ـ المقالات والفرق: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري (ت ٣٠١هـ) تصحيح وتقديم وتعليق: محمد جواد مشكور ـ مركز انتشارات علمي وفرهنگي ـ ط/٢ ـ ١٣٦٠هـ. ش.

١٢٥ ـ مقدّمة البحر الزخّار: أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ٨٤٠هـ) ـ دار الحكمة اليمانية ـ تصوير عن الطبعة الأُولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م ـ صنعاء (طبعت مع كتاب البحر الزخار لابن المرتضى).

١٢٦ ـ الملهوف على قتلى الطفوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: فارس الحسّون ـ دار الأسوة ـ ط ٢ ـ ١٤١٧هـ.

١٢٧ ـ منتهى المقال في أحوال الرجال: محمد بن إسماعيل الحائري «أبو علي» (ت ١٢١٦هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ ط ١ ـ ١٤١٦هـ. قم.

١٢٨ ـ المنجد في الأعلام: لجنة التأليف ـ دار المشرق ـ ط ٢١ ـ ١٩٩٦م بيروت.

١٢٩ ـ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: إصدار مركز الرسالة ـ ط ١ ـ ١٤١٧هـ ـ قم.

١٣٠ ـ موسوعة عاشوراء: جواد محدّثي، ترجمة: خليل زامل العصامي ـ البيان للترجمة ـ دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، دار المحجة البيضاء ـ ط ١ ـ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٣١ ـ الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف الثقافية ـ ط ١ ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٣٢ ـ مناقب آل أبي طالب؛ ابن شهر آشوب تحقيق لجنة من اساتذة النجف، ١٣٧٦هـ، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران
تاسیس ۱۳۷۴

(ن)

١٣٣ ـ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: علي الحسيني الميلاني ـ ط ١ ـ ١٤١٤هـ.

١٣٤ ـ نقد الرجال: مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي (ق ١١) تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ ط ١ ـ ١٤١٨هـ ـ قم.

١٣٥ ـ النكت الاعتقادية: محمّد بن محمّد بن النعمان «المفيد» (ت ٤١٣هـ). تحقيق: رضا المختاري ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ ط ١ ـ ١٤١٣هـ.

١٣٦ ـ نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر؛ محمّد بن محمّد زبارة الصنعائي، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ـ صنعاء.

١٣٧ ـ نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام، تحقيق وشرح الشيخ محمّد عبده، طبع ونشر دار المعرفة ـ بيروت.

(ي)

١٣٨ ـ ينابيع المودّة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ) تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني ـ

دار الأسوة ـ ط ١ ـ ١٤١٦هـ.

١٣٩ ـ ينابيع النصيحة في العقايد الصحيحة: الحسين بن محمد بن أحمد (ت ٦٦٣هـ) ـ دار ومكتبة الخير ـ صنعاء.

(هـ)

١٤٠ ـ هشام بن الحكم؛ عبد اللّه نعمة، ط ٢/ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م دار الفكر اللبناني ـ بيروت.